الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية الآداب واللغات

ظاهرة الاغتراب في شعر محمد الفيتوري
ديوان يأتي العاشقون إليك أنموذجا
(مقاربة تحليلية)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تحليل الخطاب الأدبي

من إعداد الطالبة:

خيرة ياحي

تحت إشراف الأستاذ:

د/ خالد بوزياني

لجنة المناقشة :

1- الدكتور: وذناني بوداود جامعة عمار ثليجي الاغواط .....رئيسا

2- الدكتور:قنشوبة أحمد جامعة زيان عاشور الجلفة.....عضوا مناقشا

3- الدكتور: جعيرن ميهوب جامعة عمار ثليجي الاغواط.....عضوا مناقشا

4- الدكتور:خـــالد بوزياني جامعة عمار ثليجي الاغواط.....مقررا و مشرفا

السنة الجامعية 2014/2013

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية الآداب واللغات

ظاهرة الاغتراب في شعر محمد الفيتوري
ديوان يأتي العاشقون إليك أنموذجا
(مقاربة تحليلية)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تحليل الخطاب الأدبي

من إعداد الطالبة:

خيرة ياحي

تحت إشراف الأستاذ:

د/ خالد بوزياني

لجنة المناقشة :

1- الدكتور: وذناني بوداود جامعة عمار ثليجي الاغواط .....رئيسا

2- الدكتور:قنشوبة أحمد جامعة زيان عاشور الجلفة.....عضوا مناقشا

3- الدكتور: جعيرن ميهوب جامعة عمار ثليجي الاغواط.....عضوا مناقشا

4- الدكتور:خـــالد بوزياني جامعة عمار ثليجي الاغواط.....مقررا و مشرفا

السنة الجامعية 2014/2013

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

الى

الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما وجزاهما كل خير

الى زوجي الذي شجعني على الدراسة و إتمام هذا العمل المتواضع

الى جميع أفراد عائلتيّ كل باسمه خاصة تركية وجميلة وإيمان،الى

عائلتي زوجي كبيرا وصغيرا خاصة الى أمي الثانية وأبي الحنون

الى جميع صديقاتي خاصة خديجة ،وكريمة و هامة اللواتي سندنني

دائما

والى كل من عرفني وأحبني

والى كل من يسعى أن تكون الجزائر بخير

خيرة

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا

في يومه إلّا قال في غده:

{لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن

ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان

أجمل،وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقد

على جملة البشر} العماد الأصفهاني.

شكر وعرفان

أشكر الله المولى القدير، الذي أعانني على هذا العمل، و وفقني لإتمامه.

كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور خالد بوزياني الذي قبل الإشراف على هذا العمل . و منحني من وقته و جهده ، و أسأل الله أن يجازيه كل خير .

كما أتوجه بالشكر إلى زوجي الذي لم يدخر جهدا في مساعدتي، كما لا يفوتني أيضا أن أتقدم بآيات الشكر والعرفان إلى أعوان المكتبة بجامعة الأغواط الذين وضعوا لي كل التسهيلات .

كما أشكر كل من أعانني على إتمام هذا العمل سواء من داخل الجزائر أو من خارجها خاصة الدكتور دحيسي من المغرب الشقيق،الذي أمدني بالنصح والتوجيه وزودني بالكتب ،والى عائلة الشاعر محمد الفيتوري الذين رحبوا بدراستي لديوانه.

و في الأخير أرجو أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه تعالى أمين

و الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.أما بعد.

تعرف ظاهرة الاغتراب تطورا مستمرا على مستوى التحليل في الشعر العربي المعاصر،رغبة في كشف مرتكزات الأعمال الابدعية ،وقد كان العمل الشعري مدعاة للكتابة والتأليف ،فشمر الدارسون على سواعدهم من أجل الكشف عن خصوصية الأعمال الأدبية الإبداعية ومعرفة أسباب الإبداع فيها ومقوماته الفنية من دلالات وإيقاع ومستويات صوتية وتركيبية.

ولعل معالجتنا لقضية الشعر المعاصر ستكون من خلال تتبع ظاهرة الاغتراب عند الشاعر السوداني محمد الفيتوري من خلال **ديوانه يأتي العاشقون اليك** ،وبذلك عنونا دراستنا **بظاهرة الاغتراب في شعر محمد الفيتوري ديوان يأتي العاشقون اليك نموذجا مقاربة تحليلية ،** ويهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الاغتراب عند الشاعر الفيتوري ، وتقدم قيمي ومعنوي يشرح الأمر الذي أدى بالإنسان إلى الشعور بعدم الأمن والطمأنينة حيال واقع الحياة في هذا العصر، بل وربما النظر إلى هذه الحياة وكأنها غريبة عنه ، أو بمعنى آخر الشعور بعدم الانتماء إليها، ولعل ذلك يبرر انتشار استخدام مفهوم الاغتراب في الموضوعات التي تعالج مشكلات الإنسان المعاصر،ويمثل الاغتراب حالة نفسية يعيشها الإنسان نتيجة للظروف التي يمر بها،ويعد من المشكلات التي يجب دراستها.

ومن أسباب اختيار الموضوع :الرغبة في الكشف عن شاعر بحجم محمد الفيتوري ،والذي هضم حقه فلم يشتهر كمعاصريه من رواد الشعر الحر كمحمود درويش ،عبد الوهاب البياتي ،سميح القاسم ،محاولة إبراز خصوصيات شعره من خلال تأثره بمدرسة المهجر وباقي المذاهب الأدبية الرمزية والسريالية،هدف القراءة الوصول إلى قراءة وصفية تحليلية تحمل بعدا تأويليا مستندا إلى معايير تطبيقية للوصول إلى الدلالات في ديوان الفيتوري، محاولة المقاربة الفنية للتجربة الشعرية المعاصرة في السودان ومعرفة الإطار الذي يسيطر على بؤرة الموضوعات فيها،بالتعرف على البصمة التي تركها الشاعر في ديوانه، التعريف بالشاعر والاهتمام بمساره الفني الإبداعي،تتبع ظاهرة الاغتراب في شعره وربطها بأسبابها،التفريق بين أنواع الغربة التي كانت من دوافع كتابته الشعر،الوقوف على الخصائص الفنية لشعر الفيتوري ،الكشف عن الجانب الفلسفي الوجودي

والسريالي الذي تميز به الفيتوري وصرح به في بعض مقالاته وجسده شعرا ،الكشف عن علاقة الإيقاع الشعري بأنواع الاغتراب التي جسدها الشاعر .

وقد كانت الإشكالية التى انطلقنا منها:

هل كانت ظاهرة الاغتراب في شعر الفيتوري نتيجة لظروف وعوامل محلية عايشها الشاعر أم كان نتيجة لتأثره بالإنتاج الشعري قبله ومن الشعراء الذين عاصرهم ؟ ماهي أنواع الاغتراب التى تجلت في قصائده ؟كيف جسدت الصورة الشعرية ظاهرة الاغتراب في ديوان الفيتوري؟ ما سمات الاغتراب التى وظفها الفيتوري وكيف عبرت عن انتمائه لبعض المذاهب الأدبية التى طغى عليها الجانب الفلسفي ؟

وبذلك كان اختيارنا للمنهج التحليلي الوصفي نظرا لرحابة هذا المنهج وعدم ضيقه بالمناهج الأخرى ،ولعل الموضوعة المهيمنة في شعر الفيتوري هي ظاهرة الاغتراب التي تعددت موضوعاتها وارتبطت بالفكر الوجودي من جهة وبالتحليل النفسي من جهة أخرى ،فوجب أن تكون النزعة الوجودية إحدى مصادر هذا البحث نظرا للموضوعة الشعرية التي شغلتها والتحليل النفسي الذي يعزوا هذه الظاهرة إلى اللاشعور من خلال الكبت بصفة خاصة وأشكال تمظهره في الحياة النفسية للإنسان عموما ،وللإنسان المبدع بصفة خاصة .

واعتبارا من أن المنهج التحليلي الوصفي يقوم على تتبع ظاهرة الاغتراب بمراحلها ومحدداتها ويقوم على التفسير والوصف وتحديد الظروف والعلاقات ، فبعد تقصينا لظاهرة الاغتراب وتحديد المفهوم لغة واصطلاحا ضبطناه ثم تحليلها وربطها ببعضها البعض ،وهو ما حاولنا التزامه في هذه الدراسة لأن الموضوع الرئيسي على المستوى الشكلي هو الذي تتردد ألفاظه في الديوان وتحدد أنواع الظاهرة وأشكالها،وبما أن وصف الظاهرة في الديوان وتحليلها منهج الدراسة اقتضى الأمر أن ندرس الديوان انطلاقا من محاولة التصنيف للموضوعات الكبرى في عناصر مهيمنة،وتصنيفها الى حقول معجمية تؤسس لأبعاد الظاهرة ،وبذلك كانت الدراسة وفق موضوعات معينة عالجناها في فصول هذا البحث .

وبذلك كان تحديدنا لمفهوم الاغتراب في مدخل نظري، وتناولناه كونه ظاهرة متكررة في ديوان الشاعر، ويعد الاغتراب واحداً من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض وذلك بسبب تعدد المجالات التي استخدم فيها، سواء أكان ذلك في المجال الفلسفي، الاجتماعي، النفسي، أو في مجال الأدب من الشعر والنثر والقصة، مما أكسبه الكثير من المعاني سواء أكان لغويا، أو موسوعيا

أو نفسيا، قصد الكشف عن ظاهرة الاغتراب في شعر محمد الفيتوري الذي عبر عن نفسه الطامحة التي تتوق الى المعالي والتحرر بعد أن صارت الارض بالنسبة له جحيما لا يطاق ،هذه الظاهرة هي قضية فلسفية عانها الشاعر بشتى مظاهرها وتجلت الظاهرة عند الفيتوري على أصعدة عدة، وانطلاقا من اعتبارنا للنص موضوعة كبرى كانت دراستنا له انطلاقا من دلالات معينة في قصائده،فكان منطلق الدراسة البحث عن المحددات الكبرى في كل موضوع، وتحديد الصور الواردة في الموضوعات والدلالات الناتجة عنها انطلاقا من قصائد عدة يجمعها الموضوع ذاته وشرحها من خلال ربطها بالحالة النفسية للشاعر ،ولعل القضايا التي تبناها شاعرنا الفيتوري والمتمثلة في العروبة والقومية كانت أهم حافز لنا لنتتبع أثار ظاهرة الاغتراب في شعره،ولم أتوفر سوى على رسالتين جامعيتين ،هاجس الحرية في الشعر العربي المعاصر محمد مفتاح الفيتوري دراسة موضوعاتية،أطروحة دكتوراه للطالب علي زغينة ،بإشراف عبد الله العشي ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،2004-2005 تناول فيها الباحث ثلاثة عشر ديوانا للشاعر ،ورسالة ماجستير بعنوان ديوان أغاني أفريقيا لمحمد الفيتوري دراسة أسلوبية للطالبة زينب المنصوري بإشراف صالح لمباركية سنة 2010-2011،وقد كانت معالجتنا لهذه الإشكالية من خلال الخطة الآتية :

مقدمة،مدخل عام ظاهرة الاغتراب (لغة- اصطلاحا)، محدداتها أنواعها وأشكالها،ثم الفصل الأول:الاغتراب المكاني والوجودي في شعر الفيتوري يبتدأ بتمهيد،وذلك من خلال محددات الاغتراب في العنوان،ومحددات الاغتراب المكاني و الوجودي ، ولعل مايثبت اغترابه المكاني هو موقفه من المدينة إما رفضا أو قبولا ،ويعبر عن حاضر اغترابي من خلال استلهام الماضي الشعري .

-الفصل الثاني الذي عنوناه بالاغتراب السياسي في شعر الفيتوري وقدمنا له بتمهيد ثم تطرقنا لمحددات الاغتراب السياسي والتي من بينها العجز السياسي والتمييز العنصري ثم القناع والرمز في شعر الاغتراب السياسي عنده من خلال شخصية المتنبي كقناع في شعر الاغتراب السياسي وشخصية المرايا في الاغتراب السياسي،ثم المدينة في شعر الاغتراب السياسي ومن المدن التى حددناها فلسطين ،بغداد ،والمدينة الرؤيا التاريخية.

-الفصل الثالث فقد كان الاغتراب الاجتماعي و النفسي عند الفيتوري وتناولنا فيه بعض العوامل النفسية والاجتماعية المشكلة لشخصيته والحس المأساوي عنده من خلال الحلم ورؤيا، ثم محددات الاغتراب الاجتماعي.

بعدها حاولنا دراسة الصورة الفنية في شعره و دلالة الألوان التى لها علاقة بالاغتراب من خلال عنوان الرسم بالكلمات في شعره،والمعجم الشعري الذي خدمه ،ثم جمالية الإيقاع الداخلي والخارجي ودلالته فتجسيده للمشاكل الاجتماعية الفقر المرض الشعور بالألم ،ومن محدداته الانعزال ورغبة الأنا المتواصلة في تنمية قدرتها لأنها لم تجد في العالم الخارجي أنا أخرى تساندها،وقد كان الحب والصداقة من الوسائل التى لجأ اليها الشاعر حتى يخفف من وطأة الغربة،ثم خاتمة لخصنا من خلالها أهم النتائج.

ولعل ما صعب مهمتنا تعدد المصطلحات بين النقاد لاختلاف الترجمات بينهم ،وقد كان توظيفنا للمصطلحات بصورة اختيارية نظرا لكثرتها وتداخل مفاهيمها ،ومن ذلك: الذات-الموضوع- الأخر-الحقل المعجمي،كذلك وبحكم مركزية الاغتراب في ديوانه يأتي العاشقون إليك،كانت الأبعاد السياسية والنفسية والاجتماعية والمكانية والوجودية تسيره.

وفي الأخير نحمد الله على توفيقه لنا والشكر الجزيل لمن أشرف على هذا البحث حتى أخرجه على هذه الصورة،والله من وراء القصد.

مدخل عام

الاغتراب مفهومه ،أنواعه، أشكاله ،دلالاته.

تمهيد:

ظاهرة الاغتراب معروفة منذ القدم في التاريخ الإنساني،فهي موجودة كحالة تعبر عن مكنونات الإنسان في مجتمعة،و هي كمصطلح قد مرت بعدة تغيرات لارتباطها بمجالات عديدة .

وأول من استخدمها كمصطلح الفيلسوف الألماني **هيجل Hegel** حيث ربطها بالرموز الدينية في التراث المسيحي واليهودي وتناوله المتخصصون بعده،واستخدموه بمعاني مختلفة منها انعدام السلطة والعزلة ،العداء،الإحباط الانفصال عن الذات[1].

وتعبر ظاهرة الاغتراب عن القلق النفسي والفكري، وعلاقته بالوجود الإنساني وقد تترجم شعرا أو نثرا من خلال استغلال الإمكانات اللغوية وأساليب الصياغة الجمالية والالتزام بالتشكيل الموسيقي،وقد تناولت الظاهرة في عدة مجالات فحاولت أن أحيط بالظاهرة ولو جزئيا بدءا من تعريفها في جانبها اللغوي .

اختلفت التعاريف المتعلقة بالظاهرة تبعا للاتجاه الذي عرفها ،لأنها ظاهرة لا تثبت في تخصص واحد، ولذا طبيعي أن تكون محدداتها وأبعادها عديدة ،وقد وجدت كمصطلح في مجالات:كالفلسفة ،وعلم النفس،و التصوف ،و علم الاجتماع والأدب ،وبذا فالمصطلح تنازعته حقول معرفية كثيرة .

تعريف ظاهرة الاغتراب

لغة:تناولت المعاجم العربية والأجنبية تعريف الاغتراب والغربة،وذلك ضمن مادة غرب،و من التعاريف نجد:

جاء في لسان العرب:الغُربةَ والغَرَبُ:الذهاب والتنحي عن الناس،وقد غَرَبَ يَغْرُبُ غَرباً، وغَرَّبَ،وأَغْرَبَ وغُرِّبَ،وأَغْرَبه:نحاه.والغُربةَ والغَرَبُ:النوى والبعد ،وقد تغَرَّبَ،...وقيل:غَرَبَ في الأرض وأَغْرَبَ إذا أمعن فيها..ونوى غُرْبةً بعيدة ،وغُرْبةُ النوى:بعيدها والتَّغْرِيبُ:النفي عن البلد ....والْغُرْبةُ والْغَرْبُ :النزوح عن الوطن.

والاغْتِرابُ وغَرِيبٌ:بعيد عن وطنه،و الجمع غُرَبَاءُ ،والأنثى غَرِيبَةٌ .واغْتَرَبَ الرجل: نكح في الغَرَائِبِ ...والاغْتِرابُ: افتعال من الْغُرْبَةُ ،..وأَغْرَبَ الرجل:صار غَرِيباً ...و رجل غَرِيبٌ:ليس من القوم"[2] .

والغُرْبةُ عند ابن منظور متعلقة بالبعد عن الوطن و النزوح و النوى.

---

[1]-ينظر أحمد جواد مغنية ،الغربة في شعر محمود درويش 1972 -1982-الفارابي لبنان بيروت ،2004 ،ط1 ،ص16.

[2]-ابن منظور ،لسان العرب،مادة (غ ر ب) ،الدار المتوسطة للنشر والتوزيع ،ص422ومابعدها .

كما ذكر **الزبيدي** في **تاج العروس**:" الغَـ ـبُرالذهاب بالفتح،و الغَـرْبُ:النوى و البعد، و أيضا الْغَرَبُ و الْغُرْبَةُ النزوح عن الوطن ،و التَغْرِيبُ:النفي عن البلد "[1].

"الْغُرْبَة بالضم:النزوح عن الوطن و أيضا الاغْتِرابُ والغَـ ـبُر ونجد أيضا غَـ بَـر :غاب،كغَـ ـبَـر و بعد واغْتربَ تزوج في غير ،الأقارب "[2].

و لعل تتبع معاني الاغتراب في اللغة يكشف عن بعض النقاط الأساسية و التي منها :

-اتفقت المعاجم العربية في معناها اللغوي على أن الغربة و الاغتراب لهما معنى واحد، وكذا كل ما اشتق منهما، وجاءت كلها بمعنى واحد و هو الابتعاد و الذهاب.

-وارتباط الغربة بالحنين إلى الوطن الذي نزح عنه ،والبعد المفروض على الفرد عن أحبته وأهله،واغترب يشمل تنافي الفرد مع ذاته و الأخر .

وكلمة الاغتراب في اللغات الأجنبية :Aliénation مشتقة من الكلمة اللاتينية Aliénation menitsالتي تعني الشرود الذهني "أو التوهان العقلي"[3].

و اغترب و غربة من الكلمة الانجليزية Aliénationومن الكلمة الفرنسيةAliénation وفي الألمانية Entfrendung،و قد اشتقت كل من الكلمة الانجليزية والفرنسية.أصلها من الكلمة اللاتينية Aliénation "يستمد هذا الاسم Alienatمعناه من الفعل اللاتيني Alienare والذي يعني نقل ملكية شيء ما آخر أو يعني الانتزاع ،أو الإزالة و هذا الفعل مستمد بدوره من فعل أخر Alienusأي الانتهاء إلى شخص أخر، أو التعلق به، وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ Alius الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو صفة"[4]

هذا بالنسبة لأصلها في اللغات الأجنبية، وهي متفقة على معنى السلب و الانتزاع ،والانتقال للمكية، والأمر لا يختلف كثيرا عن معناه في المعاجم العربية فالاغتراب و الغربة متعلقان بالبعد والنوى عن الوطن أو النزوح منه برغبة أو بغير رغبة .

فالغربة اقترنت بالدلالة المكانية وهي البعد،وبدلالة الزمن والوقت حينما تتغير القيم والمعايير التي توجه المجتمع فيشعر الفرد حيالها بغربة حتى ولو كان في بلده وبين أهله ،ويشعر بغربة اتجاه عصره

---

[1]- الزبيدي السيد محمد المرتضى،تاج العروس من جواهر القاموس ،المطبعة الخيرية ،مادة (غ ر ب)،مصر ،1306هـ،مج1،ص404-412.

[2]- مجد الدين الفيروز أبادي،المعجم المحيط ،إعداد وتقديم :محمود عبد المركشيلي،مادة غرب ،دار إحياء التراث العربي،ط1،الجزء الأول ،بيروت ، 1997،ص206-207.

[3]- صلاح الدين احمد الجماعي،الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي،دار زهران ،ط1،عمان ،الأردن ،2010،ص46.

[4]- ينظر ريتشارد شاخت ، الاغتراب ،تر:كمال يوسف حسين ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1،بيروت ،لبنان،1980،ص66.

كذلك نجد معنى أخر هو البعد والتنحي عن الناس ،وارتبط بالغربة الصوفية التي هي غربة روح عن، جسد ورغبة هذا الإنسان في الرجوع إلى ربه في عالمه الأول العالم الروحي .

وربما يعود ذلك لما تتضمنه كلمة الغربة من الابتعاد عن الوطن والانفصال عنه فاخذ منه الباحثين معنى الانفصال الابتعاد وضمنوها في نطاق الفلسفة والاجتماع فضلا عن معناها الحقيقي – الابتعاد والنوى والنزوح – فالاغتراب والغربة كلاهما معاناة وألم وحرقة يستشفها المرء من خلال الأفعال والأقوال بكل دلالاتها.

ظاهرة الاغتراب اصطلاحا:

ومما سبق نستعرض هذه التعاريف لظاهرة الاغتراب ،والتي منها:

الاغتراب:" فهو انفصال الفرد عن ذاته الحقيقية التي يحس بها ،ويصطنع ذات أخرى زائفة ،وذلك بفعل تأثير المجتمع و ضغوطاته المتمثلة في الأعراف والتقاليد و النظم،وتناقضات هذا المجتمع،و هذا يؤدي إن طمس الذات الحقيقة أي الذات كما يحس بها،وكما يريد لها أن تكون "[1]،وهناك من ربط الظاهرة بجوانب عدة وحاول أن يقدم تعريفا جامعا لها يكون الاغتراب"ظاهرة إنسانية توجد في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية وفي كل الثقافات، وإن كانت قد زادت على حده أو على الأقل ازداد الانتباه إليها في المجتمع الصناعي الحديث نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية"[2].

فالاغتراب عند أحد المفكرين يستخدم لوصف الطابع الذاتي لتجربة مدمرة للذات ويقرر أن اصطلاح الاغتراب يستخدم لإيضاح السمة الانفعالية التي تصاحب أي سلوك يجبر فيه الشخص على التصرف بشكل مدمر للذات ،وينطوي مفهوم الاغتراب على عدة معاني متعلقة به،والتي منها الغربة،والبعد والنوى ،والتغريب كذا السطو والسلب،وقد ارتبط هذا المصطلح بالأخذ و الاستحواذ والفهم"فمحور الشعور بالغربة و الضياع هو في الحقيقة تفريع على المحور الأساسي العام،محور الذات والوجود ،أوهما يتوازيان على مستوين مختلفين"[3]

فقد حاول أن يوضح أن الذي يربط الذات بالوجود هو ظاهرة الاغتراب التي هي في الأساس موضوعة مهمة ورابطة بينهما،وبذا كان لزاما أن يخصص لها هذا القدر من الدراسة .

الاغتراب ظاهرة ميزت الإنسان في العصر الحديث،فطبعت مختلف مظاهر النشاط الإنساني الثقافي،وصارت موضوعا أساسي في الأعمال الإبداعية والأدبية وغيرها،و الغربة والاغتراب الذي

[1]– محمد عباس يوسف،الاغتراب و الإبداع الفني،دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، د ط ،القاهرة ،2004،ص22.

[2]– صلاح الدين احمد الجماعي ،الاغتراب النفسي الاجتماعي و علاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي ،ص50.

[3]– عز الدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية ، دار العودة ،،ط2،بيروت ،1983م،ص369.

يعنينا ليس في الهروب عن الوطن والعيش بعيدا،و قد يراد به الابتعاد عن الأهل والأوطان،لأن الإنسان إذا اغترب جسدا قد يغترب روحا: بل في حالة البعد القسري بالنفي و التشريد، أو العيش في الوطن لكن دون أن يحقق ذاته ووجوده الفعلي.

وتعبر ظاهرة الاغتراب عن القلق النفسي و الفكري ،وعلاقته بالوجود الإنساني،وقد وضع علماء كثر محددات لظاهرة الاغتراب ،فهناك من فسرها انطلاقا من كونها"حالة عجز و فقدان للمعايير وغياب للمعاني وللا انتماء واغتراب ذاتي"[1].

هذه المعايير وضعها العالم **ملفين سيمان** عام 1959م،"وكانت بذلك قبل عدة دراسات قام بها العالم **هارفارد**،ووضع بذلك خمسة محددات متداخلة فيما بينها هي:التركيز على الذاتية ،وعدم الثقة،التشاؤم،القلق الاستياء"[2].

هذه بعض المحددات المتعلقة بالاغتراب في جانبه الرومنطقي ،و لكن هناك من حدد الظاهرة على أساس واقعي لا يخرج الفرد إلى عالم المجردات .

الاغتراب عند هيجل :

يعد الفيلسوف الألماني هيجل Hegel أول من حدد مفهوم الاغتراب بدقة وجعله مصطلحا قائما بذاته،وذلك في كتابه فينومينولوجيا الروح Phénomenology of mind عام 1957).[3]

وذلك أن **هيجل** ربط مفهوم الاغتراب بفلسفته القائمة عن تنافر الفكر والواقع و الوعي والوجود،وقد عرف **هيجل** الاغتراب بأنه"حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته:على مخلوقاته[4] ومنتجاته وممتلكاته فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص،وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمه وتسهم في تحقيق ذاته وطموحاته"[5].

وبذلك يرى **هيجل** أن أساس التغلب على مفهوم الاغتراب يكون بقيام المجتمع الحقيقي بدمج جميع مصالحه الخاصة والعامة وبتحقيق الحرية الحقيقية وبذا كانت نظرته للاغتراب على أساس جدلي تحكمه العلاقات الواقعية التاريخية التي قامت عليها نظرته الفلسفية،وقام على فكرة العجز .

---

[1]- ينظر حليم بركات ، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية ط1،،بيروت،ص20 و36.

[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص37.

[3]- ينظر المرجع نفسه ، ص37.

[4]- المقصود بلفظة مخلوقاته: كل ما يكون قد صنعه الفرد بذاته.

[5]- ينظر المرجع نفسه ،ص37-38.

الاغتراب عند كارل ماركس:

فكرة الاغتراب عند **كارل ماركس Karl Marx** مختلفة عما ذهب إليه **هيجل** وسابقوه ،لأنه نقلها من المفهوم الفلسفي إلى المفهوم الاجتماعي ،وقد اعتبر **ماركس**:"أن الاغتراب حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلقته بعد أن أكسبت منتجاته قوة مستقلة ومعادية له"[1]

فالمفهوم الذي جاء به **ماركس** لا يعدو أن يكون متعلقا بواقع اقتصادي و اجتماعي،إلا أنه لم يتعلق في حقيقة النفس الإنسانية التي تتحكم فيها عوامل عدة،كما أن الاغتراب قد يواجه حياة الفرد رغم عدم اندماجه في الحياة الاقتصادية،ورغم كونه صاحب العمل في حد ذاته لا مجرد منتج،وبذا يصير تفسيره لمفهوم الاغتراب خاضعا لراهن اقتصادي و سياسي.

والاغتراب عند **ماركس** متعاطف مع مفهوم استلاب حرية الإنسان والغربة هي"أن يفقد الإنسان حريته واستقلاله الذاتي بتأثير الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والدينية "[2]. إلا أن **ماركس** ربط الظاهرة بالعامل في النظام الرأسمالي حاصرا بذلك الظاهرة في نظام اقتصادي معين،وملغيا محددات أخرى لظاهرة الاغتراب في سياقات أخرى.

الاغتراب عند سيجموند فرويد :

النظرة التي تبناها **سيجموند فرويدFreud** مستمدة من أبحاثه في التحليل النفسي، وبذلك يؤكد على حقيقة التصادم بين ذات الإنسان و يبين ما يمليه عليه الأخر في الحضارة الإنسانية،ويذهب سيجموند فرويد إلى تفسير الأعمال الإبداعية على أساس أن الفرد يحاول مخادعة اغتراب ذاته بنشاطات علمية وفلسفية فنية،ويقدم تفسيرات عدة لتعاسة الإنسان المعاصر.ويقرر **فرويد** بأن"الاغتراب هو سمة متأصلة بالذات الإنسانية ،إذ لا سبيل مطلقا لتجاوز الاغتراب بين (الأنا) و(الهو) و(الأنا الأعلى) لأنه لا مجال لإشباع كل الدوافع الغريزية والتوفيق بين الأهداف والمطالب والغرائز وبعضها البعض"[3].

وبناء على هذا فإن سبب غموض ظاهرة الاغتراب راجع في الأساس إلى أبعاده ومظاهره،فالاغتراب الذاتي في حقيقته تجربة نفسية متعلقة بما يعانيه الشاعر على صعيد الوعي،وقد ينتج عن ذلك سلوكيات عدة منها:التمرد الثورة أو الخضوع و الاستكانة إلى الواقع المفروض.

---

[1]– ينظر حليم بركات ، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع،ص39.

[2]– حسين جمعة ،الاغتراب في حياة المعري وأدبه ،مجلة جامعة دمشق ،المجلد 27،العدد الأول –الثاني ،2011،ص25.

[3]– عبد المنعم عفاف محمد،بعض المتغيرات النفسية المرتبطة بالشعور بالاغتراب،أطروحة دكتوراه،جامعة الإسكندرية ،كلية الآداب، 1988،ص18.

أشكال الاغتراب و مظاهره:

يتجلى الاغتراب بأشكال عدة تبعا لشخصية الفرد الذي يعيش هذه الحالة، وقد حددها الدارسون في ثلاثة بدائل سلوكية من خلالها يتجاوز اغترابه:

– فقد يلجأ الشخص الذي يعيش الاغتراب إلى "الانسحاب أو الهروب من الواقع الذي يسبب الاغتراب كما يتجلى بالهجرة والمنفى و المقاطعة"،أو يكون رد فعله رضوخا وخضوعا للأمر الواقع ،أو هو يسبب العجز واليأس،وأحيانا يكون هذا نوعا من النفاق الاجتماعي الذي يمارسه المغترب نفسيا ليوهم نفسه بالعيش مرتاحا.

– أما المظهر الثالث للاغتراب فهو التمرد الفردي أو العمل الثوري الذي تقوده الحركات الاجتماعية رغبة في تغيير الواقع الصعب من أجل تجاوز حالة العجز هذه التجليات التي صاحبت ظاهرة الاغتراب،وتتصل بجوانب مختلفة من الفرد وهي:

– العلاقات بين الأفراد والتفتت الاجتماعي والشرخ الذي حصل للقومية العربية، الوضع الذي آلت إليه بلدان الوطن العربي في القرن 19م،أما ما يتعلق بالشخصية فمبعثه الثقافة إما المفرطة أو انعدامها،بكل ما يتعلق بالفرد من أمور الدولة و الدين والعائلة و التربية و غيرها.

– إضافة الى تأثيرات العولمة،وكل سلطة يمكنها أن تتحكم في مصير الفرد:الدولة والعائلة وتنشيطه،ومن أنواع الاغتراب في المجتمع العربي المعاصر:نجد الاغتراب السياسي النفسي–الاجتماعي–الديني،وتتوزع نتائج الاغتراب كسلوك بين الرضوخ ،الثورة ،التمرد ،الانسحاب، لأن الفرد يلجأ إليها كبدائل سلوكية ليتجاوز اغترابه،"وهناك من حددها في مظاهر خمسة هي:العجز،اللامعنى،اللامعيارية،العزلة الاجتماعية،الاغتراب عن الذات"[1]، ويختلف الدارسون في تحديدها فيذهب البعض إلى القول بتعددها و انفصالها عن بعض.

كذلك تحديد **ديفيد** من خلال التشاؤم،فقدان الثقة،القلق–مركزية الذات–الاستياء و غيره من العلماء وقد أضافوا مظاهر أخرى:كالتمرد،و اليأس و اللامبالاة و اللاهدف،الوحدة النفسية،العزلة الاجتماعية،ومن ذلك نجد أن:"التمرد يظهر في شكل سلوك رافض يتسم بالعداء الازدراء،الكراهية ،الشعور بالاستياء،و الإحباط واليأس من كل ما تعارف عليه المجتمع من قيم معايير"[2].

[1]– عبد المنعم عفاف محمد ،بعض المتغيرات النفسية المرتبطة بالشعور بالاغتراب ،ص62.

[2]– المرجع نفسه ،ص40.

كما يتضمن الاغتراب العلاقة بين الإنسان وذاته ،الإنسان و الأخر كموضوع.فهناك من يعتبر الاغتراب ظاهرة لها مسببات عدة منها البيروقراطية و اللامساواة ،والصراع الطبقي وغيرها من الظواهر الاجتماعية الخطيرة .

أنواع الاغتراب:

والاغتراب أنواع حددها الدارسون،وحاولوا حصرها تبعا لمجالات اشتغالها لأن الاغتراب هو تنحي الفرد عن ذاته عن عالمه الموضوعي بأشكال منها:

-الاغتراب السياسي:

يظهر الاغتراب من خلال الوضع العام السائد خاصة في البلاد العربية،لأن طبيعة العلاقة الرابطة بين الشعب والدولة قائمة على الاحتكار ،وأن الطبقة الحاكمة تجعل الفرد في حالة عجز دائمة تكشف عنها مظاهر السيطرة على حياته،والعمل لحسابها ومصلحتها ،فيضطر الفرد حيال هذا الوضع أن يهتم بتحسين مستواه المعيشي على حساب تأمين حقوقه و كرامته الإنسانية .

ويقصد بالاغتراب السياسي"شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الايجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأى الجماهير،وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه ،واليأس من المستقبل،على اعتبار أنّ رأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يؤخذ به"[1]

وذلك ما ذهب إليه **إيرك فروم** سنة 1969م حين قال أن الاغتراب كان"تعبيرا عما يعانيه الإنسان المعاصر من أزمات وجودية ونفسية و اجتماعية،و تتمثل بعض مظاهرها في السياسات السائدة،وطبيعة الحاكم و المحكوم"[2].

وطبيعة الاغتراب في نظره متعلقة بما يعانيه الفرد في علاقته بالمجتمع عموما والدولة خصوصا، و بما أن الاغتراب السياسية متعلقة بالتوهان في البلدان العربية و الرغبة في العودة إلى الوطن المغلوب على أمره فقد سماه آخرون الغربة المكانية،ويعبر عنها من خلال التشرد والضياع في أنحاء الوطن فالفرد العربي يعاني على أصعدة عدة، وبالتالي هناك إذا أوضاع تحيل العربي في الزمن المعاصر إلى كائن مغترب عن نفسه،ومجتمعه،ومؤسساته

[1]- محمد خضر عبد المختار ،الاغتراب والتطرف نحو العنف دراسة تحليلية ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998،ص41.

[2]- ينظر حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع ،ص 21.

وطليعتها،فالاغتراب السياسي هو "رد فعل إزاء عدم القدرة النسبي المدرك على التأثير أو التحكم في مصير الفرد الاجتماعي"[1]

فالعلاقات التي تربط الدولة بالمجتمع تتمثل في كونها تعطيل لإرادة الشعوب وقهر لها في كافة البلدان العربية ،فالاغتراب يعني من خلال الشعور"السيطرة التي يحس المرء بأنه يفتقدها هي من حقه بصورة مشروعة.

ويصبح هدف الحاكم البقاء في منصبه و المحافظة على سلطته،و هم المواطن تجنب الدولة التي هي سيف مسلط على عنقه ،وبذلك"ازددت درجة الإحساس بالاغتراب السياسي والنزوع الثوري"[2]،فالشعب في الأنظمة العربية مغلوب على أمره و مسلوب الحقوق و الممتلكات المادية والمعنوية و حتى في منجزاته داخل الأمة.

الاغتراب النفسي:

حاول الاتجاه النفسي أن يربط الاغتراب بالنظريات النفسية و التحليل النفسي،وذلك ما تجلى مع أبحاث **فرويد** ،والمدرسة السلوكية و تلاميذها فيما بعد و قد فسر الاغتراب حسبهم انطلاقا من كونه حالة وجودية تتمظهر خلال الحزن و ليأس وقد " عالجت بعض النظريات الفلسفية ظاهرة الاغتراب من ناحية نفسية ،حيث تعزوا أسبابها الجذرية إلى الأمراض الشخصية ،ويعتبر هذا الاعتقاد أن الإنسان ضحية لخبرات طفولته المبكرة وأنماط العلاقات الأسرية ،فاغتراب الفرد يعد اختيارا ذاتيا، ويستخدم كميكانيز دفاع ضد الصراع النفسي ،ومن الكتب التي دلت على ذلك كتابات كينستون keniston (1965) ،كيركجارد kerkgard 1959،اركيسون Erikson،فروم fromn،وقد ركزوا اهتمامهم على النواحي النفسية للفرد ،وأغفلوا الحقيقية الاجتماعية أو الواقع الاجتماعي."[3]

وغربة أمام الزمن و الموت، فالغربة الزمانية التي يحييها الفرد مرتبطة في الأساس بما يعانيه الفرد من اغتراب بالنسبة لذاته و واقعه و علاقة بالآخر، و الاغتراب بالنسبة لهذا الاتجاه"يمثل نزوحا من نوع آخر حتى و لو كان الإنسان يعيش في الوطن فهو يرفض أشياء و يتحداها و يختلف مع أكثر من أسلوب سيطر على الحياة"[4].

---

[1]- شاخت، الاغتراب ،ص226-227.

[2]-ينظر حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع ،ص93.

[3]- أبكر سميرة حسن ،ظاهرة الاغتراب لدى طالبات كليات البنات بالمملكة العربية السعودية ،أطروحة دكتوراه ،كلية التربية للبنات جدة، 1989م،ص33-34.

[4] -عبده بدوي،الغربة و الاغتراب و الشعر ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة 1998م،ص9.

وقد حاول العلماء أن يعطوا محددات للاغتراب النفسي تظهر من خلال أعراض أو مظاهر تتجلى في سلوكات الأفراد،و تكشف عنها أشكال تخاطبه و تواصله ضمن الجماعة الإنسانية التي يسكنها،ومن ذلك ما ذهبت إليه كارين هورني –hornegمن تحديدها "عددا من العوامل النفسية المسببة للاغتراب من بينهما الشعور بالخزي كراهية والذات و احتقارها و وجدت في النرجسية تعبيرا عن اغتراب الذات"[1].

ومنطلق بحثنا اعتبرنا الغربة النفسية شاملة لأنواع الاغتراب الأخرى من غربة اجتماعية روحية لأن النفس الإنسانية مصدر هذه الظاهرة في الأساس،ويرى **فروم** " أن جوهر مفهوم الاغتراب هو أن الآخرين [...] يصبحون غرباء بالنسبة للإنسان"[2] ،ولكن على الرغم من كل تصورات الاغتراب عن الآخر، وعلاقة الذات بالآخر يبقى الآخر يؤدي دائما دورا مهما في تكامل المنجز الحضاري الثقافي للذات .

الاغتراب الاجتماعي:

إن صور التعبير عن الاغترابالاجتماعي تختلف باختلاف الثقافات فضلاً عن أنها تختلف من شخص لآخر في إطار الثقافة الواحدة تبعاً لاختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ومع ذلك فإن هناك ما يشبه الاتفاق بين المهتمين بموضوع الاغتراب على أن هناك علاقة بين الإحساس بالاغتراب وبين الانحراف الاجتماعي بكل أشكاله سواء أكان جريمة أو إدمان أو تفكك أسري أو أمراض نفسية وعصبية وجسمية.

الاغتراب الاجتماعي هو في الأساس"مربط بالاستغلال و بالأنظمة الاستغلالية و غاية الإنسان هي إزالة الاستغلال،و ذلك يتحقق الوعي الاجتماعي"[3].

ويعتبر **ريتشارد شاخت** أن أصل الإنسان و تاريخه اغتراب،لأن النفس الإنسانية تعبر عن ذاتها في موضوعات تخلقها و لكنها تنفصل وتصبح مغتربة عنها ، ويصير الإنسان في صراع مستمر معها.ولأن الاغتراب في عمومه "تجارب مشبعة بالمرارة و الألم ولدت هذه من رحم ظروف و أحداث لم يكن للإنسان يد فيها"[4].

[1]– صلاح الدين محمد ، الاغتراب ، ص58.

[2]– ريتشارد شاخت ، الاغتراب ، ص 180 .

[3]– عفاف محمد عبد المنعم ، بعض المتغيرات النفسية المرتبطة بالشعور بالاغتراب ، ص10.

[4]– قيس النووي ، الاغتراب اصطلاحا و مفهوم وواقعا ، مجلة عالم الفكر ،10 أفريل –ماي–يونيو ، 1985،ص14.

يعيش المجتمع في هذا النوع من الاغتراب حالة من الانقسام إلى طبقات و طوائف،و تخضع فيها فئة قليلة الفئة الأغلبية لسلطتها،وتسعى هذه الأخيرة إلى التخلص من ذلك من خلال الثورات والتمرد،والغربة الاجتماعية هي كل مظاهر الفساد التي تلحق المجتمع،وتتجلى من خلال انعدام العدالة الاجتماعية:الفقر-الجوع-المرضى-البطالة.

فالاغتراب الاجتماعي ميزة طبعت حياة الإنسان المعاصر في كل تفاصيلها،حيث تؤدي درجة الاغتراب العالية بوصفها تمثل التفاوت بين الوسائل والغايات لمعدل عال من الانحراف الاجتماعي.

إن مفهوم الاغتراب الاجتماعي في الأساس هو واقع في نظرية العقد الاجتماعي التي قدمها **جون جاك روسو Jean jaqus Rousseau** حيث يذهب في تفسيره إلى قيام المجتمع بمؤسساته وسلطاته المختلفة، وتشير هذه النظرية إلى أن المجتمع قد تكّون نتيجة تخلي الأفراد وتنازلهم عن حريتهم من أجل مصلحتهم وضمان أمنهم وبذلك يرى أن الضمير الجمعي له قوة إلزامية تجبر كل أفراد المجتمع على الالتزام به ،والخضوع له ،ولكن تغيير الوضع الاجتماعي فرض تغير جوهري وانتقل الوضع من مرحلة البساطة إلى مرحلة التعقيد وهذا ما نتج عنه تفكك العلاقات الاجتماعية"[1] .

وأكثر ما تتجلى صورة الانسلاخ عن النسق القيمي السائد في المجتمع التمرد على هذا المجتمع وعاداته وتقاليده واعتبارها خاطئة والعمل على التطاول والتمرد عليها بأشكال عدة،وهذا يرتبط بالمناخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتكنولوجي السائد .

أما اغتراب الذات عن المجتمع أو داخل الذات نفسها فهو بالنسبة للمجتمع مرحلة عابرة في تاريخه،نابعة من تقسيم العمل والملكية الخاصة .إن كل لون من ألوان النشاط (العمل ، العلم ، الفن، الإدارة) يغدو في ظروف كهذه بيد جماعة معينة من الناس،ويتحول إلى شيء غريب بالنسبة لباقي أعضاء المجتمع،ونتيجة ذلك يتغرب عن الأفراد نشاط المجتمع وثمار هذا النشاط ،وفي الحياة الاجتماعية السياسية يتبدى الاغتراب في عفوية التطور الاجتماعي ،وهنا تتخذ العلاقات بين الأفراد شكل علاقات بين الأشياء[2] .

ويمكننا القول أن الظواهر الاجتماعية المختلفة يربطها معنى أو محور واحد وتشير إلى وجود ارتباط بين هذه الظواهر جميعها، وهذا ما يؤكد أن ظاهرة الاغتراب تشير إلى مشاكل معقدة ناجمة عن

[1]- يونسي كريمة ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة ، رسالة ماجستير ،جامعة مولود معمري تيزي وزو ،2011-2012،ص49-50.

[2]-ينظر سي . موريس ،المعجم الفلسفي المختصر . رؤية ماركسية .،ترجمة: توفيق سلوم ، دار التقدم، موسكو، د.ط، 1982م،ص 48-49 .

أسباب متعددة ترتبط بشكل أساسي بالظرف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي السائد في المجتمع الذي يفرض أنماط مركبة من علاقات الفرد بالآخرين وبالمجتمع أو المحيط بشكل عام تأخذ طابع مغترب بشكل يعيق تكيف وتوافق هذا الفرد بطريقة فعالة في مواكبة الظرف المتطور لمجتمعه.

الاغتراب الديني:

ضمن هذا النوع يصبح الفرد نافرا من الدين،و رافضا لكل المؤسسات الدينية التي يعتبرها قسرية، فيغترب من الدين و بذلك يعيش حالة من العجز و يميل إلى العيش في الهامش،لأن يرتبط إما بطبقة الشعب أو يكون دينا رسميا تتبناه،الدولة أودين طائفة ،فالدين في أصلة يمثل رمز لعقيدة المجتمع الذي يجسده في اله يقدسه و يمجده.

الاغتراب الديني "انفصال الإنسان عن الله،وانفصاله عن الطبيعة –الملذات والشهوات –وانفصال الإنسان (المؤمن)عن الإنسان (غير المؤمن)،حيث أن الاغتراب ظاهرة حتمية في الوجود الإنساني، وحياة الإنسان على الأرض ماهي إلا غربة عن وطنه السماوي "[1].

كما يعد الاغتراب الروحي أساس الاغتراب الديني لأنه يجعل الفرد يحس أن روحه تخلفت عن مكانها الحقيقي وهو الخلود في عالم الروح "لذلك فهو يعيش فيه كأنه غريب ،وينتظر هذا اليوم الذي تعود فيه الروح إلى عالمها ،وهذا المفهوم نجده بلا شك أكثر عمقا ووضوحا لدى شعراء زهاد أو متصوفة لم يشعروا بغربتهم على المستوى المكاني أو الزماني فحسب بل شعروا بغربتهم في هذا الوجود وغربة أرواحهم في أجسادهم على نحو دفعهم إلى التطلع إلى ما وراء هذا الوجود وانتظار ساعة الخلاص ،خلاص الروح من الجسد ومن العالم الذي يتصل به وتشعر بغربتها فيه لتعود إلى عالما الحقيقي "[2].

هذه الأفكار المتعلقة بالاغتراب الروحي موجودة في كل الأديان السماوية لان الإنسان يدرك أن الذي يحل أزماته ويهون عليه مصائبه هو الله، وما يحقق هذا الصفاء الروحي هو الزهد في الدنيا ومتاعها الزائل واعتزال ملذات الحياة ،ويرون أن الجسد يحبس الروح.

ويذهب **ابن عربي** في كتابه "**الفتوحات المكية** "إلى تقسيم الغربة إلى أنواع ثلاثة[3] هي :غربة عن الأوطان، وغربة عن الأحوال ،وغربة عن الحق وهي متعلقة بأحوال صوفية ، حيث اعتبر الاعتزال عندهم الذي هو من بين محددات الاغتراب ،أنواع فيه الاعتزال من خلال فرار الفرد إلى الله،والفرار

[1]– إسكندر نبيل رمزي ،الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1989،ص35.

[2]–أشرف علي دعدور،الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة،دار نهضة الشرق ،ط1،جامعة القاهرة ،يناير 2002،ص24.

[3]- ينظر محي الدين بن عربي ،الفتوحات المكية، ج2،دار الكتاب العربية ،د ت، القاهرة ،ص 527ومابعدها.

من الناس،والفرار من الأهل والولد،والفرار من النفس والدنيا لأنها تمثل العائق الذي يجعلهم يعيشون حالة الغربة ،بينما الاعتزال يمثل الخلاص لهم .

ومادام الاغتراب الزماني يتعلق بالجانب النفسي فإنه يؤدي إلى الغربة المكانية ،لان الإنسان سيسعى للبحث عن ذاته خارج مجتمعه الذي تغيرت معاييره وقيمه ،وبذلك فإن" الغربة الروحية هي نتاج لكل العوامل التي أنتجت الغربتين المكانية والزمانية معا وإن كانت تأخذ بعدا دينيا يتصل بنفس الإنسان وروحه "[1].

حيث ميز **التوحيدي** بين الغربة المكانية والغربة النفسية التي هي عنده الغربة الحقيقية وهي أشد أنواع التعذيب النفسي إذ يقول: "هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه "[2].

لان العالم الذي نعيش فيه يحول بينهم وبين سعادة أرواحهم التي تسعى إلى خلاصها الذي لا يتحقق إلا بفناء الجسد حتى تعود إلى عالمها الذي جاءت منه.

الاغتراب الفلسفي:

ويقوم تفسير مفهوم الاغتراب على عدة و جهات نظر تتبعا للخليات الفلسفية،فالفلسفة الوجودية مع **سارتر** تذهب في تفسير سبب الاغتراب إلى كون وجود الإنسان سابق عن ماهيته لذلك يحيا الاغتراب داخله و لا يمكنه أن يتخلى عنه.

والمقصود بالاغتراب الفلسفي هو النظريات التي عالجت ظاهرة الاغتراب من وجهة نظرة فلسفية انطلاقا من عدة نظريات، كما رأى ذلك من **هجيل** و**ماركس** اللذان ربطاها بالعمل والجانب الاقتصادي حيث نظر **هجيل** للاغتراب نظرة سلبية،أما المذهب الوجودي فقد ربطه بالحرية،و اعتبارا الفرد حرا من كل قيد، أما **هايديجر** فقد ربط الاغتراب بالأصل و الزيف،و اعتبر أنه لا أصل في الوجود الثابت،و بأن حالة الاغتراب تعبر عن ضد العالم الأصلي،فالزيف هو حالة الاغتراب الوجودي.

الاغتراب في الدين الإسلامي:

تجربة الاغتراب في الدين الإسلامي مختلفة كثيرا عن المجالات الأخرى،فالاغتراب بالنسبة لّدين هو اشتغال المؤمن بالعبادة و التقرب إلى الله حبا فيزهد في ملذات الدنيا و يصير الآخرين أي الناس منفصلين عنه،و يصير أكبر همه إرضاء محبوبه و التوجه إليه بالعبادة و الطاعة فالدنيا للمؤمن دار ممر

[1]- أشرف علي دعدور،الغربة في الشعر الأندلسي،ص173.

[2]- أبو حيان التوحيدي ، الإشارات الإلهية ،تحقيق : د. وداد القاضي ،دار الثقافة ، د. ط ، بيروت،1973 ،ص83.

و ليست دار استقرار و لذا وجب على الفرد أن يتحرز من الانغماس فيها،يقول تعالى في كتابة العزيز:{يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع و إن الآخرة هي دار القرار}[1].

ولأن الناس في الدار الدنيا غرباء كان عليهم أن ينصرفوا إلى عبادة الخالق و طاعته،و قد اعتبر الفقهاء أن الاغتراب أنواع ،اغتراب يتعلق ببعد الأفراد عن أوطانهم وهو مشترك بين جميع الناس.واغتراب حينما يبتعد الفرد عن عبادة الله،وهؤلاء هم من يستوحشون من الاغتراب عن الدنيا،واغترب عن الدنيا و ملذاتها بالانصراف إلى طاعة الله وعبادته فيصير مغتربا عن وطنه الأم[2].

وبذلك تعلقت ظاهرة الاغتراب في تاريخها بالإنسان في مختلف مراحل حياته،وأولها مع أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام لما كان في الجنة،وعصى المولى عزوجل بأكله من الفاكهة المحرمة لأن إبليس أغواه،وقد كان الزهد والورع التقوى الصفات الأكثر في خصال الصحابة رضوان الله عليهم،مما جسد الغربة،فالحياة الدنيا بالنسبة لهم هي الطريق إلى الجنة و هي دار ممر لا استمرار.

وبذا فمعنى الغربة في الإسلام هو الاغتراب عن الحياة،وما فيها من نعيم و ترف زائف زائل،كما أن جهاد النفس الذي هو أكبر أنواع الجهاد يعد نوعا من الغربة،وذلك ما يعرف:"باغتراب الحال وهو بالمعنى الإسلامي الابتعاد أو الانفصال عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة،وعن الكثرة التي غرقت فيها،و مفارقة شهوات الدنيا وملذاتها وزخارفها وهوى النفس ومطامعها والتمسك بتعاليم الدين الصحيح ومحاربة البدع والشبهات التي دخلت الإسلام و ليست منه في شيء"[3]،والذين يمكن أن نضرب بهم المثل هم المتصوفة الذين بلغوا أعلى درجات التقوى و الزهد و اغتربوا اغترابا روحيا لا جسديا،و يعتبر من أهم الموضوعات لأنه جسد علاقة الفرد بالدين الإسلامي.

الاغتراب عند العرب:

ظاهرة الاغتراب موجودة في كل المجتمعات،حتى ولو تباينت مسبباتها ومظاهرها التي تجلت من خلال الشعر العربي القديم،وقد كان اهتمام شعراء العصر الجاهلي بالوقوف على الأطلال أكبر دليل على ظاهرة الاغتراب،يكشف البكاء و الخوف من الفقدان للأحبة مثال قول **امرؤ القيس** :

أجارتَنا إنَّ الخطوب تنوب وإنّيُ مقيٌم ما أُقـــــامَ عَسيبُ

أجارتنا إنا غريبـــان هه نا وكُلّ غريب للغريـــــب نسيبُ[4]

[1]-سورة غافر-آية 39.

[2]-ينظر سميرة سلامي،الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري،دار الينابيع ،ط1،دمشق ،2000،ص23-24.

[3]-نفس المرجع ،ص30.

[4]- امرؤ القيس،الديوان،ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ،دار الكتب العلمية،ط5، 2004، 1435هـ ،بيروت لبنان ،ص49.

فكان صباحه و مساءه و ليله مؤرقا و مغتربا عن أهله و ذاته ،كما نجد الاغتراب العنصري مثلما هو بين العبيد و الأسياد،و مثاله **عنترة شداد** الذي تحدث كثيرا في أشعاره عن عقدة السواد والعبودية التى انتشرت بين الناس في المجتمع الجاهلي،ويمثل لونا آخر من ألوان الاغتراب في عصر ما قبل الإسلام وهو الاغتراب العنصري أو العرقي فقد تنكرت له قبيلته بما في ذلك أبوه وعمه وأذاقوه أنواع العذاب والاهانة بسبب سواد لونه وعبوديته فما اشد إحساسه بالهوان والضياع وما أقسى شعوره بالمرارة[1]،ودليل على اغترابه من قيم مجتمعة وعدم توافقه مع هذه القيم ومن ذلك **قول عنترة العبسي (من الوافر)** :

أعادي صرف دهــر لا يعادى وأحتمل القطيــعة والبــعادا
وأظهر نصح قــوم ضيّ عــوني وإن خــانت قلوبهـــم الودادا
أعلل بالمنــى قلبـــا عليلا ، وبالصّبر الجميل وإن تمـــادي
تعيّرني العدى بسواد جلدي، وبيض خصائلي تمحوا السّوادا [2]

وأسبابه متعددة في البيئة الجاهلية منها:الفقر و الجوع و التشرد وهذا ما مثله الشعراء الصعاليك مثل عروة بن الورد ،السليك بن سلكة، الشنفرى غيرهم.

وأما الاغتراب في الإسلام فأرتبط بفكرة الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي والمحافظة عليها،ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:"بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا،كما بدأ فطوبى للغرباء"[3]، فمن خلال الحديث الشريف يتضح أن معنى الغرباء هم فئة من الناس نجت،يتميزون بكونهم أهل صلاح وعبادة استجابوا للرسول صلى الله عليه وسلم، وخالفوا باقي الناس الذين خرجوا عن الحق والصلاح، فأهل الغربة هم أهل الله في كل زمان و مكان حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"طوبى للغرباء،قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟قال:أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير،ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم"[4] ،ومن شعراء الاغتراب الحلاج،المتنبي،أبو العلاء المعري وغيرهم،وبذا جسد هؤلاء الشعراء الظاهرة و عبروا عنها بمختلف أشكالها و أبعادها.

[1]- ينظر سميرة سلامي،الاغتراب في الشعر العباسي ،ص76.

[2]- ديوان عنترة ، شرح الخطيب التبريزي ،قدمه مجيد طراد،دار الكتاب العربي ،ط1،بيروت ،1412هـ،1992،ص49.،وعنترة :**ديوانه**، بيروت ، دار الكتب العلمية، 1995 ، د .ت ، ص36-46.

[3]-أخرجه الإمام مسلم و الإمام أحمد و ابن ماجه نقلا عن ابن القيم الجوزية،مدارج السالكين،دار الكاتب العربي،بيروت،دت،ج3،1972،ص189.

[4]- محمد ناصر الدين الألباني:سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،مكتبة المعارف،مج 4 ،1995،ص233 .

ولا ينفصل الاغتراب كظاهرة مهمة عن الشعر،إذ هو من الموضوعات التى كتب فيها الشعراء،فموضوعة الغربة كثرت في شعر الصدر الإسلامي،عندما كان الشعراء يشاركون في الفتوحات الإسلامية،و يعانون الأمرين بعدا عن أوطانهم و أحبتهم.

واختلف الأمر في شعر العصر الأموي يسبب تغير نظام الحكم و عم النفي و السجن بسبب الوضع السياسي الذي لم يعرف الاستقرار و وجددت الظاهرة ،تلاه العصر العباسي الذي ثأر فيه بنو العباس من الذين كانوا أعداء لهم من بني أمية،فصار النفي و التشريد جزء،من انتقامهم،و من الشعراء الذين عبروا بدقة عن غربتهم المتنبي الذي شبه حاله بالأنبياء في غربتهم.

وأبرز عصر مثل شعر الاغتراب و الغربة و الحنين بامتياز العصر الأندلسي لما فيه من انقسام و نفي و تشريد عن الوطن بعد سقوط الدولة الأندلسية و ما عناه الشعراء نفسيا واجتماعيا .

ظاهرة الاغتراب في الشعر الحديث:

شهد العصر الحديث تحولا جذريا في مختلف مجالات الحياة،وهذا التحول أثر بدوره على جميع الأصعدة اجتماعية واقتصادية وسياسية و التى تشمل الثقافة بكل تمظهراتها،ويعد الشعر من أكثر المظاهر الثقافية بروزا،وتعبيرا عن مظاهرة الحياة.

وقد ثار الشعراء على الشعر شكلا و مضمونا،فعبروا به عن رؤيتهم لجوانب الحياة، وعكسوا آلام الإنسانية و أوجاعها،و معاناة الإنسان العربي وهمومه و استطاع الشاعر أن يعبر عن كل هذا الزخم ويرصد كل الظواهر الإنسانية المتعلقة بقلقة و اضطرابه و مأساته واغترابه،وحتى تمرده الذي "يقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع ،ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع ،وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة ،والرفض والكراهية والعداء، لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير ،وقد يكون التمّرد على النفس أو على المجتمع بما يحتوي من أنظمة ومؤسسات أو على موضوعات وقضايا أخرى "[1]

و صار الشعر جزءا لا ينفصل عن حياة الإنسان المعاصر،و جسد عمق التجربة الإنسانية لأن خوف الإنسان من حاضره و معاناته فيه،و قلقه من المستقبل و التفكير الدائم في مصيره، يولد في نفسه أنواعا شئ من الاغتراب و الاضطراب و الحزن العميق و الضياع، فالشعر في جوهره هو حسن التعبير عن عمق التجربة الشعورية كان لازما أن يشمل فكرة الصراع التى هي أساس الحياة.

[1]- محمود رجب ،الاغتراب سيرة المصطلح ،دار المعارف ،2003،ص40-41.

ويعد الاغتراب من أصعب القضايا التى تأزم فكر الشاعر و تبلور علاقته بالكون المحيط به،فهي قائمة في أساسها على الحزن و اليأس و المأساة،وقد ينتج عنها الضياع والإحباط،لأنها بمثابة الدمار الذي يجعل الشاعر عاجزا،فموقف الشاعر من الأحداث المختلفة مرتبط بما يلقاه من أحداث وخطوب قد تعترض سبيله و تولد غربته و حيرته،وقد فكرة الخطيئة ارتبطت في الفكرة الإنساني بما يعانيه الإنسان من متاعب في الحياة،و بما اقترفه من آثام،فهو ملام على فعله.

ولذا عليه أن يبحث عن الخلاص بأي شكل من الأشكال ،لذلك تركز الفلسفة في كل أطوارها على القول بأن الانطواء الذي يصيب الإنسان و الماسي التى تصيبه بالقلق والتمزق كلها نتيجة اغترابه،ولذلك فإن"بعض شعرائنا المعاصرين اتخذ الدين خلاصا روحيا من أزمة الشعور بالاغتراب والملاحظ من قراءة سير هؤلاء الشعراء ،ومتابعة روافدهم الثقافية أنهم تأثروا بالفكر الصوفي في الثقافة الإسلامية والشرقية عامة ،مما وظف في قصائدهم التي امتلأت بالشخصيات الصوفية المميزة رمزا وأقنعة وعناوين"[1].

وقد تغير مفهوم الاغتراب في مصطلحه ودلالته وذك تبعا للهدف والوظيفة التي يمكن أن يفسر من خلالها، الاغتراب"تعبير عن التوتر والقلق النفسي،وضياع الذات أو استشعار الخوف من فقدان الأمن والأمان،والفرح والسعادة، والتواصل مع الجوهر الطبيعي...إنه صراع ذاتي داخلي للفرد ،وصراع بينه وبين الوسط المحيط به للخلاص من القهر والظلم والاستغلال ،والعبث والفوضى ،والزلل والخطأ،والنزاع و الاغتصاب ،والفساد والانتهاك.."[2]

فالذات الإنسانية تعاني حالة من الاغتراب سببها العجز و اليأس أمام ما يحيط به ،وعجز الذات أول بوادر الاغتراب،فلو استطاعت هذه الذات أن تحقق ذاتها و هي في علاقة صافية مع الذات الإلهية نجحت و إن لم تستطع فقد وقعت في شراك الغربة،فأصعب صور الاغتراب حينما يستكين الإنسان و يسلم نفسه للعوامل الخارجية.

فالزمن يعبر عن الوجود الإنساني بكل بمظهراته الاجتماعية و النفسية و الثقافية و السياسية ، ويصهرها في ظاهرة الاغتراب التى تمثلها الحياة و التى تجسدت في قضايا الالتزام التى تبناها الشعراء في العصر الحديث و من ذلك تراوحت فكرة التحضر و التمدن بين موافقة الإنسان و معاناته من الاغتراب،و الشاعر أكثر الناس حساسية لهذه المواضيع إن محاولة إعطاء تعريف شاف و كاف

[1]- كامليا عبد الفتاح ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي ،دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية،2008،ص205.

[2]- حسين جمعة ،الاغتراب في حياة المعري وأدبه ،مجلة جامعة دمشق ،المجلد 27،العدد الأول –الثاني ،2011،ص24.

لظاهرة الاغتراب،أمر صعب فالتعريف في هذا المجال فيه نقص،ومع ذلك فهو وعي الشاعر بما حوله من أحاسيس.

وقد ارتبطت ظاهرة الاغتراب بالمذهب الأدبي الرومانسي،و المذهب الأدبي الواقعي،فصورت من خلالها الوعي بلغة شاعرية في صورة حديثة.و ما إن يختلط الشاعر بالواقع و تتأزم نفسه يسبب ما حوله،حتى تظهر ظاهرة الاغتراب في إحساسه باللاأمن والاضطراب والفوضى و هذا التعبير في حد ذاته سقوط باللغة و الصورة والموسيقى .

بعد هذا العرض الموجز عن الظاهرة و محدداتها،و أنواعها و أشكالها سنحاول أن نربطها بموضوعنا،ونعبر عن علاقتها بالشاعر **محمد الفيتوري** [1]من خلال ديوانه **يأتي العاشقون اليك**،وطبيعي أن يتمحور شعره في تمظهرات تحددها ظاهرة الاغتراب التى برزت من خلال الحقول المعجمية المتعلقة بالطبيعة والإنسان،حين غرب عن وطنه الأم ونفي خارجه،فكلما تغلغل هذا الشاعر في التعبير عن مكنونات الظاهرة زادت من فهمه ووضحت رؤيته اتجاه قضايا مجتمعه.

فشاعرنا **محمد الفيتوري** قد اغترب مكانيا،واجتماعيا حينما نفي من وطنه السودان،وعاش مغتربا في البلدان العربية :المغرب–تونس طرابلس،وظل يعبر عن هذا الاغتراب بأنواعه،فتولد عن ذلك غربة سياسة لان الشاعر اشتغل كدبلوماسي وصحفي خبر القضايا الاجتماعية لشعبه والأمة العربية ككل،فرأى أن ماضي الأمة خير من حاضرها، وأن مستقبلها سيكون خيرا من حاضرهما،فنظرة التفاؤل طبعت شعره،وقد عبر عن اغترابه الذاتي بنزعة ميتافيزيقية تتجاوز الزمان والمكان يخذوها الاغتراب الديني في جانبه الصوفي،لأن الفيتوري عاش ظاهرة الاغتراب بأنواعها وعبر عن أزمة المجتمع الحديث،وعن عجزه وإخفاقاته وانسلاخه عن حضارته وهويته.

ولذا عليه أن يبحث عن الخلاص بأي شكل من الأشكال،لذلك تركز الفلسفة في كل أطوارها على القول بأن الانطواء الذي يصيب الإنسان والمآسي التى تصيبه بالفلق والتمزق كلما نتيجة اغترابه.وعلى اعتبار أن الموضوعاتية سيكون المنهج الذي اعتمدته لتتبع ظاهرة الاغتراب في شعر الفيتوري من خلال ديوانه يأتي العاشقون إليك.

---

[1]– الشاعر محمد الفيتوري ولد في الجنينة عاصمة دار مساليت الواقعة على حدود السودان الغربية كان في سنة 1930م شاعر سوداني معاصر،حفظ القرآن الكريم بالمعهد الديني و الأزهر الشريف،و درس بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ،و لكنه لم يتم دراسة الجامعية ،و عمل محررا بالعديد من الصحف السودانية و المصرية ،و عين خيرا إعلاميا بالجامعة العربية ما بين عامي 1968 –1970م ثم عمل مستشارا إعلاميا بسفارة ليبيا بالمغرب، ألف أول ديوان له عام 1955م (أغاني إفريقيا 1964) الذي كان ثورة على الاستعمار،و من دواوينه كذلك (عاشق من إفريقيا)(اذكريني افريقيا1965)،و مسرحيات شعرية منها (ثورة عمر المختار)1974م،و ديوان يأتي العاشقون اليك ،شرق الشمس غرب القمر، آخر ديوان له سنة 1995معربان يرقص في الشمس،ولازال يعاني المرض منفيا في المغرب،ينظر محمد الفيتوري،الديوان،مج2،دار العودة، بيروت ،1979 ،ص5الى 50.

يضم الديوان شهادات للشاعر اعترف بها واصفا غربته ومتسائلا عن أسبابها ومعبرا عن ألامه وما يعانيه أبناء وطنه من مشاكل اجتماعية أهمها الطبقية والعنصرية المتعلقة بالزنجية التي عانى بسببها كسوداني ،ومن خلال نضج وعيه واتضاح معالم رؤيته ،واكتشافه لمكونات هويته المسلوبة ،وكرامته المداسة وأرضه المهانة وشعبه المقهور والتي تجاوزها هاربا من خلال،التصوف ،التجاوز،العشق ،الجنون، الموت ،الخلود ،الشكل الفني الإبداعي ،الإيقاع الموسيقي الشعري.

من خلال القراءة لديوان الشاعر محمد الفيتوري :-يأتي العاشقون إليك الصادر سنة 1992،الطبعة الأولى الصادر، عن دار الشروق بيروت،حاولت تتبع القصائد ومقاطعها وعناوينها وهي :

جدول لإحصاء قصائد الديوان:

القصائد	عدد الأسطر	عدد المقاطع	السنة	المكان
-قصيدة الرياح	86سطر	5مقاطع شعرية	.1990	الرباط
-التراب المقدس	73سطر	6مقاطع شعرية	1987	الخرطوم
الى نيلسون مانديللا	62سطر	5مقاطع شعرية	1989	طرابلس
-إنها مصر	61سطر	3مقاطع شعرية	1989	القاهرة
-ليس طفلا وحجارة	61سطر	3مقاطع شعرية	1988-01-21	الرباط
-وقال مسعود الحكيم	98سطر	7مقاطع شعرية	1987	الرباط
-المتنبي .	89سطر	5مقاطع	1977-05-11	بغداد
-إلى فتحي سعيد	28سطر	مقطع واحد	1989-25-1	الرباط.
-مقام في مقام العراق	95سطر	5مقاطع	1988	الرباط.
-ركعتان للعشق تحت شمسها	52سطر	مقطعان	1998 -06-01	الرباط.

-بقدر ما تسع السماء	96سطر	5مقاطع	1998-03-03	الرباط.
-هوانا	31سطر	مقطعان	دون تاريخ	مكان
-يأتي العاشقون إليك بغداد	163سطر	8 مقاطع	40-11- 1990	الرباط.
-الرجل المتحدر تحت الصنوبر	47سطر	4 مقاطع	دون تاريخ.	لا مكان
-رؤيا	29سطر	مقطعان	1989-09-02	الرباط.
-ذات يوم	10أسطر	مقطعان	دون تاريخ	مكان
-المماليك	19سطر	مقطع واحد	1990-5-13	الرباط.

الفصل الأول:

الاغتراب المكاني والوجودي

في شعر الفيتوري

تمهيد:

ظاهرة الاغتراب قديمةٌ في الوجود الإنساني،فالعلاقات التى تجمع أفراد المجتمع ببعضهم البعض متعددة لان الانسان اجتماعي بطبعه،ولكن ردود الأفعال بين الأفراد مختلفة حسب طبيعة الشخصية،وتشكلها بواعث أساسية لوجوده فهناك من تجعله يتمرد ويثور باحثا عن التغيير،وهناك من يستكين ويرضى مستسلما.

بيد أن اغتراب الشاعر **الفيتوري** لم يكن واحداً في تصنيفه بل اتخذ عدة أنماط: فهناك الاغتراب الاجتماعي، والسياسي، والوجودي ، والمكاني ، والروحي ، وهنا نشير الى أن الغربة واحدة حتى وان تعددت أشكالها مثل الانعزال،والشكوى، والتطلع إلى المثالية،أما تسمية الاغتراب بالاجتماعي،أو بالسياسي،أو بالنفسي فذلك له علاقة مرتبطة بأسبابه التى حددته،وذلك ل "ان كل تحليل للخطاب يجب أن يبدأ بالتعريف بما نسميه أحيانا الجهاز الشكلي للحديث أي وضع مختلف الفاعلين في الحديث داخل النصّ"[1]

كان علينا تحديد أشكالها وأسبابها ،فالغربة التي أحس بها الشاعر الحديث ناتجة عن إحساسه بأنه يعيش وسط أبناء جنسه غريبا عنهم،إنه اغتراب عن مجتمع انعدمت فيه القيم وسادت فيه التقاليد،والشاعر الحديث إذ يشعر بالاغتراب عن منابع ذاته الحقيقية يشعر في الوقت نفسه بالخيبة والألم، فينمو لديه شعور حاد برفض النظام الذي يسير عليه العالم.

ولان ظاهرة الاغتراب تمثل الموضوع الأساس في شعر **الفيتوري**فقد صاغ منه قضية إنسانيّة كبرى؛ إذ تولّد من هذا الموضوع المركزي مواضيع فرعية،كما الشجرة التي يتفرع من جذعها غصون وغصون، أما جذرها فثابت في الأرض ويشكل البؤرة النفسية ونواتها ومنه كان تحديدنا للعناصر التى ستكون موضوع الدراسة في هذا الفصل وأولها العنوان .

1-محددات الاغتراب من خلال العنوان:

تعتبر ظاهرة الاغتراب في الشعر عموما وفي الشعر العربي المعاصر خاصة من أهم المواضيع التى تناولها الدارسون والنقاد بالبحث ،والاغتراب بوصفه ظاهرة في الأدب العربي كان وما زال شديد الاستجابة للمقتضيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العصر، فلا ينمو الاغتراب بعيداً عن المناخ العام للمجتمع. ونتيجة لمرارة تلك الأوضاع وتوالي النكبات والهزائم السياسية التي يمر بها الوطن

[1]- Catherine Kerbart Orecchini ,L'énonciation de la subjectivité dans le language ,Armand Colin,Paris,1980,P158.

العربي ،ففي قصائد الديوان تطلع الشاعر لعله يلمح ملامح حبيبه (الوطن)، لكن الوطن المعشوق تغيرت ملامحه ولم يعد هو الذي يعرفه الشاعر.

ومادام أول ما يلقانا من القصيدة عنوانها ،فعليه تقع أعيننا ،وإن كان هو آخر كلماتها وحركاتها، وما تولد عنها[1]،فإن اختيار الشاعر له مقصد ودلالة وهي تتمثل في تحديد الوجهة التى يقصدها الشاعر الذي غرب عن وطنه والجميع يعرف وطنه المعشوق الذي نفي منه ،كما أن الدفع به إلى موقع الصدارة كان عن قصد ووعي.

ونجد العنوان يجسد دلالات الاغتراب "يأتي العاشقون إليك "،فالفعل المضارع "يأتي" يدل على الانتقال والذهاب من مكان الى أخر، والذات متجلية من خلال كلمة "العاشقون" التي تدل على من اتصفوا بهذه الصفة، والعشق هو الحب الشديد للشيء والعاشق هو من أحب حبا شديدا وهنا جاءت الكلمة بصيغة الجمع ،"إليك" جاءت مكونة من "الي" حرف الجر وكاف الخطاب الدالة على المخاطب المفرد ،وبذلك تظهر دلالة الغربة المكانية والاغتراب النفسي الذي يعيشه الشاعر.

2- محددات الاغتراب المكاني عند الفيتوري :

يتجلى تفسير ظاهرة الاغتراب التي عناها الشاعر من خلال العودة إلى الظروف التي عاشها في الطفولة والماضي،وما كان يطمح إليه ،لأن غربته المكانية خارج الوطن كانت مبكرة من جهة،وطويلة من جهة أخرى،ولكنه في الوقت الذي أحس فيه بآلام اغترابه المكاني،وفي لحظات انفعالية حادة،ينسى طموحه الشخصي،ويتمرد على مكابرته وكبريائه،يعود إلى ماضيه إلى وطنه،فيرى أبناء وطنه، في فقر وحزن ومرض بإزاء وحشية أوربا وجرائمها،وبذلك يمكننا تحديد عناصر الاغتراب المكاني بما يلي:

أ-التشرد عن الوطن والمنفي:

لقد تغرب الفيتوري عن وطنه،وعانى من اغترابات شتى:مكانية واجتماعية ونفسية حتى آمن بأن الاغتراب هو التجدد ،والتمرد والثورة التي تحقق الحرية وتجلب الخلاص ،وارتبط الاغتراب بأسباب نفسية وظروف اجتماعية عاشها الشاعر فقد عاشت أسرته التشرد والضياع: "وعرفت أسرته الهجرة غير مرة ،إذ أن الوالد قد هاجر من ليبيا الى غربي السودان ،قبيل الحرب العالمية الأولى ،مع من هاجر

[1]- ينظر: الغذامي، عبد الله محمد: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جده، 1985، ص261.

من أبناء ليبيا بسبب وطأة الاستعمار الايطالي ،وتحت ظروف تكاد تكون شبيهة بالظروف التي اضطرت أبناء لبنان وسوريا الى الهجرة في القرن التاسع عشر"[1].

فهجرة أسرته كانت أهم دافع جعل الشاعر ينتقل من وطنه السودان،ولعل الشعراء المهجريين الذين عبروا عن تشردهم عن أوطانهم من خلال المذهب الرومانسي كانوا قدوة للشاعر ولذلك "نحس أن الرومنطقية لم تعد"مرضا"فرديا،وإنما أصبحت قوة عجيبة في قدرتها على الربط بين الحزن والصلابة، بين الانتظار والاستمرار في النضال،وهي رغم الاستغراق الشديد في بحر الأسى، ترى بوعي شديد أن هذا الأسى يجب ان لا يقف حالا دون الصمود الدائم"[2]

إن الوضع الذي عاشه الشاعر **الفيتوري** كان أهم باعث في تشكل الغربة الوجودية والمكانية ، فالنفي من الوطن والتشريد والضياع في البلدان العربية جعل الفيتوري يعاني الاغتراب المكاني "ومن غربي السودان هاجرت الأسرة الجديدة،إلى مصر (الإسكندرية)حيث نشأ محمد وترعرع"[3]،كيف لشاعر أن يعيش مشردا عن وطنه منذ طفولته ولا يكرس دواوينه للتعبير عن هذا القهر والعزل،ومادام الشاعر مرغما في اغترابه المكاني عن وطنه فإن الشعر ملاذه لينفس عن هذا القهر .

فإذا ما اقتربنا منه لمسنا ذروة اغتراب النفس، واغتراب المكان واغتراب الجسد،وهكذا يظهر لنا الاغتراب من خلال تلك النفوس الطامحة و الأرواح التي تتوق إلى العلو لأنها وجدت في الأرض جحيماً لا يطُاق، والاغتراب كما سبق أن ذكرنا،قضيةً تناولها الفلاسفة بالدراسة والمفكرون بالتحليل من خلال ربطها بالجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ولقد عانى الإنسان العربي في هذا الوضع وبخاصة المثقف،من الاغتراب بأنواعه، فكان رد فعله إما أن ينسحب من الواقع ويصبح في الهامش ،أو أن يرضخ لهذا الوضع ويندمج في مختلف المؤسسات،أو أن يكون متمردا ثوريا، أو يهاجر طلبا للعيش الكريم والراحة، وقد كان موقف **الفيتوري** أنه اختار أن يعيش متمردا ثوريا مشردا في البلدان العربي" لأنه إما أن تمتزج بالمجتمع الجديد وتصير واحدًا معه، أو أن تعيش وجع المنفى واغتراب الروح والأرق المكرَّس للأبد، وهذا الوجع والاغتراب والأرق هو ما يعيشه أغلب الأدباء المنفيين."[4]

يصور حزنه العميق وألمه الكبير ، بما يعانيه هذا الوطن من انقسام وتفرق ،و طمع من قبل الأعداء به، فنجد أن ذاكرته ووجدانه تحمل صورة مشرقة ومضيئة للوطن ،بينما واقع الحال يكشف لنا عن

---

[1]- محمد الفيتوري ،الديوان ،مج 2، دار العودة، بيروت ،1979،ص9.

[2]- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 1، 1978، الكويت،ص63.

[3]- محمد الفيتوري ،الديوان ،ص10.

[4]- ينظر لطفي حداد، خواطر في الأدب العربي المهجري المعاصر،http://syrianstory.com/comment31-4.htm

عمق المأساة لما يبصره على أرض الواقع الذي يجسد وجع الأيام والإحاطات اليومية المتكررة ، التي جعلت الشاعر يبكي مع الدمع دما دلالة على التأثر النفسي الشديد بالمكان العربي.

فهو يأمل أن يكون وطنا واحدا موحدا غير مقسم ، فالتقسيم يزيد من شتات أهله ،فمن كثرة تقسيمات الوطن العربي أصبح الشاعر يجهل عناوينه ولذلك يصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتُصب ، أو إذا حرِمت منه الجماعة ، ولذا فإنه يكتسب قيمة خاصة ودلالة مأساوية بالنسبة للمستعَمرين والمنفيين.

ولعل من الأسباب الرئيسية أمام اغتراب المثقف العربي،الضغوط السياسية التي تمارسها السلطات على المثقف، وصدمته بسبب الفشل للمشاريع التنموية القومية،وقد انعكس هذا الوضع على الشاعر العربي المعاصر بسبب تعقيد الحياة وسوء أحوال المجتمع،ولهذا فقد عاش في اغتراب مزدوج لأنه انسان ولأنه شاعر مرهف الإحساس"ولا شك في أن اغتراب طليعة الشعراء في هذا القرن وفي الحقب اللاحقة،قادهم إلى محاكاة الرومانسية الغربية،يستوي في ذلك شعراء الوطن العربي والشعراء العرب في المهاجر،فاتخذوا من الليل أنيساً ،وتاقوا إلى حياة الكوخ،واعتزلوا المدية،وتغنوا بالألم،وصار الحزن نديماً لهم"[1]

وما يدعم ذلك أن **محمد الفيتوري** عرف التشرد عن الوطن منذ صباه "ومحمد الفيتوري عرف الهجرة والغربة منذ طفولته،وصار شاعرا كبيرا وشريدا طريدا لا يهدأ ولا يستقر،شاعرا يعيش متجولا على أرصفة الوطن العربي،تستقبله عاصمة عربية وتحتضنه،وتجلده عاصمة عربية أخرى وتطارده"[2]،وقد عبر الشاعر عن ذلك من خلال قصائد عدة،عن هذا التشرد عن وطنه .

إن اغتراب الشاعر الروحي خارج الوطن،وفي داخله، تعادله عودته إلى وطنه السودان ،فقد شرد عنه ونفي في أرجاء الوطن العربي وفي عودته تلك يثوى أمله الوحيد في استعادة عافيته وتجاوز غربته، وقد حدد **الفيتوري** بوطنه السودان وإفريقيا عموما رمزين حيين خالدين ارتبطا باسمه، ولكن هذا الوطن طعنه في صميم أحلامه وأسلمه للمرض والفقر،وحين عجزت المدن العربية، والغربية عن مداواته، ولم تقدم له سوى الوعود الكاذبة بالشفاء، والحلم وحده، فليس للشاعر من مرفأ أخير يقضي فيه بقية حياته:سوى الحلم. وكما كانت بلده ماضيه وحاضره وغده، فإنّ الحلم هو أزمانه الثلاثة،يقول في قصيدة **رؤيا:**

[1]- محمد راضي جعفر،الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد دراسة،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،1999،ص3.

[2]- محمد الفيتوري ،الديوان،ص6.

خارجاً من ..دمائك
تبحث عن وطن فيك
مستغرق في ..الدموع
وطن ربما ضعت خوفاً عليه
وأمعنت في التِّيه كي لا يضيع
أهو تلك الطقوس؟
التي ألبستك طحالِ بها في عصور الصقيع!
أ هُو تلك ..المدائن؟
تعشق زوارها،ثم تصلبهم في ..خشوع
أهو تلك الشموس ..؟
التي هجعت ..فيك
حالمة بمجيء ..الربيع
أُهو ..أَنت؟
وقد أبصرتك ..العيون
وأبصرتها في ضباب الشموع![1]

في هذا المقطع يصرح **الفيتوري** أن ما دفعه الى الاغتراب هو الزمن في حد ذاته هذا الزمن الذي يجعله مرتحل ومتغرب عن وطنه لان الظروف المختلفة تجعله يعيش حالة القهر هذه ويبرر غربته لوطنه الحبيب ،ثم ينطلق في رسم لوحة فنية متناسقة لهذا الحبيب الذي حرم منه ،فيستهل قصيدته محددا موضوعها الوطن،هذا المستلب المغتصب الحقوق تتنازعه الذات و الأخر،الذات التى هي في علاقة انفصام عن كيانها بعد أن كان، وضعها مزري من جراء ما عانته من ظلم فهي خارج من دماءها .
إن ما يعمق ظاهرة الاغتراب المكاني للذات أنها باتت تبحث عن وطن في داخلها لآن المكان الوطن مستلب منها،وسلاحها في هذه القضية الدموع بذلك تضيع الذات في رحلة بحثها عن وطنها و لعل محدد الضياع هو حالة التوهان التى أصابت الذات حتى أمعن فيها حتى لا يضيع وطنه.

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،دار الشروق،القاهرة ،ط1، 1992، 1413،ص150.

ولرسم صورة هذا الوطن الموضوع تتكثف الدلالة في الخطاب بتضافر الحقل المعجمي المتعلق بالطبيعة حتى تكمل مقصدية الخطاب الشعري في المقطع الموضوع الوطن فتجسده في صورة هيكل ديني مقدس"الطقوس-المدائن –تعشق زوارها-تصلبهم في خشوع-الشموع"،إن ما يعمق سيطرة وانسلاخ الذات في الأسطر الشعرية هو اغتراب الذات عن موضوعها الوطن.

صورة هذا الوطن التى تجعل طقوس عبادة ترددها الذات والحفاظ عليها،فتغدو الذات مجرد طحالب نمت في هذا الوطن في عصور صقيع مضت،هذا التعتيم والاستهزاء بالذات يجعلها تعاني الاغتراب المكاني لأنها لم تستطيع أن تجد ما يحي ذاتها،يتساءل الشاعر عن حقيقة هذا الموضوع،الوطن هل هو طقوس أم مدائن تعشق زوارها،فصارت الذات هنا مجرد زئر لا يملك حق الإقامة الدائمة،ويكون مصيره الصلب في خشوع،هذا الصلب يكون للأبناء المخلصين في هذا الوطن فهو القتل المعنوي والمادي هذا الوطن لم تستقر صورته على معالم المحددة،هل هو شموس،هجعت في الذات،أم هو الذات نفسها،الشموس =الوطن =الذات، الوطن =الذات.

هذا الاختزال كعملية رياضية يجعلنا ندرك أن ما يصرح به الشاعر في هذا المقطع أن كل ما ُمرس ضد هذه الذات من ظلم و تعتيم يحقق هدفه و هو سلب الوطن كموضوع من الذات،ولكن نبرة التفاؤل والأمل في استرداد الوطن تلازم الشاعر،و يظهر ذلك جليا من خلال الجملة "حالما بمجيء الربيع" فالحلم هنا هو نظرة الى المستقبل و الربيع هو الازدهار و الأمل في التحقيق علاقة اتصال الذات بالموضوع الوطن.

عندما نكتب عن شاعر عربي **كالفيتوري** فإننا بالتأكيد نكتب ونصب أعيننا أنه كتب قصائده في المنفى؛عاشت قصائده في المنفى وماتت في المنفى دون أن يصبح لها شهرة كما أصبح للشعراء الرواد،لأنه لا يعترف بقوانين التمييز العنصري والظلم والانتماء.

الشاعر **محمد الفيتوري** أحد المنفيين من وطنه حيث لم يعد المنفى مجرد حرمان من العيش على أرضه التي تتوق نفسه لازدهارها وحريتها، فحضوره فيها ليس الا غيابا لأنه، بعد أن غنى وعاش وسيموت لأفريقيا لم يعد قادرا على الحراك فقد أقعده المرض والعجز في منفاه وكأن به في قصيدة" **هوانا** "يتنبأ بمصيره يقول:

آه يا ذاكرة الأرض

لكم ثقُلتْ أقدامُهم فوق ثرانا

والدُّجى كان بطيئاً

والأسى كان مُرًّا شَفَتُه شفتانا [1]

في نبرة تحسر وتوجع تصرخ الذات بأن الأمة العربية هي ذاكرة الأرض لأنها حضارة تشهد بالصدق،وتبوح بما اقترفه اليهود من جرائم فوق تراب فلسطين هذا العذاب والظلم أعلنه الشاعر لونا "السواد" من خلال لفظة الدّجى حتى يكشف عن الصورة القائمة وعن القهر الذي يعانيه الفلسطينيون من جرائم هذا العدو،و ما نتج عن هذا الظلم من آسى أعطاه الشاعر طعما "مرا"ليجسد حقيقة هذا الظلم والتعدي.

يتناول الشاعر في **قصيدة الرياح** موضوع الوطن بنزعة تأملية بحتة تنقل المحسوسات إلى عوالم مجردة، وتشخصها بحيث تغدوا معبرة عن رؤاه،وما يقدم لهذا الوجود فموضوع الأرض في القصيدة يشكل النواة الدلالية أو نقطة المرتكز التي تجلب إليها باقي عناصر الموضوع.

"إن قصيدة المنفى جزء أصيل من شعر الاغتراب عند شعرائنا المعاصرين ،فالمنفى يشتمل على الإحساس بمعاناة الغربة المكانية والغربة النفسية ،وتصوير الصدام بين الشاعر وبعض أنظمة مجتمعه والتعبير عن صراع الشاعر بين تناقضات كبرى هي:حزنه لاستغناء الوطن عنه،وحنينه الى الوطن،واعتباره للمنفى مخلصا من القهر –في صورته السياسية أو الفكرية –ورمزا للاستلاب في ذات الوقت"[2] .

ولأن الأرض بالنسبة للشاعر أمه التي ابعد عنها وغرب عنها رغما عنه ،فإنه يجسد في قصيدة الرياح هذه الغربة المكانية عن أرضه ووطنه السودان الذي شرد عنه،فالأرض في نظره متعلقة بمنشئها الأول بعالم الأفلاك ،ولكن شيء جوهري تكسر فيها،فالأرض معادل موضوعي للوطن، والشاعر هو ذلك الشيء الذي قد تكسر فيها، هذه الصورة التي قدمها الشاعر من خلال توظيفه ل"ربما" والأفعال الناقصة "تزل،ظل ،كان،كنت"هذا التركيب الجملي يجعل السامع في حالة من الشك والارتياب يزيلها الاستدراك ب "لكن "،فالأرض في صورة فلكية لكن شيئا فيها تكسر،و ربما ظل شبابك الذي رمز له "ببستان صيفك" في خير ،ولكن ما ينتظرك من هموم كبير وكأنه برق عواصف ذات لون أحمر تتوعد من يظن نفسه في سياج وحصن من خطرها.لا تظن أن ما تؤدي من طقوس سيحميك كاعتقاد المجوس في نارهم يقول:

ربَّما لَمْ تَزَلْ تلكم الأرض

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص121.

[2]–كاميليا عبد الفتاح ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي ،دار المطبوعات الجامعية،الإسكندرية،2008،ص93.

تسكن صورتها الفلكية

لكن شيئاً على سطحها قدْ تكسَّر

رُبَّما ظل بستانُ صيفك

أبْيضَ في العواصف

لكنَّ بَرْقَ العواصف

خلف سياجكَ أحْمر

رُبَّما كانَ طقسُك ، ناراً مجوسيَّةً

في شتاءِ النعاس الذي لا يُفَسَّرْ[1]

تجسد "**قصيدة الرياح**" الاغتراب المكاني عن الأرض الأم والتي صورها في صورة فلكية ،وجعلها معادلا موضوعيا للأرض ،ورمز للإنسان الذي يسكنها بالشيء الذي تكسر ،هذه الصورة التي رسمها الفيتوري وعنونها بقصيدة الرياح ،تحمل معاني عدة فالرياح في اللغة إذا جاءت مفردة دلت على السوء والعذاب ،وإذا جاءت جمعا دلت على الخير "الرياح"،يقول الطبراني:"حدثنا معاذ بن المثنى ثنا مسدد ثنا خالد عن حسين (ح). وحدثنا عمر بن حفص السدوسي ثنا عاصم بن علي ثنا أبي عن أبي عن الرحبي وهو الحسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم :"إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ومد بيديه وقال :(اللهم اني أسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به،اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ،اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها رياحا)[2].

كما ورد في الحديث الشريف أن :"الّريح من روح الله أي من رحمته بعباده "،هذا فيما تعلق بلفظة الرياح في المعنى اللغوي ،ولكنها في القصيدة تحمل دلالة التغيير ،والرغبة في الثورة والتمرد يقول:

رُبَّما كُنْتَ أَصغر

ممَّا رَأَتْ فيكَ تلك النبواءتُ

أَو كنتَ أكْبر

غير أنك تجهل أَنَّك شَاهِدُ عَصْرٍ عتيقْ

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص16.

[2]-ينظر الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،المعجم الكبير،تح وإخ حمدي عبد المجيد السَلفي ،مكتبة ابن تيمية ،القاهرة،مج 11،ص213 – 214رقم الحديث 11533.

وأن نَيازِكَ مِنْ بشرٍ تتحدَّى السماء
وأن مَدَارَ النجوم تغير[1] !!

تغدو الرياح رمزا للتغيير،وينتقل هذا الأمر من الأرض إلى الكواكب ،فيغدو الفرد راغبا في الثورة من اجل تغيير وضعه في المكان الوطن ،ولأن التركيز على المكان في الشعر يعطيه عمقا وبعد انتمائي للوطن،وبذلك تتوسع دائرة الانتماء في نفس الإنسان ،ويتقوى الوعي الانتمائي لديه ، وتشحذ في داخله مشاعر الحس القومي،كما أن الشاعر من خلال إضفاء البعد الانتمائي للمكان يعكس بلورة الجاذبية التي تحدد الهوية والإنسانية ،و الانتمائية للمكان – الوطن– تعكس التمسك به وعشقه ،والتضحية من أجله ضد القوى المعادية ، فهو ممتدح عند الشاعر ؛ لأنه مرتبط بقيمة الحماية وبقيمة تحقيق الذات ، لأن جاذبية المكان في هذه الحالة تتلاشى وتنعدم بغياب الحماية،و بسبب فقدان المكان لأبعاده الجمالية،يقول:

هَا قَدْ انطفأتْ شرفاتُ السِّنين
المشعَّةُ بالسِّحْرِ واللُّؤْلؤ الأَزليِّ
وَأَسْدَلَ قصْر الملائكة المنشدينَ سَتائِرهُ
وكأنَّ يَداً ضَخْمَةً نسجت
أُفقاً مِنْ شراييِنها
في الفضَاء السَّليمّى
هَا قَدْ تداخَلَتْ اللُّغَةُ الُمستحيلةُ
في جَلَل الشَمْسِ وَالظُّلَمات
كأنَّ أصابعَ مِنْ ذَهبٍ تَتلَمَّسُ
عبر ثقوب التضاريس
إيقَاعَها[2]

يريد الشاعر من الطبيعة أن تعبر بدلا عنه ، عن كل ما عاشه من تشرد وألم وأن تبوح برغبتها في الثورة والأمل ،حتى تشارك كل الكائنات في هذه الثورة العارمة التي ينجو منها شيء فتستعد لاشتعال الثلوج يقول :

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص17.
[2]- نفس المصدر ،ص17-18.

تَلكُمْ الكائِنَاتُ التي تتضوَّعُ في صَمتِهَا
لم تُغَادِر بَكاراتِهَا في الصَّبَاح
وَلَم تشتعل كرة الثَّلْجُ بَعْد ... [1]!

هذه الحياة التي ثار في وجهها الشاعر حبسته عن تقبل هذا المشهد الدرامي الذي يجسد كرهه للمدينة التى تعبر العجز ،بكل عناصرها عن الضياع و التوهان ،والذي هو جزء من الاغتراب المكاني،الذي عاشه الشاعر يقول:

فَأَيَّةُ مُعْجِزَةٍ في يَدَيْك
وَأَيَّةُ عَاصِفَةٍ في نَهارِكْ
((إنِّي رأيتُ سُقُوطَ الإله
الذي كانَ في بُوخارِسْت [2]

ضرب حريق مدينة بوخارست وأدى إلى تدمير ثلثها ،في عام 1861، هذا الحدث التاريخي[3] كان له حضوره الفعال في القصيدة لان الشاعر يتحدث عن كوارث شابهت هذه الحادثة التي دمرت مدينة بأكملها يقول:

كما لَو هوى بُرْجُ إيفل في ذاتِ يَوْمٍ
كما لَو طغَى نَهْر السِّين
فَوْقَ حوائط باريسْ
كانَ حَرِيقُ الإله الذي
مَاتَ في بُوخَارِسْتَ عَظيماً
وَكانَ الرَّمادُ عَظِيماً
وَسَالَ دَمٌ بَارِدٌ في التُّرابْ

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 19.

[2]– نفس المصدر،ص 19.

[3]– مدينة بوخارست الرومانية مقر إقامة الأفلاق، وقد تعرضت **المدينة بوخارست** للحرق من قبل العثمانيين وللتجاهل لفترة وجيزة من قبل الأمراء في بداية القرن اللبع عشر،هذه المدينة التي تعرضت للتدمير جزئياً، وأعيد بنائها عدة مرات في الأعوام اللاحقة، وضربها الطاعون في 1813-1814، قد انتزعت من تحت السيطرة العثمانية واحتلت في فترات عدة، وفي 23 مارس 1847 ar.wikipedia.org/wiki/ بوخارست.

وَأُوصَدَ بَابْ
وَهُرِبَ بَابْ [1]

فهذه الكوارث المتوالية دمار المدينة الرومانية وتوقعه لسقوط برج إيفل،وتدمير نهر السين لحوائط باريس،فسقوط تماثيل الآلهة كان حريقا مهولا ،خلف رمادا كثيرا، وصفه الشاعر بالعظمة لان الذي أُحرق اله، حتى أن دمه كان باردا سال على تراب الوطن وأغلقت الأبواب بإحكام ،لان الذي حكم أراد أن يقضي على كل معالم المدينة .وفي ذلك يقول محي الدين صبحي:"وشعر الفيتوري بوجه عام .لا يفهم إلا بمعرفة خلفيته التاريخية.لكن نمط وجود الحادث التاريخي.يختفي وراء ظواهر كونية يؤديها الشاعر بنوع من العرافة"[2]

ولذلك فالشاعر قد واجه غربته بالتمرد، تمرد ضد الموت المجاني الذي يحصد يوميا آلاف الناس، ومواجهته بالموت من أجل الحرية فالأول لا قيمة له، ولا قيمة للحياة قبله، كما تولدت من تجربة الضياع والنفي الإبعاد. فالنفي والغربة التي يشعر بها الفنان وهو يجوب العالم بعيدا عن أرضه، إنما تعني أن يواجه الشاعر فقدان حريته، وأن يواجه موته مع كل منفى جديد.

و **الفيتوري** ممن يؤمنون بوحدة الأرض العربية، ولا يعترفون بالحدود الجغرافية داخل الأرض، لأنها تتداخل مثلما تتداخل الأزمنة والخصائص واللهجات ،وبذلك يهرب الشاعر إلى ماضيه الجميل حيث السرور والبراءة ،ففيه تختزن ذكرياته ، وبذلك كان له أن يأسف على ماضيه، لأنه بتمسكه به لم يعرف الاغتراب، في الوقت الذي غرق فيه حاضره الراهن في الاغتراب الروحي، وحينما يستدعي الشاعر ماضيه والعوالم البعيدة مخاطبا الأفلاك وماضي تليد فهو يستدعيهم لغاية التصبر وكأنه يخرجها من بحر الغربة والضياع.

ب–ضياع الهوية:

إن المكان بشكله وملامحه المادية والمعنوية يعطي طابعا خاصا للهوية الذاتية القومية والحضارية ، ويشكل بذلك كيانا مستقلا للإنسان ،ولهذا نجد المكان بملامحه المادية ،وشكل الأبنية فيه ذات طابع رمزي دال على هوية حضارية أو قومية محددة لهذا الهوية ،ولهذا حرص الإنسان على مكانه في ذات الوقت الذي حرص فيه على هويته وكيانه.

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص19–20 .

[2]– محمد الفيتوري ،شرق الشمس غرب القمر،دار الشروق ،ط 1 ،1413،1992،القاهرة ص11.

فالهوية مرتبطة بالمكان وتعبر عن واقع المجتمعات والأفراد "فالفيتوري –وعلى حد تعبيره – فقير،وأسود،وبشع ،وهذا الثالوث من الفقر والسواد والبشاعة جعل منه إنسانا ،يحس مأساته ذات عبء ثقيل ،نهشت كيانه ،فجعلته يصب شعره ،نارا محرقة ،وحقدا اسود ،وتمردا عنيفا،يخالطها حزن عميق بشعوره بالهزء والسخرية "[1].

في قصيدة "**المتنبي**"نجد ذات الشاعر حاضرة في الخطاب الشعري بقوة فهو يستعين بالفعل الماضي و" قلت" بقوة ، فالإنسان كينونته الروح والعقل،وإذا مس جوهر شخصيته يدفعه إلى حالة الاغتراب والاستلاب.ولان الاغتراب ظرف يكون فيه القهر والتسلط والعبودية لهذا الجوهر الإنساني،فهذا التغييب للذات يدفع بالفرد إلى الاغتراب والتشيؤ ،ويدل مفهوم "التشيؤ"على تغييب الجانب الإنساني الذاتي للإنسان فيتحول إلى كيان خامد فاقد الإرادة والمعنى والدلالة، فيصبح مجرد "شيء" يخضع لقوانين الأشياء.

فينسج الشاعر خيوط الحوار مع بغداد ويجعلها شريكا في الحكم،فالمتنبي يحرث الارض مثل المجنون بشعره،وينقل شعرا كل ما رآه في معاركها التى شهدها على أرضه بغداد يقول:

ويحرث الأرض كالمجنون
يحرثها براحتين هما الإحباط والظفر
أقل مجك أن الفاتحين وقد
جاءوا غُزاةً على أبوابك انكسروا
وبعض مجدي ، أنَّ الكون لي فلكٌ[2]

فالمتنبي عاش يدافع عن أرضه ومكانه ،وعانى الغربة والاغتراب المكاني لأنه كان لا يعرف الاستقرار في مكان و لا يطمئن لأن اغترابه النفسي يقوده و يسيره طامعا في تحقيق طموحه،بغداد هذا المكان الذي يكن له الفيتوري الحب و التقديس هي مهد حضارة،و هي ذات مجد ،غلبت الغزاة و صدتهم،هذه الارض التى هي وطن أخر للشاعر فاقد الهوية الذي يعاني الاغتراب المكاني و الذي شرد عن بلده السودان يقول:

[1]– محمد الفيتوري ،الديوان ،ص23.
[2]–محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص80-81.

شعري وأنت عليه : الشمس والقمر
بغدادُ.. أشأمتُ مشدوداً إليك
ويا شام الهوى أنا في العاقُول أنتظر
ويا حدائق كافور القديم
سوى تلك الثمار التي حُمِّلتها الثَّمُر[1]

فبغداد بالنسبة للشاعر شمسه وقمر بعد أن كان في الشام شد الرحال إليها،و لكنه يعتبر بغداد شاما ثانية يقول :(و يا شام الهوى انا في العاقول أنتظر) فهذا الحب الذي يجمع الشاعر بمدينة بغداد وقبلها مدينة الشام ما هو إلا جزء من حب الشاعر وطنه السودان الذي غرب عنه و تفي خارجه فصار مسلوب الهوية، هذا الأسى و اللا انتماء الذي أصبح يعانيه الشاعر هو نتيجة ما تحمله من بعد عن الوطن و المكان و كل ما يجمعه بمنشئه و أهله،فينسب حدائقها الى كافور الإخشيدي الذي حكمها في عصر المتبني .واصفا طبيعتها الجميلة، ثم تندلع الصرخة مدوية في تحسر الشاعر الذي يطلقه في المقطع الأخير من القصيدة.يقول:

الله.. يا كم تغّربنا
وكم بلغت منا الهموم
كما لم يبلغ الكبر
فإن أكُن أمس قد غازلت أُمنيةً
حيث آستوى الصمتُ
أو حيث آستوى الضّجر
فالمجد أعظم إيقاعا[2]

يعلن الشاعر اغترابه المكاني الذي كان سببا في اغترابه النفسي حيث بلغت به الهموم أقصاها وهو في مقتبل العمر ،ويرى أن أماني شبابه هي ضرب من الغزل الذي لا ينفع صاحبه،فيصير الصمت التعبير الثاني عن هذا الاغتراب النفسي الذي يعانيه الشاعر ،فالصمت والضجر ردّ فعل ثاني من الشاعر اتجاه اغترابه ،لأن المجد الذي كان يطمح له الشاعر أعظم إيقاعا على نفسه فيصور حزنه من خلال قوله:

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص81.
[2]- نفس المصدر ، ص81-82.

وربَّ دم يمشي حزيناً
ويمشي إثرهُ القَتْلُ[1]

وكأن القدر يصادق على مأساة الشاعر وحزنه فلا ينصفه "وأقول ذلك بكل تواضع لقد تربيت في حضن الشعر العربي القديم جدا ،يعني فترة الصعاليك ،فترة الجاهلية التى تليها ،ثم عصور الشعر التالية،هناك شعراء أثيرون لدي،جلست طويلا في والتقيت بهم،وأنا خاشع أشير الى الشاعر العظيم،أبي الطيب المتنبي وأرفض كل ما قاله النقاد حوله أنه كان شاعر مداحا "[2].

فالهوية التى يريد الشاعر أن يستردها هي هوية التوحد والوطن هي هوية وطنه السودان،ومادامت الهوية هي الكينونة، التى تتعلَّق بالشيء المادي أو بالشَّخص الإنساني.فإن وجودها ضروري وفقدانها ضياع واغتراب،فالأمر يتعلَّق بالتطابق التام ما بين باطن الشيء وظاهره،وهي المشتملة على صفاته الجوهرية التي تجعليقامعن غيره تَمَيُّزاً يُكسبه فرادته وخصوصيته،ويُحدِّد نظرته لذاته عن ذاته والتي تجعله يحيل ذاته على العالم الموضوعي،فالهوية بنيةً لها علاقة بمعطيات الوجود ومكونات المحيط،وحركة الحياة الثقافية الاجتماعية،والاقتصادية،والسياسية.

وهي قيم جوهرية تتجدد في الواقع بفعل فهم الإنسان وإدراكه وحركيته ،وقدرته على المواجهة لمختلف مشكلات حياته وعصره،وتتخطّى بذلك صعوباتها، وتحدُّ من حريته،أو قيٌم جوهريةٌ تتعرَّض للانسلاخ عن جوهرها،عندما يفقد الإنسانُ علاقته بالوجود،فالهوية هي القيم المطلقة والخالدة التي تسهُم في صوغ حقيقة، فهي نشاطٌ إنسانيٌّ ضروري لوجوده.

ولأن الفيتوري شاعر سوداني ينتسب إلى أسرة متعددة الأعراق والجنسيات فهو،إلى ذلك شخصيّة مركبة لا تحمل هوية واضحة المعالم،هذا إذا ما أضفنا إلى هذه التعددية هويته الثقافية والمهنية المتعددة،ازدادت هُوَّة الهوية اتساعاً وتمزّقاً ، فهو أزهريّ في تكوينه،وإعلاميّ المهنة خبير فيها،سياسيٌّ وديبلوماسّي عمل كسفير لعدة دول[3]، هذه المكونات والوظائف جميعها أثرت فيشخصيّة **الفيتوري** وشعره،وحفزته على البحث عن الذات والتعرف إلى هُويته المفقودة،ودافعها الشعور بالنقص ووسيلتها

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص82.

[2]- صالح نجيب ،محمد الفيتوري والمرايا الدائرة ،الدار العربية للموسوعات،ط1، 1984،ص186.

[3]- محمد الفيتوري ،الديوان ، ص23.

التعويضيّة الشعر لان الشعر فقط هو من يحافظ على هذا الهدف ويدعمه،ويزداد الشرخ النفسي تعقيداً واتساعاً.

وينضاف إلى ذلك طبيعة الشعر التي تتّسم بالبحث عن هويّة، وبناء عليه،فإن مسألة الهويّة (من الهَوُ) التي يبحث عنها **الفيتوري** في غمرة شتاته الواسع المتعدد،لا يمكن أن يستوعبها إلاّ موضوع شعريّ واسع؛بل قارّة شعرية بحجم أفريقيا التي أسقط الفيتوري عليها مأساته الخاصة،

فضلاً عن ذكر عواصم أفريقية كالخرطوم والرباط والقاهرةوغيرها، حتى إذا تعلّق الأمر بهُوية عربية إسلامية، مثلاً ، فإن هذا الشاعر يجردها من مضمونها ويصبّها في الهُوية الأفريقية الكبرى، فأفريقيا في منظور الشاعر قد غدت وطنه وكل كيانه، فالانتماء هو أحد أهم مرتكزات تشكيل هوية الانسان، تتجسد في حزمة من الدلالات مثل: الاطمئنان، الراحة، الحب، الحماية..وهذا ما يفسر لنا تعاطف الناس مع أوطانهم (الأمكنة) على مستوى الأحداث الداخلية والخارجية كالأحداث السياسية والثقافية و الرياضية.

3-محددات الاغتراب الوجودي :

إن الوجودية غزت شعرنا العربي المعاصر في الخمسينيات والستينيات، لكن هذه الفلسفة ليست فلسفة واحدة منسجمة،وإنما فلسفات متعددة تتقاطع فيما بينها،فتجمع شعر عاد إلى الفلسفة الوجودية الفردانية التي تفك أي ارتباط مع المجتمع لتعالج المعضلات الوجودية التي تقلق الإنسان كإنسان مثل الموت والحياة،وهي التي تأثرت أيضا بالشعر السريالي.

أما الوجود فكان في نظره سر غامض يحيره ولكن اغترابه عما حوله،يدفعه إلى التساؤل الملح لعله يظفر بما يخفف من عزلته،العبث والضجر والباب الموارب،ومن السهل أن نتصور من خلال هذه الألفاظ جميعا أي جو يريد أن يضعنا فيه وأي جو يستوحيه،فهو يستعيد أكثر ما في قاموس الحركة الوجودية في مرحلة من مراحلها،و"المتكلم"في القصيدة يعاني الانفصال ويشكو اللامكانية واللاتاريخية "لأنه مهما يبلغ الإنسان من تطور، فلا بد أن يظل الصراع مستمرا بين زمن تاريخي واقعي وزمن لا نهائي؟ يسمى الخلود،"أو على الأقل نوع من الانبعاث المتجدد"حتى يبلغ الإنسان مرحلة يعتبر الموت فيها جزءا ضروريا من الحياة[1].

لقد أولت الوجودية اهتماما كبيرا للاغتراب وقضاياه المختلفة،وكانت أوضح الفلسفات تناولا له،كما كانت اقرب الفلسفات إلى طبيعة الشعر ولما كان لابد من وقفة عند الاغتراب من وجهة نظر

[1] – إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، ط 1،1979 ، الكويت ،ص84

شعرية لوصف اغتراب الشاعر,،فإن الاغتراب الرومانسي أكثر وضوحا وصلة بالاغتراب ،ولذلك نجد "أن أثر الفلسفة الوجودية في قصيدة الحزن المعاصرة أثر واضح يتطبن تجارب كثير من الشعراء"[1]،وهكذا يهرب الشاعر من حاضر قاسٍ، أثقل عليه بغربته عزلته عن مجتمعه حيناً ، وعن ذاته حيناً آخر، إلى

ماضٍ قد يجد فيه ما يخفف آلام الغربة، ويلطّف من قساوتها مهما كان حال الماضي، وحجم عذابه، تمثل اغتراب الشاعر الوجودي وإحساسه المتضخم بالعجز والعدم، والتضاؤل والتفاهة و القتامة والسواد والحزن والتشيّؤ "سيطرة المادة على الروح" لتجسد بذلك معاناة الإنسان الوجودية وحيرته .

3-1- ذات الشاعر والوجود:

أمام هذا الواقع الذي يطغى عليه الذل ويطبعه الهوان تزداد حدة النكبات،فتنهار الثوابت والمسلمات والقيم الأخلاقية والوجودية،فلا يجد الشاعر أمامه سوى إعلان الشك بديلا ويمضي في رسم هذا الكون بكل الصور المليئة بالظلام والحسرة والمرارة والإحساس بالعبث واللامعقول في هذا الوجود الذي بات مزيفا على حد تعبير الفيلسوف الألماني **هيدجر**،فجاءت قصائده تعبيرا عن هذا الوجود المزيف الفوضوي،وذاته التى هي رهينة الإحباط واللاجدوى،عالم ليس فيه حدود واضحة المعالم ،لا طعم له،ولا لون،ذات تراهن على التغيير وأن تأخذ الوجود صيغة جديدة أو تطلب الخلاص والموت .

في قصيدة "**التراب المقدس**" والمتكونة من ست مقاطع شعرية يطالعنا عنوانها بلفظة التراب،والتي هي جزء من الأرض أصل الإنسان وعرضه،وقد وصف هذا التراب بالقداسة مستغلا الحقل المعجمي الديني يقول:

وَسِّــدْ الآنَ أَسَــكَ
فَـوْقَ الـتُّـرابِ الـمقدَّس
وَاركَعْ طويلاً لَـدَى حَافَـةِ النَّهْرِ
ثَـمَّةَ من سَكَنَتْ رُوحُهُ شَجَرُ النِّيلِ
أَو دَخَلتْ في الدُّجَى الأَبنوسّي[2]

[1]-كاميليا عبد الفتاح ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي،ص57.

[2]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص28 .

هذه القداسة التي تشع من ثنايا القصيدة مبعثها اعتماد الشاعر على معاني ركيزتها الأساسية تعلقها بالماضي والحضارة السودانية، لذلك دعا إلى العبادة على أرضه الطاهرة في جو قدسي مهيب،راكعا على حافة نهر النيل، الذي وصفه بالعظيم،معلنا من خلال الفعل"سكنت"عن حلول الذات الإنسانية المحبة في أشجار النيل أو بدخولها الظلام الأبنوسي الظلام الذي منشؤه المكان الذي فقدته الذات وحملته كل معاني القداسة ،فالذات تريد أن تحل في كل مكان لذلك خبأت في نقوش التضاريس بعض ما يدل على هويتها،في هذه الأسطر يركز على الرسومات التي أرخ بها السودانيون الأفارقة بشكل عام حضورهم،فنقشوا على الجبال والكهوف تاريخ وجودهم،وكأنهم يخبؤون ذواتهم فيها، الذات كأساس للإنسان الذي لا يدرك جانبه النفسي إلا بها.

ومن عوامل اغتراب الشاعر "تعقد الحياة المعاصرة من أهم الأسباب المؤدية الى تفاقم الشعور الإنساني بالاغتراب ،ونقصد بالتعقد التطور المعرفي والعلمي والتكنولوجي الذي زاد من توتر الوعي الإنساني بالحياة،وزاد أيضا من توتر العلاقة بين الإنسان وواقعه الفيزيقي الميتافيزيقي "[1]

فالانفصال عن الذات والواقع والشعور الإنساني باختلافه عن الآخرين وافتقاد الإحساس بالعلاقة بينهما، ومن ثم انعدام الشعور بالقدرة على تغيير الواقع أو اقتصاد القدرة على اكتشاف القيمة في الحياة،كل ذلك قد يخلق حالة من اغتراب الذات عن الخارج،وهذا اللون من الاغتراب ليس الا درجة متأخرة في سلم الحالات الاغترابية التى قد تصيب الإنسان إذا إنه غالبا ما يكون نتيجة طبيعة للغربة المادية،والمكانية وما يترتب عليها من إحساس بالفقد و الضياع،أو عن عدم تلاؤم بين ،الداخلي-النفسي-و الخارجي الواقع بمناحيه كافة.

فالذات تقبل القرابين التي هي من مقومات الحياة الدينية،وبالأخص العبادة،وهنا يتجلى الاغتراب الديني حيث تظهر الذات منسلخة عن خالقها،لا تقوم سوى بطقوس شكلية توارثتها عن الحضارات السابقة ،ليعود بها الى أصلها الحضارة الزنجية يقول:

أَو خَبَّأَتْ ذَاتَها في نُقُوشِ التَّضَارِيس
ثَمَّةَ مَن لَامَسَتْ شَفَتَاهُ
القرابِينَ قَبْلَكْ
مَمْلكةُ الزُّرقَةِ الوثنيةِ..
قَبْلَكَ

[1]-كاميليا عبد الفتاح ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي ص61.

عاصِفَةُ اللَّحَظاتِ البطيئِة..

قَبْلَكْ

طقس الوجوه المدلّاة في مهرجان المشانق

قَبْلَكْ

يا أيُّها الطَّيْفُ المُفْلِتاً مِنْ عُصُورِ الرَّتَابِةِ والمَسْخِ[1]

يضعنا الشاعر في هذه الأسطر أمام مشهد درامي تؤسس له الرؤية الشعرية التي تقوم على صراع الذات والحضارة ،هذه الذات تتخبط في البحث عن هويتها من خلال ماضيها الذي بناه الأجيال،فمملكة الزرقة التي يقصد بها السودان ،يمثل النيل الأزرق أهم رافد ومصدر رزق ،كما أن الزرقة في الحضارة السودانية تعني اللون الأسود ،فحين ذكر مملكة السواد وصفها بالوثنية لأنه الأساس الديني الذي يشكل هذه الحضارة ليعود إلى الذات التائهة في البحث عن حقيقة انتمائها،الحضارة عاصفة اللحظات البطيئة وذلك لان السودان قبل أن تصبح دولة قامت بعدة ثورات كان أمدها طويلا،فقدت فيها الكثير من أبنائها في صور وصفها الشاعر بقوله:"طقس الوجوه المدلاة في مهرجان المشانق "

الحقل المعجمي الديني في اقترانه بنبرة الفخر،عبر الشاعر عن كثرة الضحايا في ثورات هذا الشعب "مهرجان المشانق"وكأن بهذه الذات مجرد طيف لا يكاد يظهر للأخر إلا بصورة ضبابية لان هويته منسوخة، قد أفلتت من الماضي المخزي في بعض أجزاءه،ضمن هذه الأسطر يصرح الشاعر بما تعانيه الذات العربية من تمزق وضياع فهي منسلخة عن أصلها وقد عبرت كاف الخطاب المقترنة بالظرف "قبل"عن دلالة التمسك بأصلها حتى لا تصبح دون هوية .

متسائلا عن حقيقة الذات وعن ما حملت في ماضيها وما تحمله في حاضرها ،فهي ذات ممسوخة تمثل حيزا من فراغ في هذا الوجود السد يمي يقول:

مَـــــاذا وراءك

فـي كـتـب الـرمـل؟

مـــاذا ..أمـامـك؟

فـي كـتـب ..الـغـيـم

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 28-29.

إلاّ الشموس التي هبطت في المحيطات

والكائنات

التي انحدرت في الظّلام

و امتلاُؤك بالدَّمع

حتَّى تراكمت تحت تُراب الكلام[1]

الانسلاخ الذي أرق الذات ،لا يجد له مكان محدد فهي تائهة وبعيدة كل البعد لا تعرف وجهة معينة ولا تعرف مصيرا محددا ، لم تعد تحيط به إلا الشموس التي هبطت في المحيطات ،هذه الشموس هي رمزية لواقعه المسلوب حيث تخلت عن الجميع ،ولم تبق سوى الطبيعة بمكوناتها "الشموس،الكائنات"هي التي تؤنسه في حزنه ودمعه ،فقد أرقها لحزن حتى تراكمت هذه الذات تحت تراب الكلام ،وفي المقطع اللاحق يطلب منه مكررا الجملة التي بدأ بها قصيدته يقول:

وسدّ الآن راسك

متعبةٌ هذه الرأس

مُتعبةٌ

مثلما اضطربت نجمةٌ في مداراتها

أمس قدَ مّر طاغيةٌ من هنا

نافخاً بُوقه تَحت أَقواسها

وانتهى حيثُ َمّر

كان سقف َصَاصٍ ثقيلاً

تهالك فوقالمدينة والنّاس

كان اللّمامة في الكون

والجوع في الأرض

والقهر في الناس[2]

الذات التي فقدت أهم رابط لها كنجم تائه في السماء لا يعرف مداره ،وكما للنجم رفعة ،فللذات رفعة وقدر يميزها ،الحضارة التي ضاعت فيها الذات في الأمس لغزو الطغاة ،ولذلك دل الحقل

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص 30.

[2] نفس المصدر،ص30-31.

المعجمي على البعد السياسي الذي تحمله القصيدة"طاغية،بوقه،رصاص ثقيلا، تهالك،القهر"فالطاغية جاء بصيغة المفرد لأنه يعبر عن كل مستعمر أحتل أرضه وحضارته في الماضي،وصار يجول ويصول،وما دعمه وجود خونة كنا عنهم "البوق النافخ تحت أقواسها"ورغم كل ما فعله هذا المستعمر والخونة إلا أنه انتهى حيث مر لان المخلصين دائما في يقظة ولان القوس يدل على النصر .

فاللون هنا جاء متعدد الدلالات ،فاللون الذهبي يحمل دلالة اللمعان والظهور وبالتالي الشهرة،والرمادي يحمل دلالة الحيادية واللون الرمادي"يرمز في معانيه إلى أنه لون محايد خال من أي إثارة أو اتجاه نفسي"[1] .

وللون الأرجواني دلالة الثورة ،وبذلك فالتألق والظهور الذي كان في الحضارة العربية لم يلبث حتى توعده الشتاء بالكآبة والحزن،ولاحت في الأفق الثورات التي عبثت به ،حيث غدا ملوكهم أساطير يخلدها الشعر،ويعصف بمجدها العدو،ويجسد في المقطع الرابع من القصيدة الاغتراب الوجودي بأبعاده يقول:

أمـس جئت غريباً

وأمـس مضيت غريباً

وهـا أنْـتَ ذا حيثما أنـت

تـأتـي غـريـبـاً

وتـمـضـي غـريـبـاً

تُـحدَّق فيك وجـوه الـدُّخَان[2].

تكررت لفظة "غريبا "أربعة مرات لتحيلنا على التجربة الصعبة التي والمتعددة الأبعاد ،في الماضي عانت الذات الاغتراب وهي اليوم كذلك ،لا تزال تعاني الاغتراب مستلبة ضائعة لا تشغل حيزا مكانيا واضح مطموسة المعالم لا تكاد تظهر فلا ترها غير وجوه الدخان وكأن بهذه الذات فقدت كل محدد وجودي لها،فهي ضبابية يقول:

وتـدنـو قـلـيـلاً..

وتـنـأى قـلـيـلا

وتـهـوى الـبـروق عـليك

[1]- عمر أحمد مختار ، اللغة واللون ، عالم الكتب،القاهرة ، ط2 ، ص229.

[2]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص34.

وتجمد في فجوات القناع يداك
وتسأل طاحونةُ الرِّيح عَنك
كأنك لم تكُ يوماً هناك
كأن لم تكُنْ قطُّ يوماً هنالك[1]

هذه الذات المتشظية المنقسمة تختلط عليها المتضادات،ولذلك جاءت ومضت لتعرف أين تستقر،هل تدنو أم تنأ،فلا تلبث أن تغطيها البر وق،بما يجعلها خفية المعالم،فتتجمد في فجوات هذا القناع يداها،وتغدو عاجزة عن الحركة وتغيير،يلبسها الشاعر بالقناع الدنكشوتي من خلال إقامته لضرب من الموازنة بينها وبين طاحونة الريح التي تسأل عنها.

فالاغتراب هو انتقال الصراع بين الذات والموضوع(الأخر) من المسرح الخارجي الى النفس الإنسانية ،هو اضطراب في العلاقة التي تهدف الى التوفيق بين مطالب الفرد وحاجاته ورغباته من ناحية وبين الواقع وإبعاده من ناحية أخرى، وهو نوع الخبرة التي يجد فيها المرء نفسه كغريب فالشخص المغترب هو شخص فقد اتصاله بنفسه وبالآخرين، وهي خبرة تنشأ نتيجة للمواقف التي يعيشها الفرد مع نفسه ومع الآخرين ولا تتصف بالتواصل والرضى،ومن ثم يصاحبها الكثير من الأعراض التي تتمثل في العزلة والانعزال والتمرد والرفض والانسحاب والخضوع ، أي ان الاغتراب عن الذات هو شعور الفرد بان ذاته ليست واقعية، أو تحويل طاقات الفرد وشعوره بعيداً عن ذاته الواقعية،الذات جردت من هويتها وحتى من كينونتها، لم تعد تمثل حضارتها وكأنها لم تمثلها يوما،وهذا ما عمق استلابها ولا انتماءها،الذات المنسلخة عن هويتها وحضارتها يقول:

وَسِّـــد الآن راســـك
في البدء كان السُكُونُ الجليل
وفـي الغد كـان اشتعالُك
وسـّد الآن رأســـك
كـــالاحتجابُ ـك
كـــان غيـابُ ـك
كـــان اكـتمـالـك[2]

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص34،35.
[2]- نفس المصدر،ص35،36.

مكررا الجملة الإنشائية الأمرية بإسناد رأس هذه الذات التي لم تعد راضية على هذا الحال ،فبعد الاستكانة والسكوت الجليل ،كان الغد الذي أعلنت فيه عن ثورتها من خلال اشتعالها ورغبتها في التغيير ، وبذلك يجسد المعجم الشعري الاغتراب الوجودي من خلال "احتجابك ،غيابك" فالذات بعد أن يئست واحتجبت عن حضارتها ،وغابت عن مجدها وعزها ،كان لها بعد ذلك الاكتمال،والتفكير في التغيير يقول:

وسّـــد الآن راســـك

هـذا هـو النّـهر تغزلهُ مرّتين

وتـنـقـضـه مـرّتـيـن

وهــذا الـعـذاب جـمالُك.[1]

في هذا المقطع الشعري يستعين الشاعر بتناص ديني من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالّتي نقضت غزلها من بعد قّوة أنكاثا﴾[2] .

وبتناص أسطوري حيث كانت"**بنلوب** "زوجة" **أوذسيوس**" [3] تنقض ما تغزله نهارا في الليل لتعيد غزله صباحا حتى توهم من يتنافسون على خطبتها بأنها حال ما ستنتهي من نسيجها ستتزوج بأحد خطابها وذلك قمة الوفاء لزوجها حتى لا يكيد لها أعداءه.

الذات في الأخير يجب عليها أن توسد رأسها وأن تتصالح مع حضارتها "النهر"إشارة منه إلى نهر النيل كأهم رافد لهذه الحضارة ،فعليها أن تتحمل كل ما يطرأ عليها مهما كان صعبا ،لان هذا العذاب سيغدو جمالا ،و **بنلوب** مثال يحتذى في وفاء الذات لحضارتها ،فطرفي المعادلة "الذات والحضارة وصلا إلى الحل وهو الاتحاد، من خلال هذا المقطع تظهر نظرة الشاعر التفاؤلية وأمله في حفاظ الذات عن هويتها وحضارتها ،لان هذا العذاب جمالك.ويثبت بذلك أن التراب المقدس هو الارض، ففي العنوان غابت الذات ،وظهرت الحضارة من خلال وصفه لترابها بالقداسة ،وبرزت الذات من خلال كاف الخطاب في الجملة الشعرية "وسد الآن رأسك" الذي حقق الانسجام بين مقاطع القصيدة وجعل الذات حاضرة فيها،وهو تحدي صارخ من **الفيتوري** في وجه الأخر الذي يجرده من كل دافع للحياة.

---

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص36.

[2]- سورة النحل ،الآية 92.

[3]-ينظر عمر الدقاق،المؤثرات التراثية في حركة الحداثة الشعرية ،الموقف الأدبي ، ع 194/193،ص34-35.

وكذلك :http://www.albayan.ae/paths/books/1132802363833-2005-11-28-1.988359

وفي القصيدة "**إنها مصر**" المتكونة من أربعة مقاطع شعرية يقول:

لا ترتجف عيناك

إن الضوء مسكوب على الأشياء

والصورة في تموج العينين

لا ترتجف

ها هي ذي الأرض

التي تمتد في خارطة الدنيا

وهذا نيلك الإلهي اليدين

أعمدة التاريخ

والأهرام سقف الكون

والأزهر في جلبابه الضافي [1]

يستهل الشاعر المقطع بنهي مخاطبه عن ارتجاف عينيه فالضوء الذي ساد وانتشر شبيه بالماء المسكوب على الأشياء والصورة منعكسة في تموج العينين ،مكررا نهيه عن الارتجاف لان موضوعه الأساسي الحديث عن المكان الأرض وبالذات مصر هذه الأرض تمتد في خارطة الدنيا ونهر النيل[2] كأنه إلاه جواد، فهي أعمدة التاريخ إشارة من الشاعر إلى أصالتها ورسوخها، والأهرام سقف الكون والأزهر في جلبابه الواسع ،فمصر الدنيا فهي تجسد الكون بكل أبعاده يقول:

وقبة الحسين...

بستان أيّامك في أيّامك الأولى

انتفاضات جناح الطائر المسجون

في أصابع اليدين

لم تأت.. ولم تذهب بعيدا

أيّها الطفل الذي استلقى على قارعة الوقت

عجيب أنت مثل الوقت

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص46.

[2]– **النيل** أطول أنهار الكرة الأرضية ومن خصائصه أنه هو ونهر الفرات يعتبران "أغزر نهرين في الوطن العربي"، يقع في قارة أفريقيا وينساب إلى جهة الشمال، له رافدين رئيسين النيل الأبيض والنيل الأزرق ،ثم يجري إلى السودان من الجنوب الشرقي ثم يجتمع النهرين بالقرب من العاصمة السودانية الخرطوم.منذ فجر التاريخ" ينظر ويكيبيديا ar.wikipedia.org/wiki.

لا تدرك كيف اختلطت أقنعة الموتى
وفي أيّ ة رؤيا اغتسل العاشق بالذّكرى
وأين؟[1]

فالقصيدة تثير في نفسية الشاعر قلقا موجعا ، وجرحا عميقا ،فنجد في هذه الأسطر ذروة التوتر من خلال أسلوب مشبع بعبارات النداء والسؤال والنّفي من هذا الواقع المتردي، فهنا يتجلى المخصوص بالخطاب من خلال "ألانت" في كاف الخطاب التي جاءت مقترنة بالأزمنة والأمكنة لتعبر عنه،والتي تثبته فازدهار الأمكنة يعني الحياة الرغيدة الطيبة،وطغيان الذات يوحي بانفصال الموضوع الذي هو المكان بكل أبعاده،هذا المكان المتأنسن يحمل صفات الثبات في بداية القصيدة لأنه تاريخ وكون تجلت فيه الأبعاد الثقافية لهذا المخاطب "ألانت"،فكانت قبة الحسين مقصده في أيامه المستقرة فجعل منها بستانا في أيامه الأولى ومن الشخصيات المغتربة في أوطانها والتي استعان بها الشاعر في قصائده الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-في ثورته الأزلية ضد نظام الدولة الأموية السياسي.

وقد أدى به ذلك إلى الثورة على الواقع ،ودفع حياته ثمنا لذلك ،حينما رفض الاغتراب في وطنه بالاعتراض على السلطة الجائرة التي حاولت نزع إنسانية الإنسان باسم الدين ،فكان رفضه حتى لا يضيع في الحشد ،ولا يصبح ملكاً لنفسه فقط ،فانطلق بثورته التي ظلت باقية عبر القرون ليصبح ملكاً لغيره،وبذلك لم يتخذ العزلة لعلاج أزمة الاغتراب في المجتمع الإسلامي،والاغتراب الذي ساد في التعامل اليومي البعيد عن الفكر الديني الصحيح واغتراب في تطبيق السياسية الدينية السائدة آنذاك.

فثورته على اغترابه في مجتمعه الذي استسلم للسلطة السياسية الزائفة قادته إلى النفي وأوجدته في الآن نفسه على المستوى الرمزي،بصورة الخلود حين "استشهد" ،انه لم يسَع إلى السلطة ولكنه سعى إلى التغيير فسعوا إلى موته،وهو ما تحقق على ارض الواقع فقد قُتل وقُطعت أوصاله هذا الحدث بالنسبة له وللمسلمين الحياة،وليس الفناء،ففناءه بدنياً تجلى في صورة الجسد الممزق المفتت،لينتقل بعدها إلى الثورة والتمرد والضياع، حيث تصبح هذه الذات طائرا منتفضا يرفض السجن حتى ولو كان أصابع اليدين هو بين الذهاب والإتيان لا يعرف الاستقرار ولا الثبات.

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص47.

طفل استلقى على قارعة الوقت لا كبر ورشد حتى الوقت همشه وجعله على قارعته ليعبر الشاعر بذلك عن فكرة فلسفية هي الكينونة والزمن،فالإنسان في وجوده عجيب مثل الزمن لأننا عاجزون عن إدراك حقيقته فيختلط الإدراك وتتداخل أقنعة الموتى ،فما حاجة الميت إلى القناع ،هذا الضياع الذي يدخل الشاعر في متاهة الخوف من المجهول ،متسائلا عن حقيقة الإنسان وعلاقته بماضيه رؤية ومكان،فكر فلسفي عبر عنه أحد الفلاسفة **جورج بولي Poulet** المنشغل بثقافته الفلسفية،يساءل الأدب انطلاقا من أفق ميتافيزيقي أساسه مقولتي الزمان والمكان،وكيفية انتظام المحتوى الخيالي،"السؤال من أكون ؟ يرتبط(...) بطبيعة الحال بالسؤال متى أكون ؟(...) وهذا السؤال يتوافق بدوره مع سؤال أخر مشابه وبصورة طبيعية أيضا ؛ما هي اللحظة التي تمكنت معها من اكتشاف نفسي عند عتبة زمان يصبح زمانا وجوديا ؟ سؤال يماثله آخر : أين أنا ؟ ما هو الفضاء الذي أكتشف فيه نفسي وأنا متموضع حاليا، وكيف يتحدد مقارنة بفضاءات أخرى ؟ إذن، الفحص النقدي للوعي الذاتي ينفتح على دراسة للزمان وكذا تناول للفضاء"[1]. ساعيا للوقوف عند محتوى الوعي، الذي يعطي وحدة للموضوعات.يقول الشاعر:

لا ترتجف...

لم تأت من ماض، ولم تذهب بعيدا

أنت كمن يحلم

كانت تنسج الأقدار

أرجوحتك المزرقّة المصفّرة، السوداء

كانت مصر تغرورق باللّمع

فتبتّل السّماوات

وأشجار السّماوات

وساحات المدائن

و التّصاوير التي ترسمها في الليل[2]

[1] -Albert léonard : La crise du concept de littérature en France au XX^{ème} siècle José corti, 1974, page 313.

[2] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص47.

يعود الشاعر للنهي عن الارتجاف والنهي عن التوهان بين الماضي والحاضر فهو في حلم متواصل،حيث تنسج له الأقدار أرجوحة متعددة الألوان :"مزرقة ،مصفرة ، سوداء" ،لماذا الأرجوحة؟ أليست الأرجوحة وسيلة اللعب والتسلية ويحمل اسمها دلالة عدم الاستقرار على حالة، الطفل التائه عاد إلى الأرجوحة التي تتلون حسب شعوره فالأزرق يعبر عن الأمل والأصفر الثورة والتغيير والأسود اللون الداكن يحمل دلالة الخوف .

مصر الموضوعة الكبرى في القصيدة،هذه المدينة التى جسدها الشاعر في صورة كائن حي تغرورق عيناها دمعا،حزنا و خشوعا مصر التى تعادل الدنيا هي في سكينتها تصيب دمعها السماوات وأشجار السماوات، وساحات المدائن،هذا البكاء الذي صار فيضانا يطهر من الأدران يقول:

والتّصاوير التى ترسمها في الليل

وأقواسك في الليل

وأصوات المداخن

ربَّما أبصرتها تائهةٌ تركض في الغيم

فاستيقظت مقروراً من الخوف

لماذا انفرطت سبائك الفضّة في الأرض

وقَصَّت شعرها الشَّمس

لماذا الأرض، والحنطة، والشَّمس

احملوا يا أيُّها الآتون ألواح البدايات

وكونوا بذرةَ الفجر الذي ينمو جنينا في حَشَاها

إنّها مصر

إنها مصر[1]

يتحدث عن الطفل الفلسطيني الذي يعاني حالة التوهان والضياع فما يرسم في" الليل من تصاوير وأقواس الليل وأصوات المداخن "تاه في الغيم هذه الضبابية في الطرح مبعثها حالة الضياع التى أصابت هذا الطفل كذات في علاقة بالموضوع المكان،ففي علاقة الانسان بالطبيعة يرى **فروم** أن الانسان

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص48،49.

قادر على تجاوز الطبيعة، وذلك بما يملكه من ناصية للعقل ووعي للذات، وتؤدي عملية الانفصال عن الطبيعة إلى اغتراب الانسان عنها، وعن الآخرين، بحيث يجد الانسان نفسه عارياً [1].

الذات حتى في نومها ليست مستقرة تستيقظ مقرورة،مفزوعة هذا الخوف الذي سببه الضياع،ضياع الذات عن موضوعها المكان متسائلا في حيرة من أمره عن سبب انفراط سبائك الفضة في الارض،هذه السبائك هي الضوء الذي ملأ الارض نورا ،و قصت شعرها الشمس فصار الجو أكثر ضياء حينما امتزج نور الشمس بضياء القمر مشبها الشمس بامرأة و أشعتها شعرها الذي قصته، لتمزج العناصر الكونية في هذه الصورة التى يطغي عليها الطبيعة (الارض –الحنطة–الشمس "يوجه الشاعر أمرا الى المخاطب الجماعة الذات "الطفل" بأن يحملوا ألواح البدايات مشيرا الى ألواح النبي موسى عليه السلام، لأنه وجد في تاريخ مصر وكان مرسلا من الله الى بني إسرائيل بعقيدة سماوية طالبا منهم أن يكونوا بذرة صالحة تنمو في حشى مصر،خاتما المقطع بتكرار مؤكدا على الموضوع الارض(مصر) يقول:

ولكنك لم تأت، ولم تذهب
سلام لانكفاء الأرجل المثقلة التّعبى
على أحجاها المثقلة التّعبى
سلام لارتعاشات الأيادي والمناجل
لحائط الصفصاف، والكافور
والحور، وأمواج المشاعل
لبحة الناي
وآهات الأراغيل
وإيقاع الجداول
لقامة سمراء، يكسوها الصبا الحلو
وخلخال يغازل
لوجه فلاح عن التربة
والتاريخ، والحب يقاتل
وللعصافير التي تجري مع الأطفال

[1]– شاخت، ريتشارد، الاغتراب،ص180.

في عيد السنابل[1]

يطبع المقطع الشعري اللااستقرار فهو لا يعرف حالة محددة المعالم (لم يأت،ولم يذهب)تحية سلام للأرجل المثقلة التعبى(الذات)على أحجارها المثقلة التعبى(المكان)هذا المكان (الموضوع) يعاني التعب،وسلام لارتعاشات أيدي الفلاحين بمناجلهم؛ أي الذت التى تخدم مكان الارض .

فالسلام هو للحائط وللصفصاف،وللكافور وللحور و لأمواج المشاعل،هو لبحة الناري وأهات الأراغيل ولإيقاع الجداول،و لقامة سمراء يكسوها الصبا الحلو والخلخال يغازل،لوجه الفلاح وللتاريخ و للعصافير، السلام للجميع للذوات الأطفال –النساء –الفلاح–الأيدي الحية وكذالك للجماد"المناجل –الصفصاف الكافور–الحور–أمواج المشاعل– الناي– الأراغيل–الجداول –للتاريخ – للحب للعصافير)فالكون بظواهره وكائناته يستحق السلام و التحية الطيبة يقول:

لا ترتجف

إنك لم تذهب، ولم تأت

غفوت أعواما

وهذا أنت صاح حالم بين يديها

إنها مصر.. إنها مصر..[2]

النهي عن الارتجاف و التوهان هو مجرد غفوة عاشها الطفل في حلم ذهب به إلى أماكن مختلفة،وجال به،و لكنه في الأخير أستيقظ(الذات)وجد نفسه أمام الموضوع المكان(مصر)،حيث تحقق الحلم واجتماع يمحوه الذي ضاع طويلا قبل ان يستقر معه،وذلك ما عبر عنه الناقد أحمد درويش بقوله "إن صورة الإبحار في الذات عند الفيتوري ،هي الصورة التي تقيم جسرا بين العاشق والمتصوف لا تبني وحدتها دائما من دلالات لغوية نثرية واضحة"[3].

–وفي قصيدة أخرى عنوانها "**رؤيا**"يظهر الاغتراب الوجودي عند الشاعر حيث يقول:

خارجاً من ..غيابك

لا قمر في ..الغياب

ولا مطر في ..الحضور

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص50.

[2]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص51.

[3]– أحمد درويش،في النقد التطبيقي محاورات مع نصوص شعرية ونثرية ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط1،القاهرة ،2010،ص249.

مثلما أنت في حفلة العُرس ..والموت

لا شئ إلا انتظار ..مرير

وانحناءٌ حزين على حافة ..الشعر

في ليل هذا الشتاء ..الكبير

ترقب الأفق ..المتداخل

في أفُقٍ لم يزال عابراً في ..الأثير

رُبَّما لم ..تكن

ربما كنت في نحلة الماء

أو يرقات الجذور

ربما كان ..أجمل

لو أطبقت راحتاك على باقةٍ من زهور[1]!

تتبدى الذات في صورة ضبابية فلا تعرف حقيقتها،وذلك ما يعمق شعورها بالاغتراب الوجودي،فهي ذات خارجة من غيابها،و الغياب هنا هو بُعد الذات و انسلاخها عن كيانها،الذات التي لم تعد تؤثر فيما يحيط بها، فلا هي في رحيلها (الذات) تركت أثرا يجعلها تحمد وتعرف(القمر في الغياب)ولا هي أثبتت وجودها فذاع صيتها(ولا مطر في الحضور)،هذه الذات المستلبة،والسلبية تتساوى في نظرها المتناقضات فالعرس والموت بالنسبة لها سيان لأن الحزن والفرح لم يعدا يؤثرا فيها.

وبذلك تتشيأ الذات فيغدو كل شيء عندها عبثا دون هدف،فليس لديها هدف يدركها،وانتظارها دون غاية محددة،وحتى الشعر لم يعد له صدا،لأنه بالنسبة لها انحناء لحزين والانحناء هو الذل الأخر،وما يزيد الألم وضع هذه الذات لأن ما تعانيه كان في ليل الظلام وفي الشتاء الكبير،فالشتاء يحمل دلالة الحزن والصعوبة والألم،لا تملك الذات أمام هذا المشهد سوى ترقب الأفق المتداخل .

فالذات في حالة التوهان هذه وما يحيط بها من أفق متدخل،تزداد تأزما وضبابية،لأن الكون الذي وجدت فيه طبعها بصورة سوداوية قاتمة،وتركها تدور في حلقة مفرغة،فتنتفي الذات وتنفصل عن ذاتها لأنها لم تعد تعرفها، فيتعاطف الشاعر مع هذه الذات ،ويرى أنها تكون أجمل عندما تحمل زهور في يدها ليكون غدها أفضل فالنبرة التفاؤلية من الشاعر لا تغادر قصائده و في ذلك رؤيا يتبناها الشاعر وهي الغد الأفضل رغم كل ما عاناه ويعانيه في حاضره.

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص151.

وقد تتداخل تجربة الضياع والغربة في قصائد الشعراء المحدثين مع تجربة اليقظة والأمل،وسبب هذا الضياع عند الشعراء المحدثين هو تأثرهم بالأدب الوجودي كما عند سارتر وألبير كامو.

3-2-ذات الشاعر والأخر :

ولان الشعر الحديث في أساسه قائم على تجديد للرؤيا، والتي هي مختلفة في عمقها عن الرؤية البصرية،فإذا كانت هذه الأخيرة تتعلق بالحس المباشر للموضوعات،فإن الرؤيا تتجاوز الإدراك المباشر المعتمد على المدركات الخمس،والتي تتطلب حضورا للموضوع المدرك،فالرؤيا تشكل موقفا جديدا اتخذه الشعراء الحداثيون اتجاه العالم والأشياء،ففيها عبور من الظاهر إلى الباطن،وانتقال من دلالات العبارات إلى دلالات إشاراتها وما توحي به،إن الرؤية قرينة البصر،بينما الرؤيا لازمة عن البصيرة والحدس والكشف والحلم والتطلع إلى ما لا تراه حواسنا.

في قصيدة "مقام في مقام العراق" يعد الاغتراب أحد الموضوعات التى طبعت القصيدة،يعرف بعضهم الاغتراب:"بأنه عملية صيرورية تتكون من ثلاث مراحل متصلة اتصالاً وثيقاً"[1] ،فالمرحلة الأولى تتكون نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي،ويتدخل وعي الفرد لوضعه في تشكيل المرحلة الثانية،أما المرحلة الثالثة فتنعكس على تصرفه إنساناً مغترباً على وفق الخيارات المتاحة أمامه.[2]

وذلك أن الشاعر عاش خارج وطنه،ولذلك كان اغترابه اغترابا نفسيا أكثر منه مكانيا،فهو يعتبر كل الدول العربية وطنا له ،وما يعمق مأساته ما يراه من هوان في هذه البلدان يقول :

غائب..

والعيون عليك اشتياق

هائم

خمرك الذّكريات العتاق

كلما عانقتك مرايا الوجوه

تبعثرت فوق زجاج العناق

يا سحابا من اللّحم والعظم

يمخر في حلم عاصف لا يطاق

[1]- حليم بركات ،غربة المثقف العربي، م المستقبل العربي، ع2. تموز، 1978، ص 106

[2] - نفس المرجع ، ص 106.

غير هذا الزمان زمانك..

فاللحظة انطلقت

والشفاه انزلاق [1]

لعل الموضوع المهيمن على الأسطر الشعرية"الذات"،التي تتجلى من خلال كاف الخطاب،ولكن هذه الذات غائبة واستحضارها كان لغاية الاستذكار ،فالذات تشتاقها العيون وتتمنى رؤيتها ولقاءها،فالذات غائبة هائمة، هذه الألفاظ في اجتماعها ضمن حقول دلالية تعبر عن الاغتراب الوجودي للذات المنفصلة عن العالم ،الذات تشعر بانفصالها عن العالم وكأن خمرتها ذكرياتها الماضية بعزها ومجدها،ما يشتت هذه الذات علاقتها بالأخر الذي يرفضها ويريد الطغيان عليها،هذه الذات في وصفها سحابة من اللحم والعظم تغترب عن ذاتها وكأنها سفينة وسط عاصفة ،الذات في علاقتها بالكون تائهة في حلم يعصف بها لا يطاق، تجسد هذه الصورة اغتراب الذات عن وجودها،فالزمان لم يعد زمانها واللحظة انطبقت عليها لأنها فقدت إحساسها بالزمن ،وصارت عاجزة عن الكلام يقول:

غير تلك البلاد بلادك

لولا اليقين ..

ولولا شموخ العراق

العراق..

الأيادي التي غسلت جبهة الشّرق باللّم

حتّى أفاق

العراق

الصّحائف مذهبة النقوش

في زمن العجز والانسحاق[2]

الذات تائهة عن مكانها شاردة عنه فالبلاد لم تعد بلادها ،ولكن الذي يردها إلى مقامها اليقين وشموخ العراق إذن الذات تنتمي إلى العراق ولولا العراق لما كان لها مجد وعز ،هذه الذات لها ماضي مشرف فقد غسلت أيادي أبنائها جبهة الشرق بالدم وطهرتها من ذل الأعداء لها،هؤلاء الأبطال الذين عرفت سيرتهم في كل الأماكن وبلغت الأفاق،مدينة العراق بعمرانها وزخارفها الدالة على

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 88.

[2]– نفس المصدر ،ص89.

حضارتها وصحائفها مذهبة النقش،العراق في زمن العجز والانسحاق،هذه المظاهر تحيلنا على الاغتراب الوجودي الذي تحسه الذات اتجاه الموضوع،فالخضوع والقهر تسلط عليها وأعجزاها عن الحرية يقول :

العراق

الملاحم لا تنتهي..

والرّؤى ثورة

والحضور ائتلاق

ويظل العراق مداراً

وبغدادُ شمسًا..

تضيء مدار العراق

وعلى درج القادسيّة

قوسٌ من المجد لا يعرفُ الاختراق [1]

فمدينة العراق في حرب دائمة لان مطامع الأعداء فيها لا تتوقف حروبها ملاحم لا تنتهي،وما يحرك أبنائها الثورة لان حضور هم مجد،فالعراق مدار شمسه بغداد،وعلى درج والقادسية قوس من مجد،الحقل المعجمي الذي اعتمده الشاعر قائم على مفردات تندرج في حقل الكواكب"مدار-شمسا-قوس"جعل الشاعر من العراق مدار وبغداد شمسها،هذا التذكير مفاده التعظيم العراق،بغداد الشمس أضاءت مدار العراق،وفي مدينة القادسية على المجد وقد حاولت أيد كثيرة أن تدمره ولكنها لم تكد تفعل ولم تقَو فأصابها الخذلان والضعف يقول :

طاولته يَدٌ.. لم تكَد

ثم لم تقو.. و اهترأت

واحتواها السّياق

كلُّ ما كان بالأمس

أنّ المغول أتوا في الدُّجى

ومضوا في المحاق

كل ما كان أنَّ التوابيتَ عادت بأمواته

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص90.

خائبات السّبَاق

كلُّ ما كان..

أنّ الطيور الزّواق الجميل تساقط عنها الزُّواق[1]

هؤلاء الأعداء رمز لهم باليد "يدا" أرادوا أن يخربوها ويلحقوا بها الدمار،ومثال ذلك ما فعله المغول الذين غزو العراق في الظلام للقضاء عليها،ولكن مجيئهم في الدجى يحمل دلالة الغدر والخديعة،فكان الرد عليهم بأن محقوا من قبل الأبطال،فتركوهم في توابيتهم أموات،فعادوا خائبين من سباقهم،الأذية التي لحقت العرب كانت مثل تساقط ريش طائر الزواق هذا الطائر الذي يعيش في العراق،يقول:

وتقيُم المقاديُر فيكَ احتجاجاً

على وطنٍ أبديِّ الوثاقْ

ضاع بين صراع المماليك والأغَوات

وفرسا نِ عصرِ الوفاقْ

وطٌن ..

بيرقٌ من نقوشٍ..

وأرواُح آلهةٍ

و هَيولي ازرقاقْ

حجبوا الله ، والشَّمسَ..

والحبَّ عنه[2]

الأمة مهبط الأديان وطن العرب الذي ضيعوه بتخاذلهم تحتج المقادير على وضع هذا الوطن،لان أبناءه كانوا سبب ضياعه وثاق هذا الوطن الأبدي،فصراع المماليك والأغوات الذين تداولوا الحكم عليه،والفرسان الذين أدعوا الصلح مع أعداءة سببا في ضياعه .

في قصيدة "**يأتي العاشقون اليك يا بغداد**" نجد العنوان يحمل طرفين هما الذات والموضوع،الذات هي ذات الشاعر المتأزمة والموضوع هو المكان بغداد يقول:

لم يتركوا لك ما تقول

والشّعر صوتك

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص91.

[2] -نفس المصدر ،ص.92

حين يغدو الصّمتُ مائدةً ..

وتنسكب المجاعة في العقول

لم يعرفوك ، وأنت توغل عارياً في الكون..

إلّا من بنفسجة الذّبول

لم يبصروا عينيك..

كيف تقلّبان تراب أزمنة الخمول

لم يسكنوا شفتيك..

ساعة تطبقان على ارتجافات الذّهول

لم يشهدوك...

وأنتَ تولدُ مثلَ عُشب الأرض

في وَجَع الفُصُول

لم يتركوا لك ما تقول

لم يتركوا لك ما تقول [1]

يطالعنا الشاعر في هذه القصيدة بجزم "لم يتركوا" مفاده النفي،حيث يعلن الشاعر شكواه من الظلم المسلط عليه،مما جعل الشاعر يصل الى حالة صعبة وهي عجزه عن الظلام حتى أنهم لم يتركوا له ما يقول،ولأن الذات في حقيقتها تمثل الشاعر،بما دام الشعر صوته،فإنه يعلن أن هذا الصوت أصبح سيفا مسقط على عنقه لأن الصمت صار مائدة أي أن الصمت عوض الحوار.

فالعقول لجهلها صارت في مجاعة لأن ما يغذيها كائن ويجزم على أن سبب هذه الذات التى يزداد انسلاخها وبعدها لأن الكون لم يعد يسعها،هذا العري الذي يلازمها لأنها لم تستطع تحقيق المكان،فصار عريها من الكون خجل في زهرة بنفسج تتقي الذبول،ولأن الأخر لازال يجهل حقيقتك،فإنه لا يسمع صوتك ولا يعرف قدرك،ولا يراك ،هذا الاستلاب الذي يمارسه الأخرى على الذات يزداد عمقا كلما حاول الشاعر التصريح أو الدفاع عن ذاته.

فلم يعد موجودا في مجال بصرهم لأنه لا يستحق النظر منهم كذات،فهذا النفي الذي يكرره الشاعر جاء سبعة مرات في المقطع الشعري" لم يتركوا، لم يعرفوك لم يصروا، لم يسكنوا، لم يشهدوك، لم يتركوا، لم يتركوا".

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص124.

هذا التأكيد على التجاهل من الأخر و الأذية المتعددة الجوانب زاد من مأساة الذات ،وعمق من اغترابها ففي نفيه "منع ،وتجاهل ،وازدراء ،وإقصاء،ومبالغة في المنع"،وذلك ما يجعل الشاعر يزداد معاناة،فقد منع من الكلام و التصريح برأيه ،وتجاهلوا قدره،و لم يمنحوه فرصة المعرفة،فحتى الشفاه أقصيت من الكلام،هذه الشفاه لها القدرة على كشف الخفايا للآخرين.

كل هذا الظلم مارسه الآخر على الذات "الشاعر" لأنه يجهل حقيقة معاناته ليصل الى هذا المقام،وتصدر صرخة الشاعر مكررا عجزه عن الكلام لأنهم "لم يتركوا له ما يقول"،ويزداد الأمر خطورة في المقطع الثاني لأن الأمر تجاوز حد المنع من الكلام الى المنع من ما يريد يقول:

لم يتركوا لك ما تريد

خرجوا من الماضي الذي سكنوا خرائطهُ

إلَى الماضي الجديد[1]

فالمنع هنا مزدوج قيد الحرية في الكلام و الإرادة،هذا القهر، عمق الاستلاب من الآخر للشاعر وأبرز الاغتراب أكثر،فهذا الآخر مارس عليه القهر في الماضي ليتحدد من هو الآخر،الآخر هنا هو العدو الذي اغتصب أرضه في الماضي،وهو الآن يعود ليغتصب فكره و يغزوه ثقافيا ،ففي الماضي سكن خرائطه،اليوم هو يسكن فكرة يقول:

وتداخل الغسقيُّ والخزفّي

واتّسعت مساحات الجليد

ورأيتَ..

ثم تحجَّرت جبلاً على قوس المدى رؤيَاكَ

كان الّراقصون ، يعلّقُون طحالب القيعان

حول رقابهم

ويضاجعون هياكل الأموات في الذكرى

وكان العصر يرفل في هزائمهم

وكنت هناك..

ترتقب احمرار عجينة الطُّوفان [2]

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص125.

[2]- نفس المصدر، ص126.

هذا المسخ الذي يعانيه الشاعر والذي يرفضه الآخر الغاصب ،زاد اغتراب الشاعر الوجودي و جعله في حالة من الضياع بين ذاته وموضوعه المكان،وسط هذه الضبابية لا تجد الذات ما تفعل ولا ما تقول،فتختلط عليها الأمور .

وتتداخل الألوان و الأزمنة ولا تتحدد الهوية واضحة لأن الكل صار خليطا من الهويات،فلا تجد الذات حلا غير خليط من الهروب من واقعها المفروض،فتنوب عنها الطبيعة ليصبح جبلا ذلك أن رؤاه تحجرت،ومواقفه لم يعد لها مكان.

ينتقل بعدها الى الأخر الذي يمثل جماعة تعاني من الانسلاخ،لا يشعر الشاعر بالانتماء إليها فيقف متفرجا ذلك أن شعبه يرقصون،والرقص عند الشاعر لفظة ذات حمولة دلالية كبيرة،تحمل أبعاد نفسية ضمنها الشاعر فيها،فالرقص بالنسبة له طقس من طقوس الانتماء وتقرب الذات الى الأخر المقدس الذي يمثلها،فالرقص في الثقافة الزنجية مظهر من مظاهر التطهر والعبادة التى تمارسها الجماعة ليحصل خلاص هؤلاء الراقصين (الأخر المهزوم) يتخذون طقوسا معنية في رقصهم فيعلقون الطحالب في رقابهم ،الطحالب التى تنمو في الأماكن العفنة ذات الرطوبة الكبيرة،والرطوبة هنا هي الخراب والقهر الذي يمارس عليهم،من قبل العدو الغاضب فهم، مستعدون بشيء الطرق حتى أن وجودهم وبقاءهم مقترن بالموت والذكرى فهم جزء من الماضي المأساة وحتى العصر الذي يعيشونه انتشرت فيه هزائمهم،فلا هم حققوا مجدا في الماضي لأن أرضهم كانت مغتصبة،ولا هم في هذا العصر حققوا النصر.

وسط هذه الهزائم كانت الذات حاضر وشاهدة تترقب الخلاص،هذا الخلاص الذي جعله الشاعر مشابها لقصة الطوفان،وما حدث من سيدنا نوح عليه السلام ،عندها أمره الله تعالى أن يحمل في سفينته من كل زوجين اثنين،وينطلق بهم في البحر و لا يستقر في الارض الا بعد أن يأذن له الله تعالى يقول تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ {105} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {106} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {107} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {108} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {109} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {110} قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ {111} قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {112} إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ {113} وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ {114} إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ {115} قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ {116} قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ {117} فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ{118}فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ{119}ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ {120} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {121} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾آية[1] عن قصة الطوفان.

وكما تشير الآيات فقد حاول زعماء القوم أن يتهموا النبي نوحاً بمحاولته التفضل والاستعلاء عليهم ، أي بالبحث عن المنزلة والقيادة والثروة ، وقدأخبر الله تعالى نبيه نوحاً أنه سيعاقب الكافرين من قومه بإغراقهم وينجي المؤمنين.

والطُّوفان كان بتفجر ينابيع الأرض والتقائها مع الأمطار الغزيرة ليحصل الطُّوفان العظيم، فغرق كل من كان على تلك الأرض بما فيهم ابن نوح عليه السلام الذي ظن أنه يمكن أن يجد ملجأ من الطوفان في أحد الجبال القريبة، أصاب الطُّوفان القوم بأجمعهم، باستثناء أولئك الذين حملهم نوح على ظهر السفينة، وعندما جفت الأرضِ ﴿وَغِيضَ الْمَاء ﴾[2]وانتهى الطُّوفان، استوت السفينة على الجُودِيِّ – أي على مرتفع من الأرض– كما يخبرنا القرآن الكريم.

وكان توظيف الشاعر لهذه القصة حاله حال الشعراء المعاصرين على شكل أسطورة،فكان الطوفان هنا هو السوء و الاغتصاب والهلاك من الأخر،والإخلاص للذات المترقبة التى تطمح الى التغيير،فهي تنتظر احمرار عجينة الطوفان،فالاحمرار هنا له دلالة الاكتمال و الاستعداد لوضع أخر هو الخلاص من الوضع الحالي المأساوي الطوفان الذي هو طهارة للذات.

هذا الاستلاب الذي ُمورِس ضد الشاعر جعله مقهورا وعاجزا حيث حدد الاغتراب الوجودي للذات عن الأخر:

هذا المساءُ

هذا المساءُ

الآن في هذا المساء

الأرض مركبة تشق الغيب

صوب مجاهل الغيب البعيد

الآن في أقصى جبال النّجم

يطبع وجهه في النّجم

[1]– الشعراء،الآيات:105الى121،وينظر: العنكبوت، 14.

[2]– هود، الآية 44

انسان جديد!

الآن في مثل انفجار الّرعد

تهدر خارج الإيقاع

مضطرب النشيد

وتكاد تجهل ما تريد

وتكاد تنكر ما تريد

وتكاد تكره ما تريد

مّرت إذن كلُّ الجيوش على جسورك

والرَّمالُ هي الّرمالْ[1]

في هذا المقطع الشعري يتحدد الزمن بصورة واضحة وتكشفه حيث يحدد الشاعر وقت المساء كلحظة زمنية لوقوع حدث محدد،هذا الحدث يتمثل في رحلة الارض،فما الذي جعل الارض تغادر المساء؟

إن ما يكشف حضور الزمنية في هذا المقطع الظروف الزمنية (المساء تكررت ثلاث مرات،والآن تكررت3مرات،فبعد أن تحدد وقت المساء كزمن للأحداث،ذكر الموضوع الأرض التى انطلقت في رحلة غيبة الى مكان مجهول اتجاه الغيب البعيد هذا الغموض الذي جعل الارض تغادر مكانها الأصلي في نظر الشاعر يحمل دلالة الانسلاخ والقهر ،فلا المكان بقي هو المكان،ولا الزمان بقي هو الزمان فالشاعر يعاني حالة انفصام حادة واغتراب وجودي عن ذاته وعن الكون،هذا الكون بعناصره صار يمثل عالما غريبا عن الشاعر وبذلك فقد القدرة على إدراك ما يحدث فاعتبر دورانها مركبة اتجه المجاهيل .

وصار الكون بالنسبة له مغربا حتى الإنسان صار إنسانا جديدا،طبع وجهه في النجم فالرعد انفجر وعدم صورته المكان فخرج عن إيقاع الكون المتناغم في حالة من الاضطراب،ولعل ما يكثف الدلالة في هذا المقطع هو الحقل المعجمي المتعلق بالطبيعة"المساء-الارض، الجبال، النجم، إنسان، الرعد"،وكذلك الحركة التى تبرز هذا الذي يعانيه الشاعر (تهدر ،مضطرب،و يطبع ،انفجار) .

تعلو نبرة الأسى والحزن ويزداد الشك حدة عند الشاعر لأن الاغتراب بلغ أقصاه فيصبح كل شيء بالنسبة له عبثا، لأنه جاهل لهدفه وينكر ما يريده ويكره ما يريده.

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص130.

هذا الانفصال الذي يعيشه الشاعر عمقه الأخر الذي سلط عليه القهر واغتصب حقوقه،الأخر الذي كان يقول:جيوشا مرت على جسوره بكل حقارة و ظلم مستعينة بوسائل زادت هذا الاغتصاب حقارة "الخناجر-الأظافر-الحوافر-النعل" لم تترك وسيلة تعذيب الى و سلطتها .

وما للحوافر والنعال من دلالة الذل و الهوان للذات ولكن ما يزيد الشاعر ألما هو أن الذات ما زالت فراشة عمياء لا تعرف هدفها يقول:

مّرت مذهبة الحناجر

والأظافر

والحوافر

والنّعال

مّرت وأنت فراشة عمياء..

تحترف التآكل والزّوال

يا أيها المصلوب فوق مشانق المحتّل

هل ما زلت ترقص في الحبال ؟

وهل الظلال على امتدادات الطريق.....

هي الظّلال ؟

وهل الخيال الأصفر الشّفقّي

خاتمة الخيال ؟

وهل الذي تبكيه في زمن البكاء...

هو البكاء ؟

وهل الغناء إذا تساقطت الدموع

هو الغناء ؟[1]

فالذات تعيش حالة اغتراب عن الكون الذي تحيط بها وهي في مواجهة القهر المسلط عليها،عاجزة "تحترف التآكل والزوال"،يساءل الشاعر عن الذات التى صلبها المحتل،وقهرها عن حالها الراهن هي ما تزال ترقص في الجبال ؟ذلك لأن الرقص طقس عبادة وخلاص بالنسبة للشاعر.يطرح الشاعر عدة تساؤلات مضمونها فلسفي تأملي تهتم بالكون هي:

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص132.

حقيقة (الظلال،الخيال،البكاء،الغناء)فالظلال في نظر الشاعر ممتد عبر الطرق لكنها جاءت بصورة مغربة والخيال صار بالون الأصفر،شفقي.هذا الخيال هو مستقبله الذي يراه بعيدا وضبابا،وكل ما يحزن الذات ويبكيها في هذا الزمن الذي هو زمن بكاء.وحزن ونكبات،فما يحزن الذات هل يستحق الحزن؟،وحتى الغناء لم يعد هو الغناء كفرح بل تغيرت حقيقته.

فنفسية الشاعر هنا يائسة من تخاذل الأمة العربية ،فعرض لنا بأسلوب ساخر حالة الضعف والعجز التي أصابت الأمة العربية. فكأن الشاعر يستدعي المكان العربي هنا ليبين لحكام العرب ، مجد العرب الأوائل ، وأنهم كانوا أعزاء ، و أرضخوا دولة الكفر والكافرين لهم ،ولكن حالهم اليوم تغير.

يقول:

وهل التناهي في الظّهور

هو التناهي في الخفاء..

وهل الذين تسلّقوا سور السّماء..

هم السّماء ؟

وهل التراب هو انحباس الرّوح...

في فلك الزّمان

وهل الحنين ؟ لحيثما اشتعل الحنين

هو المكان ؟ [1]

التساؤلات التي جمعت المتناقضات (الظهور،والخفاء) حيث تساوت أمامه لأن اغتراب الذات عن الوجود متعدد الأبعاد،يمكن أن نظهر بعض جوانبه من خلال التساؤلات التي تطرحها الذات في علاقتها بالوجود فهي ترى أن كل ما تفعله الذات عبثي لا يوافق منطق الوجود،ذلك أن الأشياء لم تعد تعبر على حقيقتها وإنّما تعبر عن انفصام تعانيه الذات،فالبكاء لم يعد بكاء و الغناء صار دموعا و الظهور خفاء.

حتى أن نظرة الذات للأخر نظرة استهزاء فما يجعلها في منزلة الرفعة والعلو هو الذل و الهوان،فالروح يحبسها التراب الذي هو أصل خلق الإنسان في هذا الزمان وخضوعه لكل ما فيها دون وجه إرادة أو

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص133.

اختيار فيصبح الزمن هنا عبثا ومتسلط على إرادة الإنسان،فتصير المشاعر الإنسانية لا تعرف طريقها الصحيح ذلك أن الحنين هو اشتغال للمكان(الوطن).

يقول:

وهل الحقيقة في حقول الموت...

أم موت الحقول..

وهل انقطاع الوصل في لغة الكمال

هو الوصول ؟

لم يتركوا لك ما تقول

لم يتركوا لك ما تقول [1]

فتغيب الحقائق وتختلط المفاهيم ويصير للموت حقول خاصة ذلك لأن العدو الغاصب،لكثرة ما قتل من أبناء شعبة،جعل منهم حقولا وكأنهم زرع كثير والظلام الذي ساد،فتعتيم الصورة هنا يجعلنا نتساءل عن سبب القهر والظلم فيختلط الأمر هل للأموات حقول أو موت الحقول،وموت الحقول هو خراب لهذا البلد الذي دمره العدو و لم يكتف بذلك بل قطع لغة التواصل.

اللغة العربية لغة إكمال وهمشها حتى يُكون جيلا منسلخا عن حضارته ولا ينتمي الى هويته وأصله،كل هذا أعجز الشاعر و أخرصه حتى لم يتركوا له ما يقول،فمظاهر المسح شملت كل شيء في حياة الذات وعلاقتها بوجودها و كيانها.

3-3-ذات الشاعر والموضوع:

يقوم الكون على ثنائية الذات والموضوع ،فالذات لا يمكنها التواصل مع الأخر الا ضمن إطار زماني ومكاني يشكل الحيز الذي تشغله ،وأساس التواصل هو موضوع محدد بين الطرفين، "ولقد استخدم مصطلح الاغتراب استخدامات واسعة ومتنوعة المعاني ، وفي أكثر من مجال من مجالات البحث والدراسة ، ولكن هناك واحدة تكمن وراء هذه المعاني المختلفة وهي فكرة الانفصال أو افتقاد الرابطة أو العلاقة التي تصل الفرد بذاته وبالآخرين والتي تصله بالمجتمع والمستحدثات التكنولوجية والاجتماعية المبتكرة"[2] .

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص134.

[2]- حبيب الشاروني ؛ الاغتراب في الذات : (الكويت ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ،العدد الأول ، 1979) ، ص 118 .

يطالعنا عنوان قصيدة "الرجل المتحدر تحت الصنوبر "بالذات والموضوع "المكان" فالرجل كذات جاء معرفا قد لحقته صفة تصف فعله أنه متحدر واقترن بظرف مكان (تحت) الذي دل عن موضوعه المكان الذي هو شجرة الصنوبر ،فمن هو الرجل الذات هنا ؟و ما موضوعه ؟و ما علاقة الصنوبر به؟

يقول :

لم يكن وحده أية الله..

كانت نوارس طهران

تنقر أقفاصها الذّهبية

والنسوة اليابسات

اللواتي توسدن منذ عصر النبّوة

أرصفة الفقر والحزن

يخلعن عن روحهن ثياب الحداد

وجيش قديم من الغضب المتجسد في الأرض

يحرق في ساحل الليل أكفانه

ويقاتل قاتله

ويزيّن رايته بالسواد[1]

في هذا المقطع الشعري يصرح الشاعر بموضوعه السياسي،والذي يتعلق بالثورة الإسلامية في إيران قام به آية الله الخميني ضد الملك شاه شاه الذي حكم دولة إيران،حيث كانت الظروف السياسية جد صعبة كان وضعهم جد صعبا، لأنهم أخرجوا ما وضعوه بأيدهم و هذا الحال مشابه الحال اليهود حين قال عنهم الله تعالى﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾[2].

الظلم الذي عاشه الشعب الإيراني ولعل الوضع السياسي الذي يتمثل في حال النساء اللواتي كان الفقر والحزن سبيل حياتهم آن لهن أن يتمتعن بوضع مريح ،وأن يتخلين عن ثياب الحداد التى كانت لباسا لهن تعبيرا عن الحزن والقهر المسلط عليهن هذا الحزن الذي سكن الأرواح منذ بعيد تخلين عنه .

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص144.

[2]- الحشر الآية2.

و أهم شيء طبع ثورة آية الله الخميني هو أنه جمع جيشا عظيما و صفه الشاعر بالجيش القديم إشارة منه الى جيش الفُرس،هذا الجيش كان العضو المحرك حتى ثار على الظلم وصار يقاتل عدوه الذي تجبر سنينا طويلة، فقد كانت راية هذا الجيش،السواد هو الحداد و الأسود حداد الشيعة حزنا على علي رضي الله عنه،هذا المعتقد الذي تبناه الشيعة ..

يقول:

والخميني يكنس مملكة الشاه

عبر مياه الخليج

ويفتح عينين مصفرتين ومجروحتين

كمثل عيون الملايين

ثم يجفف دمعهما في ستائر إيران

والعرق البشريّ المقدّس

يركض في الأرض مختلطا بالأسى والنشيج[1]

فقد اعتبر الشاعر انتصار ثورة الخميني على الملك شاه كنس لمملكة شاه،وألقى بها في مياه الخليج الملك الذي صار حاله مزري فعيناه مصفرتين ومصابتين بجروح،كما فعل في الايرانين من قبل فقتلهم وعذبهم،فصار حاله صعبا ومزريا بدموعه لكثرتها صار يجففها في ستائر إيران،فالستائر ترمز الى الرجال الحماة، هذه الصورة المأساوية جعلت الأقوياء وحماة الوطن يركضون في الأرض ليعبروا عن الأسى والبكاء الذي ارتفع فعم صوت حتى صار نشيجا،فبدل أن يصرح بالحماة قال العرق.

في قصيدة "**المماليك**"تنازع الذات موضوعها وتقابله بالصراع لأن كل ما تراه ضبابي الصورة أمامها يقول:

بين ما تنسجُه عينَاك في الغيب

وبينَ الكلمة

طائرٌ فوق سماءٍ من مناقيرٍ

وشمسٌ هرِمة

أيها الموغلُ ؟

ماذا بعد إيغالك

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص145.

في هذي العصور المظلمة

هو ذا زنَبقُك الشتويُ

والعتمةُ في المرآة[1]

افتتح الشاعر مبرزا نظرته الشمولية المختلفة نحو المكان والزمان والموت فهو يعيش غربة في المكان وغربة في الزمان وغربة في المصير، إن الغربة إذا هي النواة الجامعة لهذه الحقول.ويجمع ين الاغتراب وقضية الموت والمصير في هذه القصيدة ،وقد نهلت من الرمز والإيحاء بوصفهما تدليلا يقوم على التجوز في الدلالات المباشرة للعلامات اللغوية الدالة على معاناته الاغتراب، ولعل الحقل المعجمي الذي خدم الشاعر في هذه الأسطر هو حقل الطبيعة لأنه يجسد من وجهه نظره الرؤيا المتكاملة الأبعاد والمنسجمة مع قوانين الطبيعة (طائر –مناقير –سماء –الشمس –الشتوي –العتمة).

فالرؤيا التى يعتقدها الشاعر في موضوعه(الذات) المقصودة بالخطاب رؤيا ضبابية تظهر الانفصال كمظهر اغترابي تعانيه الذات، الذات التى لا تعرف حقيقة ما يقع أمام عينيها ولا تستطيع إدراكه لذا تتخيل ما سيكون عليه حالها في المستقبل (الغيب)و بين الكلمة التى هي مقابل والمبدأ الذي تتبناه الذات .

فبين حيرته من المستقبل وموقفه من واقعه ،طائر فوق سماء من مناقير و شمس هرمة لأن الطائر تجاوز الدفاع، رمز به الشاعر للحرية و الشمس كرمز للحقيقة التى هرمت .

وذلك ما يجعلنا أمام رؤيا تتبنها الذات وهي الرغبة في التغير والخوف من المستقبل والنفور من الواقع الخرب،وفي نداء موجه للأخر الذي نعته بالموغل،وهو المبالغ في الشيء فلا يعرف حقيقته يتساءل عن نتيجة هذا الإيغال فالإيغال هنا الضياع و التوهان لهذه الذات عن موضوعها .

وذلك سببه ضبابية الموضوع وما يحط به ،وهذا ما تجسده الألوان كحقل اعتاده الشاعر (المظلمة العتمة)فالظلام و العتمة كلاهما يقتربان من السواد،الذي يوحي بالغموض ،فتوهان الذات في عصر مظلم وهذا ما يجعله زنبقه الشتوي،حتى أن المرآة التى تقابل الحقيقة معتمة لا تظهر حقائق الأشياء يقول:

والوحشة في رحلتك المنهزمة

هو ذا ظلك

برق همجي من أغانيك

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص156.

ولكن المماليك بقوا فوق خيول الأنظمة

لم يزل حلمك كثباناً من الرمل

ومازال الذين اغتصبوا الانسان

يغتالون باسم الفرح الأتي دَمه ُ

أيها الموغل ُ ؟

مازالت تغطي ساحة التاريخ

أقواس العيون الشرِهاتِ النّهِمة[1] .

بعد رحلة الضياع التى قامت بها الذات في بحثها عن الحقيقة،هاهو الشاعر يقدم لنا نتيجة هذه الرحلة، فبعدما أصاب الذات من مظاهرة اغترابية نفسيه (الوحشية) في علاقتها بالموضوع باءت الرحلة بالفشل ،وكانت رحلة منهزمة هذه النتيجة هي ظل الذات التى فقدت القدرة على الدفاع إلا من الأغاني التى هي برق همجي ،والبرق كظاهرة طبيعية يطغى عليه الصوت كذلك شابهت أغاني هذا البرق،ولكنه برق نعته بالهمجي لان أغاني هذه الذات هي أغاني تعبر عن الاضطراب والضياع ،ورغم ثورة الذات وضياعها إلا أنها تبقى في حالة من التوهان مادام المماليك يتمتعون باستحواذهم على خيول الأنظمة يتحكمون كما يشاءون،والخيول هنا هي خيرات البلاد المسلوبة.

ولان الذات بعد هذا التوهان لم تحقق الهدف وهو الاطمئنان على مستقبلها ،فقد بقي حال المماليك في التجبر على حاله وقد قصد بالمماليك الحكام الطغاة ،وبذلك مازال حلم الذات مجرد كثبان من الرمل ،قد تزول في أي لحظة وهذا ما يجعل مغتصبي الانسان يواصلون فعلهم ويغتالون دمه حتى لا يبقى نسبه وعرقه،فيجعلونه ضحية ولكن تفاؤل الشاعر يظهر بأنه بعد الموت سيكون فرح النصر .

ويكرر نداءه الموغل "الذات التائهة "منبها لها أن الحال لم يتغير بعد ،مازال الحكام الطغاة ذوي العيون الشرهات النهمة يسيطرون على ساحة التاريخ ،فالشراهة لا تكون للعين وإنما للإنسان الذي لا يشبع وهذا قمة الاحتقار لأولائك الطغاة ، الذين ملئوا التاريخ بجرائمهم وأسمائهم وشوهوه بأفعالهم المخزية .

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص157.

وأخيرا وفي نهاية الفصل الأول،فإن ما قدمناه من حديث عن الاغتراب المكاني والوجودي، ومحدداتهما ارتباطا الشاعر بهما ،وتلاحم معهم ،يجعلنا نؤكد التصوير الفني الذي تبناه الشاعر في قصائده، فقد أثر فيه المكان،وتأثر به،بل كان المكان والوجود هما الحدث الرئيس الذي يأتي من خلاله الشاعر لتلبية حاجاته الشعرية ، وما أراد الوصول إليه من شعر من خلال تصويره للاغتراب للمكاني والاغتراب الوجودي بشكل ، والمكان العربي بشكل عام،ولاحظنا أن همه القومي والوطني ومعاناته جعلته يجعل كل البلدان العربية وطنا له، وجعله يركز على قضايا الوطن العربي ،ويتحدث عنه وعما يعانيه من ظلم وقهر فيه وحوله،ويشجع الفرد العربي والإنسان عموما على الثورة والتحرير. وبعد هذا نبين الاغتراب السياسي عند الشاعر من خلال محدداته.

الفصل الثاني :

الاغتراب السياسي

في شعر الفيتوري

تمهيد:

الاغتراب السياسي أحد أشكال الاغتراب الاجتماعي، ويتمثل في التخاذل عن أداء دور ليس لعدم القدرة على التأثير فعلا ، بل لتقييم الشخص لذاته، وللموقف السياسي،وتصوره للموقف أهم في إنتاج الاغتراب من الموقف الفعلي أو الواقعي، فهي لا مبالاة وسلبية مطلقة نتيجة لانعدام الأمن،والشعور بالعجز، عن ممارسة أي فعل سياسي،وليس لعجز حقيقي بل إيمان راسخ بأنه لا فائدة لأن أي نوع من الفعل لن يكون مؤثراً.

1-محددات الاغتراب السياسي:

وللاغتراب أبعاد متداخلة تتجلى من خلال محددات ،وبذلك حاولنا أن نجلي الاغتراب السياسي في **شعر الفيتوري** وفي ذلك يقول **صلاح فضل**"لكن التقلبات السياسية وإنديا ح أزمانها المتعاكسة نسخت شعره السابق،فترك جسده يترجرج على سطح الموجات العربية المتلاطمة،شكّلت كل منها صورة خاصة له"[1]،وقد حاولنا دراسة الاغتراب السياسي في هذا الفصل من خلال عناصر هي:

1-1-العجز السياسي :

إن الاغتراب ظاهرة إنسانية امتد وجودها ليشمل مختلف أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي كل الثقافات،ومن الناحية التاريخية كان لمصطلح الاغتراب استخدامات متنوعة،فقد ارتكز مفهوم الاغتراب السياسي على فكرة الفاعلية السياسية وشعور الفرد بمدى قدرته على التأثير في مجريات العملية السياسية،على مستوى القرار السياسي،أو مستوى الأحداث الناتجة عنه في المجتمع الذي يعيش فيه.

وعلى هذا الأساس اعتبر الفرد الذي يشعر بضآلة الفرص أمامه للتأثير على هذه العملية في المجتمع بأنه مغترب سياسياً "نراه ينطلق من رؤية فلسفية تقضي بجوهرية الشر وأزليته وربما انتصاره وبذلك، يكون الشر قد بدأ مع بداية الحياة، وبما أنه قد آمن بأزلية الشر والغضب والقهر، سيبقى الصراع المشوب بروح الاستسلام والخنوع قائماً حتى النهاية فلا ضرورة للثورة أو الاحتجاج لأنها تحتاج إلى تحريك الطاقات الكامنة وتحويلها إلى موقف إيجابي، فيقهر الفرد ويصبح سلبياً لا مبالياً نتيجة لانعدام الأمن والشعور بالعجز عن ممارسة أي فعل سياسي،فيستسلم وتقاعس عن أداء دوره"[2].

[1]- صلاح الدين فضل،نبرات الخطاب الشعري،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1998،ص56.

[2]- نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 63.

وتأتي أهمية الاغتراب السياسي بوصفه موضوعاً للبحث،من أنه يشكل مشكلة اجتماعية على مستوى الأدوار المتوقعة من أفراد المجتمع ،والعجز السياسي أحد محددات الاغتراب السياسي،وبذلك "كان من انعكاسات الإحباط السياسي أن ظهر جيل ضائع أو في طريقه إلى الضياع يجد السلامة في الابتعاد عن الصراع. وهذا ما فتح الباب لسدّ الفراغ الفكري بتطّرف ثوري أو وجودي أو عبثي يـَنْشَدّ إليها ممَّن تعاطى الثقافة عامة والأدب خاصة"[1].

وغربة الشاعر مرتبطة بظروف سياسية واجتماعية،فقد كانت المؤسسة السياسية الحاكمة آنذاك السودان تمر بظروف صعبة،وما حصل من انقلابات،ومثال ذلك الأسباب السياسية التى جعلت **الفيتوري** يترك وظيفته كخبير إعلامي"إن الشاعر نظم قصيدة في رثاء عبد الخالق محجوب زعيم الحزب الشيوعي السوداني آنذاك [2]،حيث يقول في رثاء زعيم الحزب السوداني عبد الخالق محجوب:

حين يأخذك الصمت منا

فتبدو بعيداً..

كلما زيَّفوا بطلا

قلت : قلبي على وطني[3]!

فالشاعر في هذه الأسطر يعبر عن الاضطهاد السياسي الذي يمارس ضد الأبطال والزعماء المناضلين من قبل رجال السياسة وذلك ما يجعلهم يعيشون حالة عجز،حيث كان "ورفاقه الضباط الذين اشتركوا في الانقلاب،واعدموا بعد محاكمتهم،فمنع من الرجوع الى السودان،وهذا كان في حكم الرئيس السوداني **جعفر النميري** الى الحكم،بعد الانقلاب الشيوعي الفاشل الذي قام ضده،عام 1971م"[4] .

و قد صادرت الحكومة الحريات العامة والشخصية، وأفقرت الشعب وحرمته من حقوقه، كما اتسم الوضع الاجتماعي بسيادة القوى المحافظة،وجمود التقاليد وكان على الشاعر أن يناضل بشعره ليغير هذا الوضع المتردي رغم عدم التكافؤ إن الخطاب نشاط مشروط أيضا بالسياق الخارجي أو سياق الحال،وهو السياق الذي يؤطّر الكلام طرفي الخطاب؛المُرسِل وما يتعلَّق به من صفات وعادات ومقاصد وما يصدُر عنه من إشارات جسميَّة،والمتلّقي وما يتعلَّق به كذلك من صفات

[1]- عبد العزيز ابراهيم ،شعر الحداثة ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،ط د،دمشق ،2005،ص186.

[2]- محمد الفيتوري ،الديوان ،ص 42.

[3]- نفس المصدر،ص43.

[4]- نفس المصدر،ص42.

وعادات وفهم للمرسل وتأثّر بما يصدر عن هذا المرسل، ثمّ موضوع الخطاب ومجاله، وكذلك زمن الخطاب ومكانه[1].

و لذا فذاته غريبة في هذا المحيط القاسي،لأنه يعي حجم المأساة ولا يستطيع ردها،"ومن هنا فقد تشكل في داخله رد الفعل المناسب على وفق قدرته ووعيه، فقد يتابع مواجهة التحدي ومن خلال أساليب تتخذ طابع التمرد الفردي حيناً، وتندمج في البؤر الثورية الجماعية حيناً آخر، وقد ينكفئ على نفسه لائذاً بها، هارباً من الواقع، ومعتزلاً المجتمع"[2].

وفي قصيدة "**مقام في مقام العراق**"يذكر بوضع الوطن العربي من خلال وصف الأمة العربية الوطن وأصله شريف "بيرق من نقوش"،تطوف عليه أرواح الآلهة تحميه من الشرور وليس هناك غير الآلهة التى تستطيع ذلك،و هيولي ازرقاق أعداءه كانوا سببا في حجب الله والشمس والحب عنه،فعبارة"حجبوا الله" تحمل دلالة الغضب،"والشمس" التي أبعدوها عنه هي الحق الذي سلبوه منه،والحب نشروا فيه العداء فكان نتيجة ذلك وبلاً وحصاراً وسجناً يقول:

فأصبح سجناً كبيراً..
وضاقْ!
جزّؤوهُ ..
وقد كان شعباً..
فأضحى شعوباً معبّأةً في زقاقْ
واستبيح الترابُ..
الّذي كان من قبلُ ، فوق التراب
عزيَز النطاقْ
والبلاد التي مسحت راحتاها المقدّستان
جبين البُراقْ[3]

في حديث الذات عن وطنها المغتصب تتبدى مظاهر الاغتراب السياسي،فالذات عاجزة عن كل سلوك يجعلها تتحرر من عدوها ،والوطن مسلوب معتدى عليه يقهره العدو ويتجبر عليه،حتى غدا

[1]-ينظر136 P.Charaudeau, Dominique Maingueneau: Dictionnaire d' analyse du discours p134,

[2]- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر،ص106،107.

[3]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 93.

سجنا كبيرا لشعبه وضاق عليهم رغم اتساعه ،فقد جزؤوه ولم يكتفوا بذلك بل صيروا هذا الشعب شعوبا ففرقوه في البلدان وشتتوه فأضحى شعوبا معبأة في زقاق ،بما زرعوه من فتن وأحقاد بين هذا الشعب فصار شعوبا كل شعب يدعي حقه في الأرض الوطن دون غيره .

هذا الاستلاب نتج عنه ضعف وخراب ودمار ،وكان سببا لعجز هذا الشعب وقهره السياسي أمام العدو، فاستباحوا التراب وجزؤوه ،هذا التراب كان في الماضي سيدا وفوق كل تراب كان عزيزا فصار ذليلا،يستدعي الشاعر في قوله المكان المقدس،وذلك نابع من مرجعيته الدينية،ويذكر أهمية هذا المكان على مر العصور والأزمان،فكان لمدينة القدس حيزا مؤثر في قلب الشاعر،فهي مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومهبط الأنبياء عليهم السلام، تحوي عددا من الأماكن المقدسة كالأقصى وقبة الصخرة،"فقد أسري به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس،بروحه وجسده،يقظة لا مناما،صحبة جبريل عليه السلام وكان راكبا على البراق،فنزل هناك وصلى بالأنبياء في المسجد الأقصى"[1]،حيث جسد البلاد بصورة إنسان له راحتان تميزهما القداسة مسح بهما جبين ناقة النبي صلى الله عليه وسلم البراق،ولكن هذا الشرف والعز صار عارا وذلا على أيدي الأعداء يقول :

حملت عارها من زهور الهزائم

و العتمات

وخبز الفراقْ[2].

فبعد الرفعة كانت الهزيمة والظلام والفراق،هذه الألفاظ التي هيمنت على المقطع الشعري تنتمي الى حقل واحد يحمل دلالة الهوان والذل الذي أصاب الوطن يقول:

غيُر طفلٍ هناكَ

رأى وطناً صار في حُلمِه حجراً

فاستفاقْ

يعجن النارَ والصلوات بأسنانه

ويدوس حريَر النفاقْ[3]

[1]-ينظر أبي الحسن اليونيني،جزء في الإسراء والمعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم،تحقيق علي بن محمد الشهراني،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، ع44،ذو القعدة 1439هـ،ص528.

[2]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 94.

[3]-نفس المصدر ،ص 94.

الوطن المقهور المستلب كل شيء تغير فيه واستلب ،ولم يبق غير طفل سكن هذا الوطن،رأى حلمه أن هذا الوطن صار حجرا فاستفاق مذعورا يعجن النار والصلوات بأسنانه ،فدلالة النار الثورة والرفض لهذا الوضع،وفي توظيفه للفظة "الصلوات" تبرز دلالة التمسك بالجانب الديني ،لان الصلاة في كل الأديان طقوس وعبادة لرب معبود،يرفض الطفل الذي يمثل "الجيل الشاب" للوطن أن يعيش منعما إذا كان ذلك على حساب شعبه ووطنه،يتحدى النفاق الذي ساد والظلم يقول:

هتك السّرَّ

فالأمسُ كان مُراهَقَةً

والنضالُ القديمُ ارتزاقْ

والجيوشُ التي سَمِنتْ في حظائرِ حكّامِها

كذبةٌ .. واختلاقْ

إنما يستردُّ البلادَ

الرجالُ الأُسودُ

وليس الرجالُ النِّياقْ [1]

فالطفل "الجيل" اكتشف الحقيقة وفضح هذا السر الذي يتمثل في الماضي،لان أمس الحكام الطغاة كان مراهقة جْرت على الشعوب العربية السوء والفساد والنضال القديم كان في حقيقته ارتزاق،يظهر حقيقة الحكام السلبية الظالمة من خلال توظيفه للألفاظ:"مراهقة-ارتزاق-اختلاق"هذه الألفاظ كحقل معجمي دال على الظلم تحمل دلالة التعدي والعجز السياسي،فالمراهقة مرحلة حرجة في عمر الإنسان يكون فيها في قمة اضطرابه،وتصدر عنه سلوكات غير مبررة والارتزاق هو بيع الحكام الطغاة لبلدانهم مقابل حصولهم على الأموال والسلطة بوسائل الاختلاق والكذب.

فالنضال كان ارتزاقا والجيوش العربية التي تدعي الدفاع عن شعوبها ظالمة،وهي مثل الدواب في حظائر حكامها،"فوجدت أن طغيان فلسفة القمع و العنف السياسي والانغماس في الملذات لدى الحكام،وسيادة عقلية الرضوخ والاستسلام لدى الشعوب هي أحد مسببات هذا الوضع الشائخ المتردي و بالتالي عذاب الانسان وضياعه فيه"[2].

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 95.

[2]- قادة عقاق،دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر،دراسة في إشكالية التلّقي الجمالي للمكان،منشورات اتحاد الكتاب العرب،د ط،2001،دمشق،ص192.

لأن الخونة هم من سلموا الوطن للعدو،لا يمكن أن يستردوا البلاد بأي حال من الأحوال ،فالبلاد تحتاج رجالا أسودا يدافعون عنها وليس رجالا نياقا يسلمونها للعدو،"إنَّ الشعارات السياسية السطحية التي تعلن الحرية والديمقراطية مثلاً قيمتين أساسيتين في منهج عمل سياسي لسلطة ما أو لحركة ما لابدَّ أن تظل بالضرورة فارغة من مداليلها الحقيقية، لا لأنَّ السلطة أو الحركة سيئة النية أو لأنَّ الظروف لم تحن بعد أو.. أو.. بل لسبب جوهري آخر:هو أن العلاقات الأساسية في بنية الوجود العربي لم تبدل بعد،ولأن السلطة أو الحركة لم تعِ بعد هذه الحقيقة، ولم تطرح منهجاً ناضجاً قادراً على تحويل علاقات النفي السلبي بين أطراف الثنائيات (الأنا / الآخر) (الداخل / الخارج) (التحت / الفوق) (الواحد / المتعدد) إلى علاقات نفي إيجابي"[1].

وفي حديث الشاعر عن العراق مشاركة لأبناء الوطن العربي في همومهم وعجزهم،وتتجلى عنده صورة المكان العراق المعلم الحضاري والتاريخي،فصورة المكان العراقي تشكل واقعا حسيا إنسانيا،يحاول من خلاله أن يستحضر الآلام والويلات التي يعيشها شعب العراق،فحاول الشاعر تجسيد هذه الأمكنة،ليتمكن من التعبير عما يعانيه أهل العراق من هموم وأحزان،ف"**الفيتوري** الذي احترق بنار الحقد.والرحيل والغربة،واكتوى بلهيب البغض والنقمة والثورة السوداء،وعاش في الحزن والقلق،وحمل مأساته صليبا طوال خمس عشرة سنة،مأساته اللون،استطاع ان يرتفع بمستوى عذابه،وقد تطهر في آتون نار الإنسانية والإبداع بعد أن خاض تجارب اجتماعية وسياسية كثيرة،فوعى الحياة،متعاطفا مع الناس على مختلف بيئاتهم ومشاربهم ونزعاتهم"[2].

و**الفيتوري** كشاعر عانى كثيرا وحمل هموم شعبه وكان ذلك سببا لمنعه من دخول عدة دول وسحبت منه الجنسية السودانية وطرد من عمله في بعض الدول"ابعد عن لبنان فيما بعد ،وكان ذلك يوم 14 حزيران 1974لاسباب عزي الى أنها سياسية ،وقد اختار الشاعر السفر الى ليبية –باعتبار أنه ليبي الأصل،لكنه يحمل الجنسية السودانية ومن ثمة الى دمشق"[3] .

وقد توصل العديد من الدارسين إلى أن المغتربين سياسياً لا يميلون عادة الى المشاركة السياسية، لأن مشاعر اللاقوة السياسية تشكل لديهم موانع نفسية تردعهم عن محاولة بذل أي مجهود من شأنه أن يدعم تكاملهم مع المجتمع ومشاركتهم بنشاطاته،فهم لا يميلون إلى المشاركة بمختلف البرامج

[1]– عبد العزيز ابراهيم ،شعر الحداثة ،ص 190.

[2]– محمد الفيتوري ،الديوان ، ص37–38،

[3]– نفس المصدر ،ص34.

الاجتماعية مقارنة بغير المغتربين وأنهم لا يملكون علاوة على ذلك،حتى الرغبة في أن يصبحوا قادة سياسيين،وهذا ما كان مع **الفيتوري** بعد أن خرج من الاشتراكية التى تبناها في مرحلة شبابه،وتخلى عن دوره في السياسة بعد أن اشتغل كدبلوماسي.

ومما يجسد العجز السياسي في الديوان نجد"**قصيدة الرياح**"التي يقول :

وَلكنَّ ثَمَّةَ في بوخارِسْت بلادي أنَا
لا تزولُ الطَّواغِيتْ
أَقْنِعَةٌ تشركُ الله في خَلقه
فهي ليستْ تشيخ
ولَيْسَتْ تَموتْ[1] !

فمدينة "بوخارست"الرومانية صارت معادلا موضوعيا لمدينة الشاعر المغتصبة"السودان"هذا الوطن الذي غرب عنه الشاعر ونفي منه،ولكن حال مدينة بوخارست كان أفضل لأنها تخلصت من الطاغوت الذي حرقها، بينما في وطنه "لا تزول الطواغيت"وهنا يتحدث الشاعر عن الحكام العرب،الذين يقهرون شعوبهم ويجردونهم حقوقهم،ولن يتركوا الحكم لغيرهم ،فهؤلاء الحكام العرب حكوماتهم ليست تشيخ وليست تموت حتى تترك مكانها لمن هو أصلح منها فهي أقنعة تشرك الله في خلقه يريدون الخلود،فيتجبرون بغير حق ويظلمون،ويتمادون في إذلال الشعوب والسيطرة عليها،وحرمانها من كل حقوقها بنشر الظلم والسيطرة.

وفي قصيدة "**الى نيلسون مانديلا**" يبتدرنا العنوان بتوجيهه رسالة من المرسل الشاعر إلى المرسل إليه "نيلسون مانديلا"دون أن يحدد مضمون هذه الرسالة ،"هذا المناضل الذي يعد رمزا للكفاح ضد التمييز العنصري والزعيم السياسي الإفريقي الذي حكم عليه بالسجن المؤبد ،بتهمة قيادة التنظيم الإفريقي المعادي لنظام (بريتوريا) العنصري ،وكان مناضلا في المعارضة السياسية لنظام الحكم في جنوب إفريقيا والذي كان بيد الأقلية البيضاء، ذلك أن الحكم كان ينكر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأغلبية السوداء في جنوب إفريقيا، دعا للدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء في جنوب السنغال والمقاومة الغير مسلحة ضد سياسات التمييز العنصري،وبعد إطلاق النار على المتظاهرين ،فتح باب المقاومة المسلحة.

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص20-21.

تحوّل بعدها إلى بطل شعبي وانتخب رئيسا للمجلس الوطني الأفريقي ، أطلق سراحه في 1995 بعد أن أمضى سبعة وعشرين عاما في سجون جنوب أفريقيا ، وتولّى رئاسة جمهورية جنوب أفريقيا مباشرة بعد إلغاء نظام التمييز العنصري"[1] يقول الشاعر:

ساكنٌ أبداً في طقوسك

مثل إلاه قديم

يُرصّعه ذهب الشّمس

يا أَبنُوس الخريف الجنوبّي

كيف يكون جلال الشّهادة

إن لم تكُن أنت[2]!

حيث صار مانديلا ثابت في أدائه لطقوسه وكأنه إلاه قديم ،ترصعه ذهب الشمس،فالشمس تحمل دلالة الحرية وذلك أنه ناضل من أجل الحرية حتى حصل عليها فصار خالدا،ولا عظمة للشهادة دونه يقول:

تولد في الموت

تكبر في الموت

تطلع حقل نجوم على حائط الموت

تُصبح أوسمةً من بُروقٍ

وعاصفةَ من غناء

وغاباً عظيماً من الرّقص

أذهلتني في نضالك

تدمغ أعناق من دمغوك

وتسجن في العصر من سجنوك

وأنت سجين هنالك

[1]- ينظر:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%86_%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A7

[2]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص38.

أغرقتني في اكتمالك

مـانـديـلـلا

مـانـديـلـلا[1]

ولقد كان الفكر السياسي للقضايا الدولية الأساس والمنطلق لمعظم التيارات السياسية التي ظهرت في العالم وبذلك يتحدث الشاعر عن مسيرة نضال وكفاح مانديلا الذي ولد وسط الموت الذي يخطف أبناء جنوب إفريقيا في حروب دامية،وقد كبر وسط هذا الموت ولكنه رغم ذلك كان كالنجوم،وللنجوم دلالة العلو والتألق،يتحدى الموت الذي يحيط به ل"أن الموت هو الحد النهائي الذي يتحدى القيم ويكذب شتى مزاعم الانسان ويلقي على كل ما في وجودنا من أمال ضلاله الفناء الأسود البغيض"[2].

فقد تولى الفعل المضارع دلالة الحركة ليصنع المشهد الدرامي "تولد، تكبر،تطلع"هذه الأفعال يشدها معنى واحد الموت حيث سيطر على المشهد بكل أبعاده ،وبذلك تصير أوسمة برق تشرف المناضل.

لأن الإحساس بالغربة مرض ساد بين بعض الشعراء المعاصرين،ودفعهم إلى الضياع الناتج عن ظروف الإحباط التي تولدت بعد تردي الأوضاع السياسة وفشل الثورات العربية في تحقيق حلم التغيير،وفي هذا يقول **حسن حنفي**"إن الاغتراب يوجد عند جميع المثقفين الذين ينتسبون إلى الطبقات الكادحة والفقيرة وهي التي تُكوِّن الغالبية العظمى للمجتمعات النامية ذلك أنهم لا يشعرون بانتمائهم إلى النظام الاجتماعي الذي تسيطر عليه أحياناً الشكلية وبعض الأنظمة التي لم يختاروها بأنفسهم،وهم مناضلون معها أو ضدها من أجل إعطاء الغالبية التي يمثلونها دوراً في هذا النظام ولكنهم يحاولون التعبير عن هذا الاغتراب عن طريق الكتابات الأدبية أو عن طريق الهجرة"[3].

تعود طقوس الزنوج لتمجد المناضل المدافع عن حقوقهم ،والذي نبذ التمييز العنصري وثار في وجهه،فيقيمون له حفلا يعبر عن امتنانهم في صورة عاصفة غنائية تجمعت في غاب عظيم من الرقص،بعدها يتحدث الشاعر موجها الخطاب إلى منديلا معبرا عن ذهوله من نضاله .

هذا المناضل الذي استطاع أن يحقق العدالة و يكسر أعناق أعدائه ،وأن يدخلهم السجن كما أدخلوه إياه "في فبراير 1962 اعتقل مانديلا وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة سنوات بتهمة السفر

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص39.

[2]- زكريا ابراهيم ،مشكلة الانسان، دار مصر للطباعة مكتبة مصر القاهرة ،دط،دت،ص85.

[3]- عبد العزيز ابراهيم ،شعر الحداثة ،2005،ص192.

الغير قانوني ،والتدبير للاضطراب ،وفي عام 1964 حكم عليه مرة أخرى بتهمة التخطيط للعمل المسلح والخيانة العظمى فحكم عليه بالسجن مدى الحياة ،خلال سنوات سجنه الثمانية والعشرين أصبح النداء بتحريره من السجن رمزا لرفض سياسة التمييز العنصري ،وقد خرج من السجن في 11 فبراير 1990 بفضل مثابرة المجلس الإفريقي القومي وضغوطات الدولة على إطلاق صراحة"[1]،وبذلك يشير الشاعر إلى السجن الذي تعرض له مانديلا ،وذلك ما جعل الشاعر يعجب به معلنا صرخته في نهاية المقطع يقول في المقطع الثاني من القصيدة:

إنّما يحصد القهر

من يزرع القهر في زمني

إنّما يلبس الخوف

من ينسج الخوف في بدني

إنّما الموت موت ابتلائي

أمّا أنا فسأبقى

أراقص حرّيتي

وأدافع بين هدير الملايين

عن وطني[2]

في هذا المقطع يسيطر المعجم الشعري المجسد للمأساة والظلم "القهر،الخوف،ابتلائي،هدير"حيث يغدو الشاعر في موقف تحدي ظاهر فيجعل من القهر زرعا يحصده أولائك الذين يزرعونه في زمن الشاعر،وبأن من سيكون الخوف لباسه هو من ينسج الخوف في بدن الشاعر،فتنوب بذلك الاستعارات المكنية يحصد القهر يزرع القهر يلبس الخوف ،ينسج الخوف مجسدا للصورة التشاؤمية البشعة التي تجسد الاغتراب السياسي في بعده الاستلابي ولا انتماء ،ولكن الشاعر يصر على أنه سيبقى مطالبا بالحرية مجسد لها في صورة امرأة "أراقص حريتي "مؤكدا على أن دفاعه سيكون وسط هدير الملايين من أجل وطنه .

[1]-ينظر :
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%86_%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A7

[2]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص40.

وانتقل بعدها ليذكر بما نتج عن المستعمر الغاشم من مظاهر الفقر والحرمان والتسلط الذي جسد الاغـتراب السياسـي في أدق تفاصـيله حـين يصـبح الفـرد في وطنـه محرومـا مـن أبسـط حقوقـه السياسية،ذلك المستعمر الذي سلط عليهم أنواع الأسلحة ،ورماهم بالرصاص فلم يترك لا الناس ولا المدينة،المستعمر الذي جسد القبح بكل أشكاله فزرع في الأرض الجوع وأشاع القهر بين الناس يقول:

قد مّر طاغيةُ من هُنا ذات ليل

أَتـى فـوق دبّـابة

وتـسلَّـق مـجـداً

وحـاصـر شـعبـاً

غـاص فـي جـسـمه..

ثـم هـام بعيـداً

ونصَّب من نفسه للفجيعة َربًّا[1]

الطاغية المستعمر جاء في الليل حيث الظلام يكسو المدن،لأنه لا يجروا على المجيء نهارا ،جاء مستعينا بوسيلة حربية هي الدبابة التي تلحق الدمار والخراب،ف"تسلق مجدا"حيث جعل من حضارته جبلا فحذف المشبه به وذكر لازمة من لوازمه التسلق على سبيل الاستعارة المكنية،وذلك بنهبه لخيراتها وحصار شعبها،ونخر في عمقها وانتهكه،وغاص في عمق حضارتها فجعلها مستلبة حيث غدت هذه الذات منسلخة عن حضارتها،فهام المستعمر بعيدا وجعل من نفسه ربا للفجيعة ،لأنه مصدر كل بلاء كلما وجد وجدت معه المصائب والفجائع يقول :

وسـّد الآن رأســك

غيـم الحقيقة َدربُ ضيائك

رجـعُ التَّرانيم نَـبعُ بُـكائك

يـا جـرس الصَّدفاتِ البعيدة

فــي حفـلـة الـنَّـوْء

يشتاقك الـحـرس الـواقفون

بأسـيـافـهـم وبـيـارقـهـم

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 32.

فـوق سـور الـمدينة

والقبّـة الـمستديرة في ساحة الشَّمس

والغـيـمـةُ الـلَّهـبـيَّـةُ

سابحة فـي الشِّتَـاءِ الرماديّ

والأفـق الأرجوانّي والأرصفة

ورؤوس ملوك مرصعة .. بالأساطير

والـشـعـر

والـعـاصـفـة[1]

يستهل الشاعر المقطع بجملة إنشائية أمرية "وسـّد الآن رأسـك"طالبا من الذات بكل مقوماتها العربية والزنجية أن تستريح من تعبها ،لأن غيم الحقيقة سيكون دربها الذي يضيء طريقها ،فالترانيم التي يصغي لها مصدر بكاء الذات التي ظلت عن هدفها في بحثها عن دربها ،لا تجد غير البكاء أنيسا لها ،فهي جرس لصدفات بعيدة في حفلة النوء.

الذات جزء من الحضارة التي انسلخت عنها،الحضارة التي كانت الطرف الثاني المقابل للذات في مناجاة Monologue والتي يجب اعتبارها-رغم مظهرها-نوعا من أنواع الحوار والذي يعد بنية أساسية"[2] يقوم عليها النص باعتباره خطابا،يحمي الذات حرس واقفون مسلحين بأسياف وبيارق،يحصنون المدينة بالتفافهم حول أسوارها المجسد المشهد من خلال تحديده للحركة واللون،فالقبة المستديرة وسط ساحة الشمس والغيمة ذات اللون الذهبي تسبح في الشتاء الرمادي اللون ،والأفق كان أرجواني اللون،والأرصفة ،وسط هذه الصورة رصعت رؤوس الملوك بالأساطير والشعر والعاصفة.

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص32،33 .

[2] -D.Maingueneau, Les termes clés de l'analyse du discours, Seuil, Paris, 1996, p37.

1-2-التمييز العنصري :

تناول **الفيتوري** في شعره مأساة الإنسان الأسود في إفريقيا، واضطهاد العنصريين له، وعزمه على التحّرر واستعادة كرامته،لأن الإنسان الإفريقي الأسود معرض للذَل في أرضه التى وطأتها أقدامُ المستبدّين العنصريين البيض الذين يعتبرون شخصه عبدًا حقيرًا لا يصلح إلاّ لخدمة مصالحهم أو فيما يسعِدُ الرجل الأبيض، هذه الحال التى دامت قرونًا وقد تستمر، ولذلك فالشاعر يتحصر على انطفاء عمره في غياهب السجن الذي بناه البؤساء من أبناء بلده،فسخطه وألمه دفين على جور الإنسانية في حقه فلا أحد يحميه أو يؤيّد حقه،لكّن الإنسان الإفريقي تفطّن لحاله واستيقظ من سباته فهو يجاهد ويناضل لفكّ القيود والأغلال التي رافقته زمنًا، من طاغوت العنصريين وعدم استسلامه للواقع الأليم الذي فرض عليه ورغم ما يعانيه من عري و جوع وبؤس وتعذيب وتسخير للأعمال الشّاقة، الا أنه يبقى صامدا يقول في قصيدة "**الى نيلسون مانديلا**" في المقطع الثالث مفتتحا بنداء الزعيم الإفريقي وداعي السلام الذي نبذ التمييز العنصري يقول:

مانديللا

مانديللا

– إنَّ حّريتي هي ميراث أرضي

ومعجزتي

وتوهُّج دربي

مانديللا

– إنّ حّريتي هي حّريتي

في خلود نضالي

وفي عبقريّة شعبي

مانديللا

– إنّ حّريتي هي بدئي وخاتمتي

وهي ديني العظيم وربيَّ[1]

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص41.

هذا الجلاّد سخرهم في مأربه وحطّم أمانيهم في السجون تحقيقًا لمقاصده وإمعانا في إذلالهم،وبذلك كلما زادت خيرات الأبيض زاد شقاء الأسود،ورغم كل هذا لم تمت روح الحّرية والمطالبة بالحياة الكريمة،فكانت ثورتهم على العدّوان فأزال الذّلّ ومحا وصمة العار التي شوّهوا بها.

ومازال الإنسان الإفريقي الأسود يمر بصراع مرير وكفاح مستمر ضد التفرقة العنصرية التي أوجدها الإنسان الأبيض الذي يحلم بالأفضلية عليه دائما وبأنه خُلق من غير الطينة التي خلق منها الإنسان الأسود وما وُجد هذا الأسود إلاّ لخدمته واسعاده أّما الأسود فليس بالإنسان، فقيمته في هذه الحياة ليست أكبر من قيمة الحيوان.

يفتتح الشاعر المقطع الشعري مسائلا "مانديلا "قائلا :أن السجن لا يعني شيئا مادام مانديلا استطاع أن يكون في كل جزء من وجود شعبه،فقد ارتسم وجهه في شهقات الصبايا ،وفي الغرف المعتمة لأن نوره يغطي كل شيء وهو فوق رماد المناجم.

كيف لك أن تكون سجينا ،وأعداؤك يلهثون وراءك،وفي هذا إشارة إلى ما كان يفعله أعداؤه لأنه تحداهم وناضل ضد الظلم والتمييز العنصري ،فقد عانى وهو مختبئ من مكان لأخر حتى أن جسور "بريتوريا"وبناياتها الشاهقة تشهد على ذلك ،ولكن مانديلا كان بطلا يكافئهم بالهزائم لأنه استطاع بصموده أن يثبت عدالة قضيته "الحرية"وشرعيتها بالقضاء على التمييز العنصري،فالحقل المعجمي في هذا المقطع طغى عليه معنى التحدي والثورة "سجينا،شاهقات،أدخنة،رماد يلهثون،تحت الجسور،راعشات،الهزائم"،يقول في المقطع الشعري الخامس من القصيدة:

مانديلا

أيّها البطلُ لشّيخُ

مُغْتسلاً بمياه الثّمانين

مُختبئاً في تجلّيك

أنهكني سفري فيك

أعرف أنّك ضوء على زمني

هكذا أنت

فامكث كما أنت

كُن هكذا خالداً في معانيك

متّكئاً فوق مجد الثّمانين

وابــق مكـانك

ابــق مكـانـك

ابــق مكـانـك [1]

مناديا **مانـديلا** البطـل الشيخ بـأن سـنوات عمـره الثمـانين الـتي قضـا منهـا ثمانيـة وعشـرين سـنة في السجن، وكأن بها غسلت سنوات عمره مجلالا به،فالشاعر يعتبر نفسه مانديلا السودان ،لأنه يرفض تجبر الرجل الأبيض على الرجل الأسود فيها ،فكما ناضل مانديلا من أجل ذلك ،**الفيتوري** يناضل منهـك مـن سفره في البحـث عـن سّر **مانـديلا** الـذي يضـيء زمنـه المظلـم ،فهـذا الظـلام مبعثـه الظلـم والتمييز العنصري الـذي يسـود حيـاة السـودانيين المظلومين،ويجعـل الشـاعر في سـفر دائـم واغـتراب لا ينتهـي ،لأنـه يبغـي الحريـة والخـلاص ويتـوق إلى السـلام،هذا وصـف **مانـديلا** ،وهـذه حقيقتـه عنـد **الفيتوري**،وعنـد الـذين يقـدرون دوره ويعرفـون قيمتـه،فمانـديلا خالـد في معانيـه وأصـله والشـاعر يطلـب منه أن يبق صامدا على موقفه ،فعمره الثمانين بالنسبة **الفيتوري** مجد يتكأ عليه **مانديلا**، مطالبا منه أن يبـق في مكانـه مكـررا الجملـة ثلاثـة مـرات تأكيـدا عـلى المعنى،وقـد اعتمـد فيهـا عـلى ذكـر إثـم العنصريّ يّـن في حـقّ السُّـود ومقـاومـة هـؤلاء وصبرهـم إلـى أن وصلـوا إلـى تحريـر جـزءٍكبيـر مـن وطنهـم.

تنطوي الأبيات على عمق يوازي المأساة التي عاناها هذا الإنسان الأسود طيلة دهور بعيدة، فـالآلام المريـرة التـي كابدتهـا أجيـال دون أن تكـون لهـا القـدرة عـلى التعبيـر لترفـض هـذا الواقـع الُمزري،ولكـن عنـدمـا جـاءت الفرصـة الّسانحـة ثـارت فـي وجـه الّدخـلاء البيض،لتزيـل وجودهـم وتقضي على كيانهـم القضاء المبرم .

وبذلك كانـت عواطف الشّاعـر متنوعـة ومزدوجـة، لأنه عبـر عّمـا عانـه وكابـده مـن آلام وأسـى عـميقين،ومـا يعانيـه أبنـاء جلدتـهـن جهـة أخـرى كمـا عبّـر عـن صبـره وسخطـه وتحدّيـه للمـ ستبديـن العنصريين وثورتـه عليهـم كّل هـذا فـي كبريـاء وأنفـةٍ شامخـة تقمـص فيهـا الشـاعر شخصيّـة الإنسان الإفريقي الأسود وامتزج بها لأنه جزء منها،فكان الحقل المعجمي الطاغي الألفـاظ الدالة على البؤس والشقاء:المضطهد،يستعبد،الّسجن،عراة،جائعين، بائسين...الخ.

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص43،44.

تناول **الفيتوري** في هذه القصيدة موضوع مأساة الإنسان الإفريقي الأسود الذي أجبره غرور الرجل الأبيض وبغيه لأن يش حقبا زمنية طويلة عبدًا ذليلاً ،مهانا ومجردا من أدنى مقومات الكرامات الإنسانية، فهو يعاني من العذاب والعنت على أيدي العنصريين البيض مالا يعانيه أحقر وأرخص مخلوقات الله.

ولم يكتف هؤلاء العنصريُّون بسلب ونهب الخيرات المختلفة للإفريقيين بل عملوا على سلب كل ما يمتُّ بصلة إلى تاريخهم ومسخ شخصيتهم،وباختصار فالإنسان الإفريقي الأسود وخيرات إفريقيا السّوداء في نظر الرجل الأبيض إنَّما هي مأرب وجدت لتسخَّر في خدمته.

فالشاعر قلبه يحترق ألًما من المأساة التي يتعرّض لها إخوانه الأفارقة بل إنّه من خلال وصف أحوالهم النَّفسية تلك إنما يعبّر عن إحباط نفسي بسبب الظّلم البشع الذي يمارسه العدّو ضد إخوانه،وهذا ما عمق شعوره بالاغتراب السياسي فلا هو قادر على رفع الغبن عنهم ولا هو قادر على السكوت،إن قمة القهر والعجز هي ما يعانيه الشاعر اتجاه هذا الوضع"هذه النفس البائسة،التي حبرت أكداسا هائلة من الصفحات ،في بكاء حبها اليائس ،وشكوى زمنها الغادر،ورثاء شبابها الغض الذي شاخ في ريعان الصبا"[1].

1-3-العنف والتمرد والثورة والحرية:

موضوع الثورة في شعر **الفيتوري** وثيق الصلة بالموضوع الأفريقي الرئيسي،وذلك لان الوضع السياسي الذي مر به بلده وتمر به كل الشعوب العربية يدعو الى الثورة و التمرد على الأوضاع الكارثية التي ساهم فيها الحكام بتخاذلهم اتجاه قضاياهم بجزء كبير ،والشعوب بصمتهم بالجزء الأكبر ،وبذلك تجسد الكلمات الدالّة حقيقة الوضع السائد والتي منها:النضال،الدم ،السجن ،الحرب ،الشهيد، الفرسان ،السيوف ، المدافع ، مقابل الكلمات الطغاة :الاستعمار،السوط، الجلاّد، الغزاة،الباغي، البطش،القيد.

وقد خدم الحقل المعجمي الذي اعتمده **الشاعر** في هذه القصيدة النضال"الدجى،الأسى مزقت، أوهت،السجون"،وباعتبار الثورة الموضوعة الكبرى فإن تفرع مواضيع ثانوية منها أمر ضروري والتي منها:"المقاومة،الموت الضحايا ،الجنازة ،المقبرة ،الجثة ،الكفن"، إذ يعتمد الشاعر على الحقل الدلالي وهو يشيع شهداء الثورة في موكب فني رائع، ومنها موضوع الحقد الذي يبرزه هذا الحقل

[1]- محمد الفيتوري ،الديوان ،ص32.

كالنقمة،النار،البركان،العاصفة ،العداوة، الاحتقار،وهي مفردات تهيمن على قصائد **الشاعر** ففيها يجد الشاعر نوعا من التنفيس ،"وهكذا يأخذ التمرد شكلين مختلفين في حياة الفرد الواحد، فالإحساس بالغربة وما يكتنفه من أحزان يعني التمرد على الواقع ورفضه، وكذلك الموقف الثوري المقابل إن هو إلا تمرد إيجابي على الواقع ومحاولة لتغييره"[1].

والجدير بالذكر أن موضوع الثورة عنده كان متبادل بين الذات الأفريقية والآخر الاستعماري،ويرجع انحيازه الشديد للأسود إلى تأثره البالغ بذلك الإحساس العميق بالظلم الذي عاناه الإنسان الأسود على مرِّ العصور، والذي ترسب في نفس **الفيتوري** حتى ملأ نفسه ووجدانه، وجعله يثور من منطلق مقابلة الإساءة بمثلها والقتل بالقتل، فلا مجال عنده للصفح والغفران بعد هذا العذاب كله، وبعد ذلك الاحتقار كله، الذي ما زالت أسواطه تجلد جسد الإنسان الأسود وتؤجج نار الحقد والضغينة والاقتصاص "وعلاقة الحرية بالرؤية الأفريقية شديدة الالتحام،بل إنها قضية واحدة يتماهى الشاعر بها وتذوب ذاته الصغيرة في ذات أكبر هي الذات الأفريقية،إن القضية تبدأ بحرية أفريقيا لتنتهي بحرية الإنسان ،وكرامة الإنسان في كل أرض وزمان"[2].

بعد أن حدد مخاطبه "**مانديلا**" أكد له أن الحرية التي يريدها هي ميراث أرضه ومعجزته التى حققها أجداده ،تضيء دربه فالحرية هي خلود نضاله و التفاف شعبه حولها ،فهي بدايته وخاتمته ودينه وربه المعبود،هذا الإصرار على التعلق بالحرية يسيطر عليه حقل معجمي يدل على الصمود والتحدي ومناشدة هدف محدد المعالم هو الحرية ،فيغدو الخلود في النضال،وتعلق عبقرية شعبه ،لان الحرية دين للشاعر ورب له يقول:

وكيف تكونُ سجيناً

وأنت هنالك ترسم وجهك

في شهقات الصّبايا

وأدخنة الغرف المعتمات

وفوق رماد المناجم

كيف تكون سجيناً

وهُم يلهثون وراءك

---

[1]-كاميليا عبد الفتاح ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي ،ص122.

[2]- الشطي عبد الفتاح ،شعر محمد الفيتوري المحتوى والفن ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،2010،د ط ،ص27.

تحت جسور بريتوريا

وبناياتها الراعشات

وأنت تُكافئهم بالهزائم[1]

فالشاعر انهمك طوال عقد كامل أو أكثر في شؤون الحياة السياسية ويومياتها، وسخّر الرموز والأساطير والأقنعة للتعبير عن آرائه فيها، فابتعد عن نفسه وتجاهل أحلامه، واندمج في الحياة العامة، وصارت أحلامها شاغله الأساس، ووصل به ذلك حد الكتابة عن المناسبات السياسية فأرخ لها وذكرها ومن ذلك حديثه عن الثورة الخمينية في قصيدته "**الرجل المتحدر تحت الصنوبر**"يقول:

لم يكن وحده أية الشعب

كان يصوغ نهاراً لأحلامه

ويحرك عصرا من العقم الواقف

بينما المدن الأثرية تهجع

تحت ركام التّماثيل

أيتها المدّن الأثرية

هاهي ذي أية الشعب ماثلة

فاحلمي بمجئ الحرائق

أو فاحلمي بجنون العواصف

يولد الزّمن المتمّرد في رحم البطل العبقري

وتجهض حين المخاض بطون الزواحف [2]

في هذا المقطع الشعري تتكثف دلالة الاغتراب السياسي بمظاهر الثورة والتمرد،فبدل أن يذكره باسمه الحقيقي **الخميني آية الله** اعتبره آية الشعب،كونه قلب نظام شاه الحاكم،فهو حجة لشعبه ولم يكن وحده آية فقد كان معه الكثيرون وذلك أنه حمل مشروعا بأبعاد سياسية عدة ،فكان ما يفعله تجديدا لهذا الحلم الذي صاغه .

عصر الخميني يعتبر ولادة جديدة لشعب إيران ،لأنه حرك عصرا من العقم الذي ساد هذه الدولة حينا من الزمن لأنه في الثورة حطم التماثيل التي كانت تسود و تقف في كل مكان،ولم يعط لتلك

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص145،146.

[2]- نفس المصدر،ص 145.

المدن حجم القداسة التى أعطاها لها الملك شاه ،بعد عرضه لحالة المدن،ينادي المدن الأثرية موجها لها الخطاب محذراً ،لأن الذي فعل ذلك هو آية الشعب (الخميني) الذي جعل منها ركاما ،و أن هذه المدن التى أصبحت في صورة إنسية عليها أن تحلم بالحرائق التى سيشعلها الخميني فيها أو بأن تحلم بجنون عاطفي سوف لن يترك فيها شيئا يذكر ،فالخميني في نظر الشاعر ليس قائد ثورة فحسب بل هو زمن متمرد،ولد في رحم بطل عبقري ،هذه الولادة لهذا البطل الخميني،كانت سببا في القضايا على بطون الزواحف الطامعين في نهب خيرات البلاد ،هذا المجهض و المخاض،هو ما كان سيفعله الملك شاه لو لم تنجح الثورة الخمينية يقول:

أيتها المدن الأثرية

هل علم الّرجل المتحدّر

تحت غصون الصنوبر

أنّ الحديقة راحلة في الطحالب يوماً

وهل سمع الّرجل المتحدّر

تحت غصون الصنوبر

صوت عذاب الملايين

محتجّة في عويل الأغاني

وحشرجة الضّحكات

وهل كان شاه المدينة

يعلم إن حلوق العصافير

مسكونة بالّرماد

وأن تراب البلاد التي يبست

في جفاف أسمه

كان يحمل في نبضه بذرة الاضطهاد [1]

في نداء يوجهه الشاعر للمدن الأثرية ،يتساءل عن علم الرجل المنحدر تحت غصون الصنوبر،أن تلك الحديقة التى هي وطنه إيران،تُعششُ فيها الطحالب في هذا العصر بعد كل ما بذلة لأجلها،

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص146-147.

وهل سمع صوت عذاب الملايين بعده فهم يعانون المرض والفقر والقهر،في واقع متناقض لا تملك غير الاحتجاج أمام عويل الأغاني، وحشرجة الضحكات،فنحيبها وعويلها لكثرته صار كالأغاني المنسجمة وموت أبناءها صار حشرجة ضحكات متوالية لأن القهر تجاوز كل الحدود.

يتساءل الشاعر هل كان شاه المدينة يعلم أن حلوق العصافير مسكونة بالرماد،و العصافير هنا هم الأطفال المسكونين بالرماد هذا الرماد هو أثار الحروب و النيران التى تشتعل فيها،فكل عناصر الطبيعة تضافرت لتضع هذه الصورة (المدن-العواصف-الحرائق —الشعب-الرجل-الصنوبر-الطحالب-العصافير)،وهي في تكاتفها تشكل الموضوعة وهي البطل الذي صنع تاريخ جديدا لأمته،فبعد أن صنع تاريخا مضى، البلاد اليوم تعاني،فالتراب يبس لم يعد خصبا يصلح للنماء،بعد أن أصاب اسمه الجفاف،فيصبح الخميني يساوي الارض ،وجفاف اسمه ،هو تراجع لمجده ،فهذا الواقع ليس في الحقيقة سوى نتيجة منطقية لبذرة الاضطهاد التى تسكن هذا الشعب،إشارة الى أن ظلم الملك شاه لشعبه غرس فيهم الاضطهاد و تركه بذرة ساهم في نموها تخليهم عن مبادئه يقول:

وهل علم الرجل المتحدر تحت الصنوبر

أن كآبة هذا الزمان

ستهبط عن عرشها ذات يوم[1].

هذا التغلب لزعيم الثورة الخميني يجعله لا يعلم أن ما يحدث من مصائب ومشاكل بلده إيران ،هي مجرد كآبة زمان،و ستزول في يوم ما،وبذلك ينقل الشاعر نبرة التفاؤل التي يتبناها.

وفي القصيدة "**الى فتحي سعيد**[2] التي يتبدى من عنوانها الذي جاء شبه جملة من جار ومجرور أن الشاعر، يبعث بخطابه الى شخصية معروفة سياسيا في تاريخ مصر النضالي ،فهو أحد المناضلين السياسيين في مصر يقول:

مليءُ بآفاق البُكاءِ

قصائدي عليك سجيناتُ

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص147.

[2]- فتحي سعيد: هو شاعر مصري ولد في 12 يوليو 1931 بقرية الروقة بمحافظة البحيرة في مصر، وتوفي في 18 يناير 1989 ،خلال مظاهرات 46،47،48 ومعارك فلسطين، بدأ الكتابة الشعرية في سن مبكرة، جمع نتاج فتحي سعيد الشعري بين الشكلين: العمودي، وقصيدة التفعيلة، وجمع بين ملامح الرومانسية والتيار الواقعي التأملي الذي برز في الخمسينيات والستينيات"،ينظر http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%AA%D8%AD%D9%8A_%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AFويكيبديا .

يُطوِّقنني حُزنْاً

تمنيت أن ألقاك حيّا

وبي هوى لمصر ، التّي

ما غادرت قطُّ لي جفناً[1]

امتلأت نفس الشاعر بالحزن والبكاء على المناضل فتحي سعيد وقد اعتبر قصائده سجينات فالحزن طوقه ،فتمنى لو لقيه حيا لأنه لم يعرفه إلا من خلال اسمه وسيرته ويعلن هواه لمصر ويقّر بأنها لم تغب عن جفنه،ويصرح في عبثية يحذوها الاغتراب السياسي الذي يعانيه الشاعر كما عاناها فتحي سعيد قبله يقول:

ولكنّها الأقدارُ تلهو..

وربّما هَوى المرءُ في أيامِه يحصدُ الغبنا

أخي .. يا أخا ..الماضي

كأنَّك لم .تَكُنْ[2]

واعتبر الشاعر أن الأقدار تلهو به لأنها جعلت الاغتراب السياسي حتمية تلازمه وذلك لأنها جائرة، ففتحي سعيد الذي ناضل وكافح لم يحصل من ذلك شيئا "ويتحول الاغتراب الى ثورة يتبناها الشاعر الواقعي،ويستمطر بها غضب عناصر الطبيعة ،ليحولها الى لهيب ثوري يبقى محض أمنية لا تتحقق للشاعر ،وتنتهي القصيدة نهاية عدمية استلابية "[3]يقول:

أخي .. يا أخا ..الماضي

كأنَّك لم .تَكُنْ

وأَنْتَ الذي قد كُنْتَ ..فينا

وقد .كُنّا[4]

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص84.

[2]- نفس المصدر،ص84.

[3]-كاميليا عبد الفتاح ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي ،ص104.

[4]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص85.

فهذا الانتماء العربي الذي طبع حياة الشاعر وجعله يشيد به وحبه للمناضلين يقول:

تعلَّمْتُ منكَ اليَوْمَ شيئاً جهلتُهُ

فصرتُ به أدرى

وصرتُ لهُ أَدنى

تعلّمتُ منك الموت

والمرءُ فاقدٌ

لمعناهُ

مَا لَمْ يَلقَ في موته معنى[1]

يعلن الشاعر تعلمه من هذا البطل العربي الذي رسخ فيه قيم العروبة من خلال تكرار الشاعر للعبارة"تعلمت منك"،وقد اعتبره كمعادل موضوعي فقد تعلم الشاعر منه معنى الموت لان الانسان لا معنى له إذا كان موته دون معنى ،كما أن المفهوم الذي يراه الحقود للمجد يختلف عن معنى المجد الحقيقي،وبأن الخلد غير الذي ظن لأن التضحية أساس الخلد ،وبأن ما يخلد الانسان شعره الذي يكتبه ويتركه يقول:

تعلمتُ أنّضر المجد غير الذي رأى الحقُودُ

وأنَّ الخلد غيُر لذي ظَنّا

تَعلَّمْتُ أنَّ الشِّعْر أن يذهب الفتى ..بعيداً

ويبقى بعدهُ كُلُّ ما .غَنَّى[2]

وكأن لسان حاله يقول أن الخلود يكون للشاعر الحق ،ولما يحققه شعره من شهرة وذيوع بين الناس لأنه يستحق أن يعرف حتى بعد موتهّ ،ويقول مقرا بفضل مصر على الغرباء وهو واحد منهم :

ويا مصُر يبقى ضوءُ وجهكِ باهراً

مـــــداهُ..

وَصَوْتُ الحقِّ في صَوتِك ..الأَسْنى

وتبقيَن ..أُمَّــا

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص85.

[2]- نفس المصدر ،ص86.

كُلَّما تاهَ عَاشقُ ، وَأْوغَلَ في مَسْراهُ
كُنْتِ لـهُ حِضْنا[1]

فمصر كبلد احتضنت الشاعر،وكانت مكانا يأويه من اغترابه النفسي والمكاني في مداها ،فالحق ينطق فيها من خلال أبنائها البررة،فهي أم للجميع والعشاق،وحضنا دافئا لكل من عشق أرضه ووطنه.

2-القناع والرمز في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري :

إن لجوء الشاعر العربي إلى استخدام الرمز يعد وسيلة فنية للتعبير الغير المباشر عما يريد،والتقنع بشخصية من شخصيات التاريخ ينطلق منها نحو ذاته ليكشف مكنونات نفسه إلى المتلقي،وقد صارت تقنية القناع بذلك مظهرا من مظاهر الحداثة وما بعدها في الشعر العربي الحديث.

القناع:

في اللغة:"تتقنّع به المرأةُ من ثوب تُغطّي رأسها ومحاسنها"[2]،أما تعريف القناع اصطلاحاً:فهو" وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة،أو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر...،فالقناع رمز تاريخي-في أكثر الأحيان- يرمز للشاعر، أو يحمله الشاعر نظراته في الفن والتضحية والمبادئ"[3]،ومن دوافع التقنع تفاعل شبكة علاقات الشاعر مع واقعه،وذاته،والشعر،ومحاولته اختراق هذا الواقع وتجاوزه، وبناء علاقات فاعلة ومؤثرة،تؤدي إلى تجدد المجتمع/ الواقع والذات والشعر معاً.

ولعل الوضع السياسي والاجتماعي المزري الذي ساد المجتمع العربي،جعل الشاعر العربي إزاء مجموعة من التناقضات دفعته إلى الخروج عن دائرة المألوف،والتمرد على قيم الثبات والجمود.

الرمز:

لغة:"الرمز يعني تصويت خفي باللسان ، كالهمس ويكون تحريك الشفتين،والرمز إشارة إيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه ممّا يبان بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين ورمز ويرمز رمزا. والرمز والترّميز في اللغة يعني الحزم و التحرك"[4].

فالرمز وجه من وجوه التعبير بالصورة الشعرية وهوعلامة تعتبر ممثّلة لشيء آخر ودالّة عليه، فتمثّله

---

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص86.

[2]- ابن منظور، مادة "قنع"، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور،لسان العرب،ج12،دار صادر،2003،ص203.

[3]-إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 1، 1978، الكويت،ص100.

[4]-ابن منظور، لسان العرب ، دار الكتب العلمية ،منشورات محمد علي بيضون ،بيروت،ط 1، مج 6، ص 223 .

وتحّل محلّه"[1]؛تتحكم فيه الرؤية والموضوع،والجامع بينهما علاقة تداخل وامتزاج،لان له ارتباط بالتجربة الشعرية الخاصة والسياق الخاص،الذي ورد "أما فيما يختص بالرمز الذي يتبلور في كلمة واحدة فإن الشعراء المعاصرين قد بذلوا في هذا المجال جهدا ملحوظا حتى كاد كل شاعر يعرف برمزه المبتكر"[2].

إن الرمز يرتبط بالقناع برابطة متينة،وذلك أن تقنية القناع تقع ضمن دائرة الرمز؛ لأن توظيف القناع يقوم أساساً على استخدام متطور للرموز والشخصيات،وقد تفاوت الشعراء في تقنية القناع،وفي طريقة توظيفه،فيكون حالة من التلبّس بشخصية أخرى،يختفي صوت الشاعر المباشر خلفها من بداية القصيدة إلى نهايتها،أو يتحدث من ورائه عن بعض هموم عصره،وبذلك يصبح القناع وسيلة لتجسيد الواقع من أجل تغييره،لان الأقنعة التي تحمل أسماء شخصيات نموذجية تحملها بدلالات فكرية وشعورية تحدد حضوره في الزمان،فيتجاذب الصوتان، ومن خلال هذا التفاعل يتولد "البعد الثالث للرؤية، والمنظور الثالث للتجربة،والمجال الثالث للزمن"[3].

ولهذا فإن قصائد **الفيتوري** التي اعتمد فيها تقنية القناع فيها نوع من التفاعل بين الشاعر والشخصية التاريخية،تفاعلاً عضوياً قادراً على إخفاء الشاعر،ولكن بموازنة محسوبة تحول دون طغيان أحدهما على الآخر،والقناع من الحيل البلاغية التي توظف للتعبير عن تجربة معاصرة.فهو وسيلة إخفاء وإبعاد فنية؛ ولذلك يجعل الشاعر يلجأ إلى الاستفادة تناصيا من تجربة أو موقف أو رؤياً أو حدث شهير في الماضي ليتقنع بها، ويعيدها إلى الأذهان ضمن تجربة جديدة مماثلة تضم أصواتا الى صوت الشاعر،فاستخدام الرمز وسيلةً فنيةً للتعبير غير المباشر عّما يريد،وتقنّع بشخصية من شخصيات التاريخ،وتشبّث بها.

[1]– ألتونجي محمد ، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية ،ط 2، ج 2، بيروت،1999م، ص 488.

[2]– عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية ، دار العودة و دار الثقافة،بيروت،ط2 ،1972 ،ص218.

[3]– عبد الرحمن بسيسو، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص226.

2-1-شخصية المتنبي كقناع في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري:

كثيرة هي الشخصيات التاريخية التى وظفها الشعراء في قصائدهم كقناع يعبرون به عن رؤيتهم ومواقفهم المختلفة،والمتنبي الشاعر العربي الذ ي ظَهر في القرن الرابع الهجري، بشخصيتِه الطاغية الجبّارة،فملأَ الدنيا، وشغل الناس، واتخذه النقاد موضوعا جديدةٍ في عصره،يعد من الشخصيات التى وظفها الشعراء.

يعوُد إلينا المتنبي في الشعر المعاصر بصور وأشكال جديدة ؛وذلك مرجعه الى توظيف الشعراء للتراث والتفاعل معه،وموقفهم منهُ بشكلٍ عام [1]؛فما موقف **الفيتوري** فمن توظيفه للمتنبي؟وهل كان استدعاؤه استلهاما وتعبيرا عن رؤية فنية وفكرية ؟ لماذا اختُار الشاعر شخصيّة المتنبي من بين ذلك الكم الهائل من الشخصيات التُراثية الهامة لتكونَ في قصيدته قناعاً ؟!

شخصيّة المتنبي واحدة من مئات الشخصيات في تُراثنا العربي،مطروحة أمام الشعراء لاستحضارها والتحدّث من خلالها،وإن ما شجع **الفيتوري** على توظيفها،هوتحمّلُهُ هذهِ الشخصيّة من قدرةٍ على التجدّد والحداثة،وتلك القيم الحضاريّة التي يمكن أن تشي بها،بالإضافة لقدرتها على التقاطع مع زمن آخر غير زمانها؛وهنا يأتي دور الشاعر وقدرته على الاختيار؛وموهبته في مُلامسة السمات المميّزة والدالة في الشخصيّة التُراثية؛وهذا لا يعني أن تكون الشخصيّة -في الأساس-إيجابيّة "[2].

فاستحضاره لشخصيّة **المُتنبي**كان من خلال جعله يتحدّث بصوتِه ولسانِه،وبالتالي يقدم تجاربه المختلفة في الطموح والانكسار والغربة والنفي وغيرها، ولعل توظيف الشعراء لشخصية المتنبي له مبرراته ودوافعهُ الذاتية والموضوعيّة التى تبناها الشعراء[3]والتي منها:

-النزعة العربيّة التي حملها **المتنبي** وعبر عنها في معظم أشعاره،وفي ذلك يقول **حسين مروّة:** "أعظم شاعرٍ عربي غنّى معاركَ النضال العربي،في زمن كانَ هذا النضال يحملُ أثقالَه فارسُ بني حمدان وحده من أمراء العرب"[4].

-المرحلة التى عاشها **المتنبي** صعبة في تاريخ الحضارة العربية"وهي القرن الرابع الهجري"،وذلك من خلال حروبهم مع الروم والانقسامات الداخلية فيها والثورات التي كانت تنشب من مرحلة الى أخرى.

---

[1]- ينظر ثائر زين الدين ،أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر دراسة ، اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 1999،مكتبة الأسد،ص8.

[2]- ينظر نفس المرجع ،ص9.

[3]- نفس المرجع،ص10.

[4]حسين مرّوة، تُراثنا كيفَ نعرفه، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، 1985، ص61.

تميّز **المتنبي** بإحساسِه العميق بتلكَ الصلة الغامضة بين قضيّته الخاصة، وهي قضية فقرِه وحرمانه، وقضية مجتمعِه من جهة أُخرى بما فيه ذلك من الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة العامة التي يفرضُها نظام دخله الفساد، أو حكامٌ فاسدونَ مفسدُون[1].

-طبيعة شعر **المتنبي** القائمة على الرؤيا المتجددة والمتطلعة الى تحقيق ذاتها والانعتاق من قيود المجتمع الفاسد، وفي ذلك يقول **محيي الدين صُبحي** "من الرؤيا-ما يفوقُ أي شاعِر آخر بالعربيّة. ففي أحسن حالاتِه يجعلنا المتنبي نعيشُ بين الحلمِ والواقع،بين المثال والحقيقة،بين الموتِ والحياة،وأخيراً بين الخلودِ والحدوث"[2].

- فالمتنبي تميز بطموح جعله يعيش اغترابا فكريا عن مجتمعه وقد عبر عن ذلك في شعره يقول **أدونيس** عن هذه التجربة "إلى طموح الإنسان وغربته في كل وقتٍ،لا إلى طموح المتنبي وغربته وحسب إنه هنا وهناك يجعلُ من اللحظةِ أبداً ويشيُع الأبَدَ كلّهُ في لحظةٍ واحدة"[3] .

- ومن النقاد الذين تناولوا قضية استدعاء الشخصيات التراثية الناقد**علي عُشري زايد** في كتابه "**استدعاء الشخصيات التُراثية في الشعر العربي المعاصر**"من خلال تحديده للصور التى وظف بها الشاعر المعاصر الشخصيات التراثية وذلك وفق أربعة أنماط هي:1-استخدام الشخصيّة عُنصراً في صورةٍ جُزئيّة،2-مُعادلاً تُراثياً لبعد من أبعاد التجربة،3-محوراً لقصيدة،4-عنواناً على مرحلة[4].

وقد كان استدعاء **الفيتوري** لشخصية المتنبي كمحور لقصيدة،وذلك من خلال محاورته وتوجيه الخطاب له والثناء عليه وتعظُّمهُ ذاكرا أزمته في مجتمعه، ومواقفه منها؛وبذلك فدلالة العمل الأدبي تنتج من خلال القراءة المتأملة،للنصوص المشكلة للنص الأصل،وهو ما سماه **جرار جنيت** Gerard Genette بالتعاليات النصية وهي" كّل ما يجعل النصّ في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى"[5].

فالشاعر قد اتخذ من شخصيته قناعا يعبر به عما يعيشه لتشابه بينهما فكلاهما يعاني اغترابا من نوع ما نظرا لطموحه،فالمتنبي من خلال شعره أعلى قدر هؤلاء البشر وذكرهم بقصائد اشتهروا بها،فهؤلاء الملوك حكموا أرضا ممزقة،وهي البلاد العربية التي كانوا يتناحرون للسيطرة عليها،وهي أرض رغم

---

[1]- ثائر زين الدين ،أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر،ص11.

[2]- محيي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياتي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1986، ص41.

[3]-أدونيس، مقدّمة للشعر العربي، بيروت، دار العودة، ط1، 1971،ص104.

[4]-ينظر: عبد السلام المّساوي في كتابه "البنيات الدالة في شعر أمل دنقل"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1994،ص158 .

[5]-Gerard Genette,Palimpsestes la littératuré au seconde degre, édition du Seuil,1982,p7.-

خيراتها فالناس فيها يعانون الجوع،والنبات يذبل،وهم ملوكا مماليكا،فقد كان **كافور الإخشيدي** عبدا مملوكا بعدها أصبح حاكما لهؤلاء يستترون بظل الشاعر وذكره،كما ذكر حبس كافور لأبي الطيّب،على لسان المتنبي ليعبر عن قهره وعن خداع العبد المملوك كافور له يقول:

وبعضهم أنت تدري

أن شعرك لو لم يلق ضوءا

على أيامهم غبروا [1]

كأن بالمتنبي غدا كالمصباح الذي يضيء أرجاء المكان فيظهر الذي اختفى في الظلام،وهؤلاء البشر لا يظهرون،وفي ذلك إشارة من الشاعر إلى كافور الإخشيدي وسيف الدولة الحمداني وغيرهم،فقصد بكلمة غبروا لم يشتهروا يقول:

كانوا ملوكا على أرض ممزقة

يجوع فوق ثراها النبت والبشر

كانوا ملوكا مماليكا

وأعظمهم تحت السموات

من في ظللك استتروا[2]

تتألف القصيدة من خمسة مقاطع شعرية، يتجلّى أسلوب الفيتوري في بنائها على تقنية القناع وعندما نتأمل في القصيدة، نلاحظ أن الشاعر يلجأ إلى شخصية المتنبي عن طريق النبرة الخطابية من خلال الكاف حيث يقول :

يا هُوَّ غُبرِكَ فِيهَا مُحتضُر

لا برق يخطف عينيه ولا مطر

وأنت.. لا أسألُ التاريخ عن هرمٍ

في ظلّه قمم التاريخ تنتظر

عن عاشق في الثُّرى..

لم تكتمل أبداً

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص75.

[2]- نفس المصدر ،ص76.

إلا على صدره الآيات والسور

عن الذي كان عصرا شامخا

ويداً تشد عصرا اليها

وهو ينحدر[1]

يشير في هذا المقطع من القصيدة إلى شهرة المتنبي التي بلغت الأفاق في حين كان غيره مثل المحتضر لا يكاد يشعر بوجوده في الدنيا لولا أنينه ،ولكن المتنبي كالبرق اللامع وهو في شهرته كهرم بن سنان ذلك الرجل الكريم السيد في قومه الذي أعطى القبيلتين المتقاتلتين الديات وفض النزاع بين القبيلتين المتناحرتين من عبس و ذبيان، وقد "ظل الشاعر طوال حياته يمدح هرما ويمجده،وهرم يغدق عليه ويعطيه.."[2]،وقد خلده جوده على مر التاريخ.

ويعود **الفيتوري** لذكر مناقب المتنبي،في صورة الشعرية التي يعتبر فيها المتنبي بأنه كان عصرا شامخا،إشارة منه إلى شهرة المتنبي والتفاف النقاد حوله دراسة لشعره في عصره ،فهناك من ثار عليه وهناك من أيده لان المتنبي اليد التي شدت إليها عصرا،فشعر المتنبي جعل النقاد يسهرون متجادلين عن المعاني التي كان يقصدها في شعره ولكن هذه الشهرة جعلته يعاني فلا هو وصل إلى هدفه ،ولا هو نال ما تمنى،وقد عبر الشاعر عن ذلك بقوله "وهو ينحدر "وذلك حتى تكتمل الصورة الشعرية التي رسمها والمتمثلة في كونه"في قمة التاريخ تنتظر"،فهذا الذي حق له أن يكون في القمة ينحدر،وقد خدمه الفعل المضارع في رسم الصورة ،مخاطبا المتنبي باستحضاره "يمر غيرك"،فمرور غيره هو اشتهارهم ومكانتهم بين أقوامهم ،ولكنه يشبه الزواحف التي تسير على بطونها،وفي ذلك احتقار لثقل مرورهم في الأرض،ضاربا مثالا بالشخصيات التي وجدت في حياة المتنبي يقول:

يمر غيرك

بعض العابرين على بطونهم

يثقلون الأرض إن عبروا

كمثل من أبصرت عيناك

ثم نأت عيناك عنهم

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص74.

[2]- ديوان زهير بن أبي سلمى،شرحه حسن علي فاعور ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1، 1408هـ، 1988م،ص5.

فلا غابوا.. ولا حضروا
فلتسمع النُصُبُ الجوفاء والأُطُر
هذى الأغاني البواكي في فمي نذر
إذا تساقط في أيامهم علُم
فأن أعلام من يأتي ستنتصر[1]

يعلن الفيتوري في هذا المقطع عن سقوط هذا العالم أي المتبني،فهو يبقيه ينذر يرددها كأغاني لينقل لنا قداسة الشاعر في نظر،ولكنه لا يلبث أن يخبرنا بأن أعلام ورايات من سيأتي مستقبلا ستنتصر،وفي هذا دلالة على تفاؤل الشاعر بغدٍ أفضل رغم ما يعيشه من معناه يطبعها الاغتراب بأنواعه،لأن الخيانة التى يشهدها تحفر عميقا في نفسه،فهاته الارض التى تشهد الخيانة،من أناس كثر :هي مختبر لألام يعيشها يقول:

وإن يخن خائن فالأرض واحدة
برغم من خان .. والآلامُ مُخْتبُر[2]

وبعدها ينتقل الخطاب الي الحديث عن مدينة بغداد يقول:

وقلت بغداد
يا بغدادُ أيُّ فتى كان الفتَى
وهو في عينيك يزدهر
أنت التي اخترته للعشق
كان إذا رآكِ في لهب الأحداث
ينفجر[3]

الفيتوري في هذا المقطع يسائل بغداد المتنبي الفتى ،وكيف كان؟فقد ازدهر أمام عينيها وكبر فكان، اختبارها له عاشقا فينفجر شعرا إذا رآها في لهب الأحداث،وقد اعتاد الشعراء توظيف التراث الإنساني والعربي والإسلامي،ما تعلق بمجده ومفاخره ،وذلك لأنه يمنح الشاعر طاقة كبيرة لأنه يجعله قادرا على تحقيق ما عجز عن تحقيقه في مجتمعه في الحاضر،وقد استلهم شاعرنا التراث هرباً

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص79.
[2]- نفس المصدر،ص80.
[3]- نفس المصدر ،ص80.

من الاغتراب الذي يقيد حاضره، وبذلك يوازن بين ماض تليد،أي ماضٍ لا اغتراب فيه، وبين حاضرٍ مليء بالهموم، أي حاضر الاغتراب بأنواعه.

3-المدينة في شعر الاغتراب السياسي :

تمثل المدينة بتناقضاتها وتخليها عن الأصالة واستسلامها لمظاهر الاستلاب التي تتجلى في مظاهر عدة،وجها آخر للواقع الحضاري العربي الذي يسلط القهر على الإنسان العربي المعاصر،وعلى وجه التحديد الجانب السياسي المتعثر،وذلك ما يعمق إحساس الشاعر بالاغتراب،وهو إحساس جعل من المدينة فضاء ماديا خاليا من كل محتوى إنساني يشكل في نفس الإنسان شعورا حادا بتشيئه،وقد اتخذت المدينة في الشعر العربي المعاصر قناعا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وتمثل وجه الحضارة بكل أبعادها الذاتية والموضوعية.

وقد نالت المدينة بذلك اهتمام الكثير من الشعراء في الشعر المعاصر،ولان معظمهم كانوا ريّفون عاشوا طفولتهم في قراهم وغادروها في مطلع الشباب إلى المدينة،من أجل طلب العلم أو العمل،و لان واقع المدينة جديد ومختلف عن واقع أريافهم في طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تحكمه وسبل العيش والحضارة،فيكون الصدام ومن ذلك تنشأ في البداية علاقة رفض وعداء وغربة عن هذه المدينة، فيلجأ الشاعر إلى ذكر فضائل الريف حتى ينفس عن هذا الكبت المفروض عليه ،وأول مظهر من مظاهر معاناة الشاعر بحياة المدينة يتمثل في شعوره بالوحدة فيها [1] .

وموضوع المدينة من أكثر المواضيع التي شغلت بال شاعرنا **الفيتوري** ،وذلك بسبب التناقضات التي يعيشها ،فالريف سبب للألفة والطمأنينة ،بينما المدينة هي التناقضات الصارخة التي تؤثر على كيانه،فعبر عن حياته في المدينة وعن سماتها ومختلف مظاهرها .

ولان المدينة كانت مستقر الشاعر في شبابه فقد شكلت بكل أبعادها موضوعا شعريا له علاقة وطيدة بتجربة الفيتوري الشعرية،"فالشعر لا يقاس بصفاته الفنية أو بعمق تجربته فحسب ،بل أيضا بقيمة هذه التجربة بالنسبة للعالم والشاعر لا يكتب لمجرد المتعة وتحريك أصابعه ،ولكنه يكتب ليتصل بالآخرين "[2]،وهذه المدينة متعددة الأبعاد تبعا لهذه التجربة،فمدينته الحلمية جعلها مصدرا يطمئن ذاته القلقة المشبعة بالاغتراب، إلى ما تراه وتحسه من معانٍ،وموجودات، ومرئيات تتناغم وما تحلم به نفسه التي تتوق إلى التحرر من العبودية التي عمقت شعوره بالاغتراب الاجتماعي

[1]- ينظر مصطفى السيوفي ، تاريخ الأدب العربي الحديث ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة ، مصر ، ط 1، 2008، ص 110.

[2]- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة ،دار الفكر العربي ،ط3،1974 ،ص356

حيثما حل وسكن.وتشكل صورة المدينة رؤية سلبية في ذهن الأديب ،كما أن موقف الفلاسفة والمفكرين من قبل عبر عن تشاؤمهم منها وذلك لأنها – بطبيعة نشأتها – تمتاز بالازدحام والتضخم السكاني، وتفسخ العلاقات الاجتماعية، حتى صار أولئك المفكرون يرون أن المدينة مكان للرذيلة، ومفسدة للأخلاق عدا عن أن المادة هي التي تحكمها وتسيطر عليها [1].

يحظى موضوع المدينة بأهمية كبيرة في الشعر العربي المعاصر،وقد سعى الشعراء للحديث عنها إما ماضيا أو حاضرا بصورة رمزية أو واقعية حتى يجسدوا نظرتهم لها،ويقدموا رؤاهم انطلاق من ماضيها أو حاضرها ،وذلك ما نجده عند الفيتوري في توظيفه لعدة مدن في ديوانه **يأتي العاشقون إليك**،حيث شكلت المدن العربية ؛الرباط –الخرطوم – بغداد – دمشق – بيروت – عمان – تونس – القدس-ليبيا، القاهرة وغيرها من المدن ،جسداً واحِداً في شعر الفيتوري ،واعتبرها وطنا له،وقد حاولنا أن نتتبع توظيف الفيتوري للمدن في ديوانه ومعرفة العلاقة بينها وبين ظاهرة الاغتراب السياسي ،وذلك لأنه حمل قضية إفريقيا ودافع عنها بكل جوارحه إلى أن تحقق لها الاستقلال والحرية ،هاهو يحمل القضايا العربية،ويسلّط الأضواء عليها ويدافع عن الحق العربي في التحرير والاستقلال ومن المدن التي كان لها علاقة بالاغتراب السياسي مدينة :فلسطين، مصر،بغداد ،مصر.

1–زهير عبيدات، صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، رج، جامعة اليرموك – إربد، 1987، ص 4– 10. وانظر: عبد الإله أبو عياش، أزمة المدينة العربية، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص 192.

3-1- مدينة فلسطين في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري :

لقد كانت نكبة فلسطين عام 1948،أعمق جرح مس العرب والمسلمين بعد أن عانى شعبها الضياع والتشرد والغربة ،لأن الصهاينة مارسوا كل أنواع التعذيب والتخريب لتشتيت العرب وطردهم من أرض فلسطين،وهي مفصل مهم في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، لأن نتيجتها المأساوية كانت ضياع نصف فلسطين، وتشريد المواطن العربي الفلسطيني،واستيطان المستعمر الصهيوني.. كل ذلك شكل ثورة عارمة في نفوس العرب من المحيط إلى الخليج، ونقمة على المستعمر الجديد،بعد أن تخلصت الدول العربية من الاستعمار القديم، وبذلك أيقنت الشعوب العربية أن وجود «إسرائيل» في قلب الوطن العربي يمثل إعادة صناعة لذلك المستعمر القديم، فأثار حنقها وحنق الشاعر العربي الذي يجسد نبض المجتمع والإنسان، وارتبط الشعر بالقضية الفلسطينية "وإلى ما تمخض عنها من آثار قريبة وبعيدة، من توزيع لأهلها بين من يقطنون خارج الوطن وداخله، وما يواجهه كل فريق منهم من مشكلات، وإيجاد دولة دخيلة تقسم العالم العربي في شطرين، بل تقسم الدول مرة أخرى إلى دول مواجهة ودول بعيدة عن المواجهة، والعواصف الداخلية التي اجتاحت العالم العربي بعدها،من انقلابات وثورات،والعواصف الخارجية على شكل تدخلات وحروب"[1]،فثار الشاعر على السلطة العربية،وثار على المستعمر،وثار على الأمة والوجود كله.فالظروف التي عاشها الشعراء خصوصا بعد النكبة جعلتهم يعيدون النظر في جميع الرموز التي كانوا يعتقدونها .

ولان **محمد الفيتوري** من شعراء الحداثة،فقد ذكر قضية فلسطين والخيانات المتكررة والصمت العالمي على الإرهاب الصهيوني في دواوينه"ولعل القراءة الادبية تحتاج الى تفحص وتأمل حتى تنتج الدلالة،وليس الى مجرد القراءة السطحية فالقراءة الخطية لا تنتج إلا المعنى Sens"[2]

ومنها حاولنا أن نتتبع الدلالات في قصيدة "ليس طفلاً وحجارة "التي نظمها الشاعر،وهي تحكي قصة الطفل الفلسطيني الذي حطّم الأسطورة الصهيونية يقول:

ليسَ طفلاً ذلك الخارج من أزمنة الموتى..

إلا لهيَّ الإشارةْ

[1]- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر،ص57-58.

[2]- Voir Gerard Genette ,Palimpsestes ,la littérature au second degré,édition du seuil ,1982,P9.

ليس طفلاً ، وحجارةْ
ليس شمساً من نحاس ورمادْ
ليس طوقاً حول أعناق الطّواويس..
محّلى بالسوادْ[1]

هذا التشبيه البليغ الذي جعل فيه الطفل الفلسطيني هو نفسه الزيت الفلسطيني (الزيتون)الذي هو الطفل (الزيت) في الأصل رمز للسلام فهنا يسكب أقماره،وللأقمار كعنصر من الطبيعة هي الرفعة والعلو وأحضن ذاتك الكبرى و قاوم.

فالطفل هو الذات الصغرى لأنه جزء من فلسطين الشعب الفلسطيني الذات الكبرى،وقوة الاحتضان هنا هي توحد إن الوحدة تجعل المقاومة أنفع وأجدى ضد الغاصب الصهيوني فهذه المقاومة هي إضافة على نافدة البحر لأن فلسطين هي بحر من الدماء والمعارك الشريفة،وموج الغاصب هو موج سوف يأتيه موج المقاومة الفلسطينية ليسترد حقه.يوظف الشاعر في هذا المقطع الحقل المعجمي المتعلق بالطبيعة (عاصفة الثلج أمواج –نجمة –الضباب–الليل–الكون سنبلة–البرق–أمطارك–أحجارك هذا التكثيف للحقل المعجمي يحمل دلالة الثورة والتحدي والصمود وموجة الغاصب التى تتأجج في نفس الفلسطيني الثائر على الظالم و الذي لا ينفعه سبيل غير المقاومة يقول:

لست طفلاً ،أيها القادمُ
في عاصفة الثّلج.
وأمواج الضبابْ
لست طفلاً قطُّ ، في هذا العذابْ
صدئتْ نجمة هذا الوطن المحتلّ
في مَحْواكَ ، مِنْ بابٍ لبابْ
مثل شحّاذٍ تقوستَ طويلاً
في أقاليم الضَّبابْ
وكزنجيٍّ من الماضي

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص54.

تسمَّرت وراء الليل ، مثقوب الحجاب[1]

تنتفي الطفولة عن القادم من عاصفة الثلج والأمواج والضباب فحال الطفل الذي تجرد من كل سمات الطفولة،لذلك فسبيله الوحيد هو الثورة مثل عاصفة الثلج وأمواج الضباب،لأن لا خلاص له بغير الثورة والمقاومة،فكيف له أن يكون طفلا ،و هو في هذا العذاب الوطن (الفلسطيني)صدئت بسبب الاحتلال الصهيوني فإيجادها صار أسودا مخربا بعد أنه كانت قوته كالحديد، صدئت لأن الطفل لا يعرف الاستقرار في مكان محدد حاله حال الشحاذ من باب لباب أنهكه البرد والتعب،حتى أصبح هذا الطفل مثل الزنجي الذي فقد الأرض وشرد وظلم في الماضي،ولازال يظلم،يحكمك الظلام وتعاني العجز.

يفتتح الشاعر قصيدته بالحديث عن الطفل الذي استطاع الخروج من أزمنة الموتى لأن فيه،ملامح إلاهية خالدة،فهو ليس طفلا وحجارة فقط لان سلاح الفلسطيني في الدفاع عن أرضه هي الحجارة،وهنا ندرك أن الموضوعة الكبيرة في القصيدة هي فلسطين المغتصبة،فلسطين التى يدافع عنها أطفالها ولكنها الشاعر في هذه القصيدة ينفي وجود الطفل والحجارة،عن المكان، فهو الهي الإشارة هذا الطفل ليس طفلا يستعين بالحجارة،وهو ليس شمسا من نحاس و رماد فالنحاس،والرماد فيه إيحاء لبقايا ما تلف فالنار التى تشعل الحرب في فلسطين و أثارها الخراب هو الرماد.

كما أنه ليس طوقا حول أعناق الطواويس محلى بالسواد معادل موضوعي،فالطاووس هنا الشعوب العربية المتخاذلة التى تتخذ من قضية الشعب الفلسطيني العادلة قضية لمحاباة العدو الصهيون، الاستهتار بحق الشعب الفلسطيني فالسواد هنا الغموض والتستر والاختفاء،فاللون الذي طبع هذا المقطع هو الضبابية الرماد والسواد والحداد،وكلها ألوان توحي بالغموض وضياع الحق بين منكر ومتحيز يقول:

إ َنَه طقس حضارةْ

إنه إيقاع شعب وبلادْ

إنَّه العصر يغطّى عريهُ

في ظل موسيقى الحدادْ[2]

فالطفل الفلسطيني الذي أن نفى عنه كل ما سبق من الصفات،يضفي عليه مجموعة من الصفات

[1]- نفس المصدر،ص57.

[2]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص54.

هي:الطفل الفلسطيني طقس حضارة إيقاع شعب و بلاد إنه العصر يغطي عربية بعد طغيان اللون في الأسطر الأولى من المقطع الشعري يطغي الحركة في هذه الأسطر فالطفل هنا هو معير عن الحضارة بمظاهر وهو في ثورته واندفاعه إيقاع شعب و بلاد لأنه يحدث التغيير والحركة،ولانتظام هذه الحركة صارت إيقاعا وهو عصر يغطي عريه المعيب الذي هو الخذلان العربي الطفل صارت حركته واندفاعه ستر لعورة الشعوب العربية المتخاذلة،موسيقي يعلن بها هذا الحداد على ما يرتكبه من مجازر في حقه .

وقد أثر المكان الفلسطيني في مسار القصائد العربية،وذلك "لأهمية هذا المكان في اعتبارات الكرامة والحرية،وكافة الرموز في الهوية الوطنية والقومية،بمعنى أن المكان الفلسطيني أخذ موقعا فاعلاً ومؤثرا في معركة الوجود[1]"،وقد مثَّل شعر الفيتوري صورة رائعة تبرز صورة الحجر من خلال شعره يقول:

ليس طفلاً ذلك الخارج

من قبعة الحاخام

من قوس الهزائم

ليس طفلاً وتمائْم

إنَّهُ العدل الذي يكبر في صمت الجرائْم

إنَّهُالتاريخ مسقوفاً بأزهار الجماجم

إنَّهُ روح فلسطين المقاوم

إنَّهُ الأرض التى لم تخن الأرض

وخانتها الطرابيش

وخانتها العمائم[2]

يصر الشاعر على أن الطفل الذي يخصه بالذكر ليس الطفل الذي خرج من قبعة الحاخام وهي مرتبة دينية في الديانة اليهودية ولا حتى من قوسم الهزائم،لا يعترف بالتمائم والتعاويذ ولا بطقوس الشعوذة عادل ينمو ويكبر وسط صمت الجرائم التى يقترفها الصهاينة كل يوم في حق الشعب الفلسطيني،هذا الطفل يمثل التاريخ ذاته لأنه صنع تاريخه المشرف بأزهار الجماجم،فالأزهار هم الأطفال الذين يقتلون بالعشرات كل يوم ،الطفل هو روح فلسطين لأنه يقاوم عنها دائما.

[1] – فدوى عبد الجليل، فلسطين قلب العروبة ، المطبعة الجابرية للنشر ، الكويت،1998 ، ص252.

[2] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ، ص55.

الطفل كذات صار في تطابق مع الارض"إنه الارض التى لم تخن الارض"ولكن الطرابيش خانته،فذكر الطرابيش على سبيل المجازر المرسل،وأراد الحكام العرب الذين يوالون الأنظمة السياسية الغربية،وكذلك مجازر مرسل في (خانتها العمائم)يقصد الحكام العرب الذين يتبنون النظام الوراثي لأن العمامة هي من خصائص العربي،في حيث أن الطربوش هو دخيل أخذه العرب عن الأتراك ويقصد بالعمائم الحكام الذين يتبعون طرق قديمة في الحكم في حين الطرابيش من تأثروا بالطرق الغربية وإذا كان الطفل فاق في كفاحه هؤلاء الخونة الحكام القدماء والذين يدعون التحضر،فإن لا شيئ أقوى منه،و ذلك لأنه الحق يقول:

إنّه الحقّ الذي لم يخن الحقّ

وخانته الحكومات

وخانته المحاكم

فانتزع نفسك من نفسك

واسكب أيّها الزّيت الفلسطينُّى أقمارك

وأحضن ذاتك الكبرى وقاوم

وأضيْء نافذة البحر على البحر

وقل للموج :

إنّ الموج قادمْ[1]

ترتفع نبرة الإصرار والتحدي في هذه الأسطر،حيث يعلن الشاعر عن المطالبة بالحق ويدعو الى ذلك،و يؤكد أن الطفل الفلسطيني الذي يتبنى الحق لم يكن خائنا للحق،رغم أن الخونة ضده في كل مكان،فالحكومات خانة والمحاكم تظلمه وتخونه في قضية العادلة،وتخونه المحاكم التى تدعي الدفاع عن الحقوق،فيدعوه الشاعر الى أن يثور ويقاوم "فانتزاع النفس"هنا هو رفض التخاذل العربي لأن الطفل الفلسطيني جزء من العرب ودعوة الى التحرك والتغيير واسكب أيها الزيت الفلسطيني أقمارك،بل أنه في حقيقته—مثل سنبلة نار وبرق.فالسنبلة هي رمز،للنماء والازدهار الذي يتحقق في الجيل الجديد،وإضافة النار يوحي بأن هذه الأجيال ليست ضعيفة و مهزومة بل هي نار إذا ظلمت أو تعدي عليها و هي برق قد يصيب من يظلمه بأعتى أنواع العذاب،ولكنه ملثم لا يظهر

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص56.

للآخر إلا في وقت الشدة والحاجة،فهو نبات"سنبلة"وهو"برق"لأن الطبيعة وحدها التى لا تزال تحقق معادلة الكون المنسجم الذي قوانينه ثابتة خلاف العالم الذي لا يحكمه سوى الظلم والفساد يقول:

لست طفلاً يتجلّي عابثاً

في لعبة الكون المحطّم

أنت في سنبلة النَّار

وفى البرق الملّثم

كان مقدوراً لأغصانك وجه الأعمدة

ولأمطارك سقف الأمم المتّحدة

ولأحجارك بهو الأوجه المرتعدة[1]

هذا الجيل (الأطفال) مقدرا عليه ان يكون مجده بالثورة و الكفاح فأمطاره التى هي التغيير أصابت سقف الأمم المتحدة التى تدعي الدفاع عن حقوق الشعوب المظلومة،و تنصرها،ولكنها أمام قضية فلسطين تجبن ولا تحرك ساكنا،فحجارة هذا الجيل (الطفل الفلسطيني) هي سلاحه الذي لم يتجاوز سقف الأمم المتحدة لأن من يدعون تيني هذه القضية خونة(الأوجه المرتعدة) يقول:

لست طفلاً..

هكذا تُوالد في العصر اليهوديِّ

وتستغرقُ في الحلم أمامْه

عارياً إلاَّ من القدسِ

ومن زيتونةِ الأقصى

وناقوس القيامة

شفقيّاً وشفيفاً كغمامة

واحتفاليّاً كأكفان شهيد

وفدائياً من الجرح البعيد

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص58.

ند تصلبك النازيّة السّوداءُ

في أقبية العصر الجديدْ[1]

وقد سعى الجميع للأخر العدو لإثباته و تحقيقه في الوجود،لأن العصر تغير و أصبح ذا انتماء ديني يهودي،يجعل الكل يعترف بشرعية وجود اليهود في أرض فلسطين ،فحقيقة الطفل الذي هو الجيل-هي في العالم مجرد حلم لم يتجسد على أرض الواقع،يدافع بكل ما أُوتَي ولكنه الوضع يبقى على حالة،هذا العدو الذي يجعل الفلسطيني الطفل- الجيل-صاحب الحق،مستغرقا في الحلم أمامه،في حالة عري والعري لفظ في نظر الشاعر يمثل رؤيا و ليس مجرد لفظة لأن العري يعادل الانسلاخ والانفصام والتوهان،وهي من محددات اغتراب الطفل الفلسطيني الذي تعرى من كل ما يملك الارض الموضوع،ولكنه لم يتعر من القدس وهي الُمقدس الديني،وناقوس القيامة فالقدس مشتركة بين المسيحية والمسلمين والأقصى للمسلمين الناقوس دال على الديانة اليهودية ،فيكثف الشاعر من توظيفه للحقل المعجمي الديني "القدس –الأقصى –الناقوس –الشهيد ".

هذا الطفل–الجيل-الفلسطيني من محددات شخصية أنه يحمل الشفقة و شفيفا حاله حال الغمام الذي يصحب المطر،هذه الصورة التى تجسد اللون القاتم و الأسود هي تجسيد ليعد شخصية الفلسطيني الغائبة المعالم بسبب مسخ العدو الصهيوني لها و لكن احتفاله يظهر مثل أكفان الشهيد في صورة شهادته، يفدي وطنه يجتمع الأعداء على كبح هذه الثورة و الرفض للظلم،فتتبنى النازية السوداء الظالمة الصلب (الفلسطيني) فالصلب عادة قرين الجانب الديني لأن ما حرك الشاعر في هذه الأسطر،هو الحقيقة الدنية التى تجسد أبعاد الاغتراب الديني ،هذا الظالم و القهر،يتم في وسط إعلامي تعتيمي عن الحقائق لا يشهد عليه أحد و لا يبوح بسره أحد يقول:

وعلى مْن غرسوا القضبانَ في عينيه

أنْ لا يتألّم

وعلى من شهِد المأَساةَ

أن لا يتكلَّم[2]

كل ما يلحقه من عذاب يجب أن يكتمه ولا يبوح به فمن يغرسوا القضبان في عينيه لا يبوح بألمه،والشاهد على المأساة يجب أن يصمت ولا يصرح بالحقيقة،ويتواصل تبنيه للقضية الفلسطينية

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص59.

[2]- نفس المصدر، ص60.

في قصيدة "**يأتي العاشقون اليك يا بغداد**" يقول:

هذا المساء

كأنّ ثّمة من يُرقِّع غيمةً مثقوبةً

هذا المساء

كأّن أجنحةً فلسطينية الألوان

تزلق في الهواء

كأنّ طفلاً حاملاً حجراً ،

يراوغ ظلاً متربّصاً

و يغوص في عيني...[1]

يحدد الشاعر الزمانّ المساء" في هذا المقطع،حتى يتشكل ملمح الصورة،وذلك أن المساء حدثت فيه عدة أمور لكن الغريب فيه كأنه يقع للشاعر أحدهم كأن غيمة مثقوبة،الترقيع يحمل دلالة التمزق والضعف،كأن بأجنحة فلسطينية الألوان (الأحمر والأبيض /الأبيض والأسود) لون الكوفية تصير في الهواء هذا التملك مبعثه حالة الشاعر التى نرى المحتل الغاصب يسلبه الحقوق، وينتهكها،فيخل إليه أن طفلا فلسطينيا يحمل حجرا ويريد أن يقتص لحقه و يقتل عدوه يقول:

أقول ... إني لم أزل

كانت وراء حديقة الزيتون

رأسُ مثل رأس الطفل

ملقاةَ وراء حديقة الزيتون

إنّي لم أزل

كانت يد الحاخام تغرق في دماء الطفل

كان الطفل يغرق في دم الحاخام

كانت رعشة القدمين

والكفين ... والشفتين

لا ... إني أكاد أقول : لا

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص134-135.

وأنا الذي لم يختبئ يوماً وراء دموعه

إنّ الأُلى سرقوا طفولة ذلك الآتي

من المأساة

قد سرقوا فمي[1].....

يتواصل الإصرار ويتعمق مداه من الشاعر فيزيد الإصرار ويتعمق مداه من الشاعر لأن القهر والظلم بلغ أقصاه،فينطلق صارخا كاشفا جرائم العدو الصهيوني الغاصب الذي يقتل الأطفال ويرمي برؤوسهم في حدائق الزيتون،هذا الزيتون الذي يحمل دلالة السلام إلا أن الغاصب شوه كل المعاني الجميلة،والخطاب بذلك يعني تلك العلاقة التي تربط طبقات اجتماعية ببعضها البعض، وتتحدد من خلالها مواقف سياسية وفكرية معينة،وهي بدورها تضم تشكيلات خطابية مترابطة؛ "تحدد ما يمكن أو يجب أن يقال انطلاقا من موقف محدد في صلب ظرف معين"[2].

فتستمر شهادته على هذا الجرم فالحاخام رجل دين يهودي يقتل الأطفال ويغرقهم بيده في دماءهم فلا يعرف إن كان المقتول الطفل أو الحاخام لكثرة إراقة الدماء فيغرقان معا في الدماء، وهذا ما أصاب الشاعر بالذهول والوهن،فترتعش قدماه وكفاه و تتجمد شفتاه ،و من أثر الصدمة يزداد ألماً و توجعاً ،فلا يكاد يصدق ما يرى، هذه الصدمة تجعل الشاعر يعاني اغترابا نفسيا فلم يع ما يحدث أمامه،وتصرح الذات بأنها عاجز عن التعبير،لأنهم سرقوا الطفولة وسرقوا فمه"شعره"يقول:

لم يتركوا لي غير قافيةٍ على وترٍ خجولٍ

سرقوا فمي

لم يتركوا لي ما أقول [3]

الجرائم المنكرة أعجزت الشاعر و سرقت فمه ،فلم تترك له غير قافية بسيطة إيقاعها خجول، هذا الخجل لأن الضياع يسيطر على الشاعر،فيصرح بأنه لم يترك له العدو ما يقول.

يعلن الشاعر في هذه الأسطر من قصيدة "**هوانا**" عن انتماءه حركيا، وبأن الدم العربي يوحد الأمة العربية، هذا الانتماء كان لغاية تحدى الهوان والذل في فلسطين ورفضه بكل قوه يقول:

عربٌ نحن .. وهذا دمنا

---

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص136-137.

[2]- P.Charoudeau et D.Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours, p269-270.

[3]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص139.

يتحدى في فلسطين الهوانا

عرب رايتنا وحدتنا

حلّقت صقرا وحّطت في سمانا

عرب..لا أمضغ الملح،ولا

أكسر السّيف بعينّي مهانا

فأنا أعرف أنّ الّروح من

روحنا نحن ..وأنّ الكون كانا

وأنا أعرف أن الشمس في غيبة ..ثم تعود الدور انا [1]

ولعل ما يدعم هذا التحدي وحدة الراية العربية التى شملت كل الشعوب العربية وجمعتها وسط هذه الوحدة، وبذلك تظهر الذات معلنة مبدأها، فالشاعر يعلن كذات أنه يمضغ الملح وهنا تبرز دلالة الرضوخ و الهوان،أو أن يكسر السيف مهانا،هذا الشموخ و عدم الرضوخ مبعثه رفض الذل والهوان لأنه موقن أن الروح العربية صافية و بأن حق الفلسطيني في أرضه يجب أن يعود له،لأن الكون قائم على العدالة فإن الشاعر موقن بأن الحق لابد أن يعود لأصحابه(الشمس في غيبة)وما دامت الشمس ترمز إلى الحق،في غيبتها لا يعني ضياعها،ولكن غيابها دوران لها و لابد يوما أن تعود الى أصلها.

وفي قصيدة "**مقام في مقام العراق** "يتحدث عن فلسطين،التي تكاد لا تغيب عن قصيدة من قصائده:

" وتقيُم المقاديُر فيك احتجاجاً

على وطنٍ أبديٍّ الوثاقْ

وفلسطيُن أرضٌ وشعبٌ

وليست كما زعموا حارة أو زقاقْ

ويُسائلُكَ الميّتُ الحيُّ

واللّمُ يختالُ منتصراً أو يُراقْ

عاصفٌ غيُم تلك الليالي

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص119.

على أنّ موجاً مَن البرق في الغيم
باقْ
وقديماً تأنّقَ روُح الجمال
فألْقِ على كلِّ جفنٍ رُواقْ
وقديماً تجلّى بهاءُ الأُلوهة
في نشوةِ الكائناتِ الدِّقاقْ[1]

يؤكّد الشاعر هنا أن هذه الأمّة المضاعة قد تاهت في سراديب الظلام فضيّعت خصيّتها الحقيقية وتنكّرت لقيمهاوأنكرت حضارتها الأصيلة،حاول اليهود الخونة أن يمسخوا هوية الشعب الفلسطيني ويسلبوا منه أرضه، فزعموا بأن فلسطين حارة أو زقاق وذلك حتى تبقى الأرض لهم ولن يكون لهم ذلك وفي هذا المعنى نجد التناص الديني مع القرآن الكريم فالشهيد حي وذلك لقوله تعالى:﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾[2]،هذا الدم هو دم الشهيد الفلسطيني الذي يدافع عن عرضه وينتصر له ،فدمه شرف وعز، فإما أن يكون منتصرا أو يراق دمه شهادة الوضع المزري والمأساوي الذي يعيشه الفلسطيني بمثابة غيم عاصف يغطي الليالي،ولكن وسط هذا الموج من الغيم برق،هذا البرق هو ثورة الشعب الفلسطيني التي لن تخمد حتى يسترد أرضه .

ومثلما أسترد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس في القديم،وتأنق بنصره ومجده وأرعب الأعداء، فسيكون اليوم الذي تعود فيه فلسطين لأهلها وتنتشي الكائنات لان الله ينصرهم يقول:

ولقد يَظمأُ العشبُ..
والماءُ يركضُ حَيرانُ..
في فجواتِ المآقْ[3]

هذا التناقض يحمل دلالة الظلم، فالعشب هو شعب فلسطين المهضوم الحقوق، يصيبه الظمأ من الحكام العرب الذين لا ينصروه والماء يركض حيران، هو الحق الضائع المغتصب الذي لا تسعى الشعوب العربية المسلمة لاسترداده.

[1]-محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 96.
[2]-سورة البقرة ،آية 154.
[3]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 97.

3-2- مدينة بغداد في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري:

وفي قصيدته "**ركعتان للعشق تحت شمسها**"مدينة بغداد دائما حاضرة في شعره ،بغداد القوية رمز للعروبة تحافظ على عز المسلمين، وترفع من قدر الرجال فهي الإرادة التي تحي الأمة الإسلامية، حيث تعلوا كلمة الحق والتوحيد "الله أكبر" في الأمة الإسلامية ويزول الظلم لأن الله واحد قادر جبار يشيع الحق والعدل يقول:

الله يـا قـدسيّـة العتبات
يـا إيقاع رايـات .. الّرشيد
وعـطر أنـفاس ..الحُسين![1]

بغداد المدينة المقدسة حافظت على عز ومجد العرب المسلمين والتاريخ يشد في الخلافة العباسية حين حكمها هارون الرشيد عرفت أزهى عصورها ،وقبلها عطرها الحسين بن على بن أبي طالب- رضي الله عنهما- بأنفاسه الطيبة.

وفي قصيدة"**يأتي العاشقون اليك يا بغداد**"تطالعنا مدينة بغداد بأنها المكان المقصود من العاشقين فهي المعشوقة التى يأتي إليها الجميع محملين بحقائب مثقلة بماء البحر،والصدف الشتائي القديم وزنبق الأمطار،فالوافدون الى مدينة بغداد يأتون من أماكن مختلفة من دول العالم يأتون من البحر،وقد يشعرون في هذا المكان فيحملون معهم الصدف،وتنمو الزنابق بأمطار السماء،حتى البحر يأتي مسافرا الى بغداد برايته وأمواجه التى غدت خيولا زرقاء،وتزورها الشمس لينمو الزرع والزهر يقول:

أرأيتِ يا بغداد ؟
يأتي العاشقون إليكِ
مثقلةُ حقائبهم بماء البحر..
والصّدف الشتائي القديم..
وزنبق الأمطار
يأتي البحر ذو الّرايات

[1]-محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص104.

فوق خيوله الزرقاء

مسبوقاً بأجنحةٍ مباغتةٍ من الأنوار

تأتي الشّمس حاملةً كؤوس رحيقها الأزليُّ

ليل نهار [1]

الحقل المعجمي المتعلق بالطبيعة حاضر بقوة في هذه الأسطر"ماء البحر-الصدف-زنبق الأمطار-الخيول-الأنوار-الشمس-رحيقها-ليل-نهار"حيث قدم صورة متكاملة المدينة الموضوع والتي تعتبر رمزا لعّز الأمة العربية في ماضيها، لأنها مهد الحضارة في أزهي عصورها ،وبذلك فالطبيعة خدمت التكثيف الدلالي،و وضحت رؤيا الشاعر حول المدينة.يقول :

يأتي الشّعر والشّعراء

في زمن انشطار الضّوء، يأتي الشّعر والشّعراء

شاخصةً نواظرهم ، الى بغداد

كعبتُنا التي سجدت على عتباتها

شمس المجوس

سَلِمْت يا ياقوتة المنصور

لكن المجوس الآخرين هُناك[2]

فهذه المدينة يقصدها الجميع الشعر والشعراء،رغم كل الظروف التى تعيشها يكتبون عنها ويشهدون ما يحدث على أرضها،كل اهتمامهم موجها لها،فهي الكعبة التى سَجد لها المجوس، وحاربتهم قديما وانتصرت عليهم،يدعوا الشاعر لبغداد ويذكر بالخلفاء فبغداد بقوة الخليفة المنصور[3]،الذي دافع عنها، وأخرج منها المجوس والأعداء،لكن المجوس عادوا في عصرنا،بصورة أخرى وشكل أخر يقول:

في تلمودهم يتقلبون

يلونون جلودهم فوق الرمال

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص139-140.

[2]- نفس المصدر،ص140 .

[3]-الخليفة العباسي المنصور من عام 762 للميلاد إلى عام 764 للميلاد في العقد السادس من القرن الثامن الميلادي الموافق للقرن (الثاني الهجري) واتخذها عاصمةً للدولة العباسية، حيث أصبح لبغداد تحت حكمهم مكانة مرموقة ينظر ar.wikipedia.org/wiki

ويقضمون أصابع الأطفال والموتى..

ويرتجفون مقرورين لإسمكِ

هل علمتِ ؟؟

هناك تحت سقوفهم ، وبطون دباباتهم

يتعبدون خرائب الماضي

ويرتجفون مقرورين لإسمكِ

أنت يا بغداد

يا بغداد..

يا بغداد..[1]

هؤلاء المجوس استوطنوا بغداد فعلوا المنكرات،باسم كتبهم المقدسة،و باسم الحق المزعوم،ينتهكون الحرمات والاعراض وينكلون بالأطفال والموتى،وذلك ما جسدته الصورة المستنكرة"يقضمون أصابع الأطفال الموتى"،مع كل ما يقترفون من جرائم فإنهم يرتجفون خوفا من مدينة بغداد لأن ماضيها مشرف أنجبت رجالا دافعوا عنها على مر العصور،هؤلاء الخونة رغم أسلحتهم علا أن الخوف يسكنهم، فهم يملكون دبابات، والأسلحة الثقيلة، ولكن اسمها يرعبهم بغداد كمصيبة قوية و قادرة على قهر أعدائها رغم ما يدعون يقول :

وأكاد لولا وجه بغداد العظيم

متوجاً بالنصر

أسقط في الذّهول

وأكاد أوقن أن شمساً فوق هذي الأرض

أدركها الأفول

وأكاد أحفر فوق جدران الخرائب والطّلول

لم يتركوا لك ما تقول

لم يتركوا لك ما تقول[2]

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص141.

[2]-نفس المصدر ،ص142.

تسيطر نبرة الانهزامية والعجز على الشاعر كمظهر اغترابي،فيرجع الشك في الانهزام لولا تعليله النفس بالنصر بغداد العظيمة في الماضي،فيذهل أمام الموقف،ويغير موقنا أن هذه المدينة العظيمة أصبها الضعف و الوهن،و أفلت شمسها،و عزها يقول:

لم أك مصغياً يوماً لغير دمي القديم

دمي الأشد توهجاً في طقس هذا الكوكب الوحشّي

لم أك مصغياً يوماً لغير دمي

أقول أنا الذي لولا شموخك أنت يا بغداد

لولا وجهك العربي

لولا سيفك العربي

يغسل بالضياء عيونهم..

لم يتركوا لي ما أقول

لولا اقتحامات الذين َمشَوا جبابرةَ

على قمم الجبال

لولا شهادة من تَضّرج بالشهادة

أو تكفّن بالرمال

لو لا صواريخ الحسين...

برقَن..

ثم صعقن من صادفَن

ثم تشابكت في الأرض أغصان الزوال [1]

يستكين عاجزا منهزما أمام هذا الموقف معنا عجزه بأنه لم يتركوا له ما يقول ،دمروا ذاته.فيأتي العاشقون إليك يا بغداد،رمز العربي المستلب الذي يتجه الجميع نحوه ،حتى يستفيدوا منه يقول:

لولا البطولة في مراياها الوضيئة..

لا ادعاء َ ولا ضجيج

لو لا الشفاه المطبقات على الأنين

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص127-128-129.

اليابسات على النشيج

لولا نخيل البصرة الصوفيُّ

عانق أرضه...

ومضى يقاتل في الخليج

لولا انتصارات الذين سَقوا تراب الفاو

لولا راية باسم العراق

ومجده العربّي

خالدة النّسيج

لم يتركوا لك ما تقول [1]

م التمجيد الاعتزازي نبرة الشاعر في حديثه عن مدينة بغداد فكان توظيفه يحمل بُعد رمزي، وقد استعان بأسلوب الشرط لغرض التعظيم وإظهار لفضل المدينة،فالمدينة بأبعادها الحضارية والفكرية مقدسة بالنسبة للشاعر،وهي ماضيه المشرف،الذي يجعل الذات متمسكة به،فنخيل البصرة صوفي يتمسك بأرض ويعانقها بثبات وهو رمز لأبناء الوطن المخلصين،اللذين يدافعون عنه،وقد ذكر الحرب بين.العراق والكويت عندما دافع أبناء العراق عن وطنهم،فأبناء العراق حققوا انتصارات كبيرة في ترابها وتحت راية الأبطال،و ما تحمل هذه المدينة من إرث ومجد يمثل عز العرب الذي خلد التاريخ والذي يشكل مجدا تليدا، ولولا أمجاد هذه المدينة لبقي الشاعر دون هدف واضح،وذلك ما يجعله يعترف أن الأخر قهره،وجعله في حالة عجز واستكانة، فلم يعد قادرا على الكلام.

3-3-المدينة الرؤيا التاريخية في شعر الفيتوري :

تحتل المدينة مكانة مهمة فيبالأمل ُ عاصر، على المستوى العربي والعالمي،وذلك لأنها تسهم في تشكيل وعي الأديب، وفي تحديد الوعي المعرفي في الفترات المختلفة من حياته، وذلك التوظيف إما أن يكون بطريقة واعية أو غير واعية فقد يتتبع تفاصيل المدينة،ويناولها جغرافيًّا –سياسيًّا –تاريخيًّا –اجتماعيًّا ..،أو قد يكون ترسبات في ذاكرةالشاعر حول مرحلة زمنية معينة كالطفولة مثلاً –أو ترسبات ذات أثر مميق في عملية التغيير والتَحوُّل (كتعرض المدينة لكارثة بيئية مثلاً ،أو احتلالها)،

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص128-129.

ولا يشترط ذلك أن يكون الأديب قد عاصر أو عايشَ الواقعة – الحدث، وباختصار نعني هنا ما يترسب في الوعي الباطني.نعلى الإنسان أن يسعد بحياته كإنسان بعيداً عن الزيف والقمع، والتسلط، لذا نادته الحرية المطلقة وناداه الأفق وها هو يتقدم للرحيل.[1]

مصر الموضوعة الكبرى في قصيدة "**إنها مصر**"هذه المدينة التى جسدها الشاعر في صورة كائن حي تغرورق عيناه دمعا،حزنا وخشوعا مصر التى تعادل الدنيا هي في سكينته، تصيب دمعها السماوات وأشجار السماوات، وساحات المدائن،هذا البكاء الذي صار فيضانا يطهر من الأدران يقول:

و التصاوير التى ترسمها في الليل

وأقواسك في الليل

وأصوات المداخن

ربما أبصرتها تائهة تركض في الغيم

فاستيقظت مقرورا من الخوف

لماذا انفرطت سبائك الفضة في الأرض

وقصت شعرها الشمس

لماذا الأرض، والحنطة، والشمس

احملوا يا أيها الآتون ألواح البدايات

وكونوا بذرة الفجر الذي ينمو جنينا في حشاها

إنها مصر

إنها مصر[2]

وفي قصيدة "**ركعتان للعشق تحت شمسها**"يبادرنا عنوان القصيدة بأربعة كلمات الكلمة الأولى مثنى مرفوع والكلمة الثانية جار ومجرور للعشق شبه جملة في محل خبر،وظرف المكان تحت وشمسها،فالركعتان تدلان على الصلاة التى هي طقس ديني،الصلاة كانت من أجل العشق في مكان تحت الشمس،أي فعل الركوع قام به فاعل "محذوف"في مكان تحت الشمس،فعلى من يعود ضمير الهاء وأي شمس أديت تحتها الصلاة عشقا ؟يقول:

[1]–ينظر إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر،ص57.

[2]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص101.

قل لطقوس عصر العتمة ..أنطفئ
وللجيل الذي يتوسّدُ ..التاريخ
كُن لهباً إلهياً ، وكن ..ذهبا
وللأبطال والشعراء ..والأشباه
قل للموت ..والفقراء
ثمة في الحياة إله
قل للعقُم : تبقى الشمس .خالدةً
تشُقُّ طريقها ..الأبدية
فوق سواعد الأحياء والموتى
وتبقى موجة زرقاء تلطم صخرة ..الآباد
تبقى الرُّوح والكلمات ..والأعياد
تبقى هامة في الجيل
ترفع كبرياء ..الجيل[1]

في خطاب إنشائي مفاده الطلب يوجه الشاعر كلامه على سبيل الأمر" قل" أمرا الطقوس أن تنطفئ، هذه الطقوس تجسدت في صورة الكائن الحي ،فالطقوس متعلقة بالجانب الديني ، وعصر العتمة هو المفاسد التي سادت العصر لأنه"على المستوى الخطابي ليس هناك صدق أو عدم صدق،بل هناك ذوات تقول ما يجب قوله من أجل أن تكون أكثر اندماجا "[2]،فالشاعر أراد أن تزول المفاسد التي صارت كالظلام في هذا العصر ،وكأنها طقوس تمارس وتشيع بين الجميع، فكانت رغبة الشاعر في زوالها لان هناك جيلا صنع مجدا مشرفا لتاريخ الأمة،وهو الجيل الذي يطلب منه الشاعر أن يكون لهبا يحرق الأعداء وذهبا يرفع قدرها،فالجميع معني بهذا الأمر الأبطال والشعراء والأشباه وقد سيطر فعل الأمر" قل" في هذا المقطع بتكراره ثلاث مرات إلى جانب الفعل "كن"الذي تكرر مرتين وكلاهما فعل أمر أفاد الإلزام، فيوجه الخطاب إلى الذات طالبا منها أن تقول للموت والفقراء أن في الحياة إلاه ،ومادام اللإه هو المسير والمدبر بعظمته فعليهم أن يطمئنوا

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص101.

[2]- Dominigue Maingueneau ,Peragramatique pour le discoure littéraire,Paris,1990,P105.

لهذا الإقرار وهو التوحيد واعتراف بحقيقة اللإه المقدر لكل شيء.

هؤلاء الذين يظلمون غيرهم هم عقم لأنهم يريدون القضاء على أعدائهم فيخبرهم الشاعر أن الحقيقة خالدة ،وبأن الحق لا بد يعود إلى أصحابه لأن الحقيقة خالدة تشق طريقها الأبدي دائما بسواعد الأحياء والموتى،فهناك رجال ينصرون الحق ويموتون دفاعا عنه، فالفعل تبقى تكرر أربع مرات في الأسطر ليفيد دلالة الثبات والرسوخ وتعلوا نبرة التفاؤل والأمل في المستقبل المشرف حيث جعل الشاعر الأمل موجة زرقاء واللون الأزرق يحمل دلالة الأمل،هذه الموجة الزرقاء تلطم صخرة الآباد التي هي الوجود من خلال الوطن الغالي ،وبذلك تحافظ على الأصالة "تبقى الروح والكلمات والأعياد كل هذا سيحافظ على هامة الجيل وعزه ويرفع كرامته يقول:

فوق تهافتُ الأمثال ..ولأضداد

تبقى أمة'' عربية رفعت مصاحفها

عـلـى ..راحـتـهـا

وتدفقت موجاً من ..الأمجاد

تبقى رغم ما حشد ..الصليبيُّ

المعربد تحت رايته

وما استقوى به الموتور و المأجُور ..والجلاد

تبـقى الارض ..والأوتاد

تبـقى فرحـة ..الـمـيـلاد

تبـقى فـي نـسيج ..عـيـوننا

ونـقـوش ..أوجـهـنـا

ولــون ..دمـائنا..بغداد[1]

فالأمة العربية عزها ومجدها فوق كل اعتبار، ورغم ما يحاول الأعداء فعله من منكرات وما يريدونه من خراب لها، فالأمة التي رفعت مصاحفها على راحتها ،إشارة إلى موقعة "صفين" [2]،حينما كان

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص102.

[2]- يشير الى موقعة صفين و هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان سنة 37 هـ ,بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا ومات فيها 20 ألف عندما رفضوا مبايعة علي بن أبي طالب إذا لم يقتص من قتلة عثمان، ينظر:خالد كبير علال،قضية التحكيم في موقعة صفين بين الحقائق والأباطيل سنة 37هـ،جامعة الجزائر،دار البلاغ ،الجزائر ،ط1، 2002،ص1.

الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان أيام الدولة الأموية،حيث أشار عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان أن يطلب من جنده أن يرفعوا المصاحف على سيوفهم حتى إذا رآهم جند علي بن أبي طالب يمتنعون عن القتال، وكان لهم ذلك وتراجع الجند وأستقر الأمر لمعاوية .

ذكر الشاعر لهذه الحادثة التاريخية فيه ربط ماضي الأمة بحاضرها حيث كان للأمة الإسلامية المجد والعز"وتدفقت موجا من الأمجاد "وهي تبقى رغم ما يجمعه الصليبي السكير في جيوشه من أعداء، ورغم دسائس المأجور والجلاد بعزها الثابت ،تبقى الأرض قوية بأوتادها التي تشدها وتثبت أصلها، تبقى هذه الأمة برسوخها، فقد أكد الفعل المكرر تسع مرات ليدل على المجد والنصر الأكيد للأمة الإسلامية رغم كيد الكائدين فهي باقية مع فرحة الميلاد في كل جيل،وتبقى مع تألق العيون،ونقوش الوجوه هذه النقوش التي هي أصالة الأجداد والماضي ،تبقى في الدم العربي الذي يجري في العروق بلونه الأحمر،الأمة العربية الإسلامية التي كانت عاصمتها بغداد يقول:

يـا بـغـداد

((كـان محـمد العربي ..مسجونا

وراء مـدافـع ..الأسـطـول

والقدس الشريف هناك مصلوبا بغير ..يدين

كـان السيف مدفونا إلى الرئتين

ثـم شـهرت سيفك فانحنى ..صنم

مـن الـذهـب ..الرخيـص

وخـر فـوق ..الركبتين

الله يـا بغداد حيث وقفت

لا صـغرت مقامات الرجال

ولا الإرادة بـيـن بـيـن

الله أكبر برقـمـلءَ ..العيون

ونـاره فـي ..الراحتين[1]

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص102-103.

بغداد المدينة في تاريخها المشرف كانت مهد الحضارات وأقواها،في هذا المقطع الشعري يظهر الاغتراب الديني حين يتحدث الشاعر عن الدين الإسلامي وعن سجن النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم وراء مدافع الأسطول،هذا الأسطول الذي يعبر عن الدول العربية المسلمة التي صارت منسلخة عن دينها وبعيدة كل البعد عن تعاليم العقيدة الإسلامية ،ضيعوا القدس الشريف من أيديهم،فصار مثل المسيح الذي اعتقد النصارى أنهم صلبوه،خاصة أن عيسى عليه السلام كان مغتربا بين قومه الذين تنكروا له،وكذلك حال المجتمع الجاهلي الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وكان كالسيف المدفون إلى الرئتين،هذا السيف هو الجاهلية المسلطة على الناس والتي تستعبدهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم من خلص المسلمين من هذا الظلم ،ويذكرنا الشاعر بالحادثة التاريخية حين فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة وكسر الأوثان ،فانحنى الكفر وذل،تلك الأوثان المصنوعة من الذهب الرخيص وخر الكفر على الركبتين ذليلا.

وفي قصيدة **"بقدر ما تسع السماء"** تعتبر اللغة أهم أداة تواصل بين الكائنات الحية وهي مختلفة من فئة غالى أخرى،ذلك أن لغة البشر هي أكثر اللغات تعقيدا وتداخلا خاصة اللغة الأدبية،والتي هي أكثر فنية وتشكلها عناصر محددة ،ولقد أولى الشعراء أهمية كبيرة للغة العربية وكتبوا عنها يقول:

لغُةُ أخرىَ غيُر الخزف الشرقي

السائل في الكلمات

وُموسيقى الأشعار

لغةُ غير الماضي الأنقاض

وغيُر الأقبية المتراكمة الأحجار

لغةُ تمحُو ..تَتَفاقَم ..تُوغُل

تورقُ ليل نَهار

لغة متناهية في الله

مباغتة .. متفجرة الأسرار

لغةُ غير القبب المنقوشة

والمدن الجوعَى[1]

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص106.

يركز الشاعر في هذه الأسطر على حقيقة اللغة خاصة لغة القرآن ،اللغة العربية التي هي لغة حية متجددة ،فهي تختلف عن اللغة الميتة باعتبارها مجرد زخارف ترسم على الخزف وتزين الأماكن،تعبر عن الترف المادي وتتجاوز لغة الشعر بموسيقاه،وليست لغة الماضي التي أبدع بها الشعراء في قصائدهم والتي منها المعلقات حين وقفوا عن الأطلال وأنقاض الماضي تمحو الأقبية المتراكمة الأحجار.

هذه اللغة تتميز بصفات راسخة ،تواكب اللغات وتطورها وتجدد استعمالها حتى عدها الشاعر "تورق ليل نهار" مشبها لها بالنبات الذي لا يتوقف عن النمو،وهي تعبر عن جانب ديني شرعه الله لخلقه،واختارها لغة للقرآن الكريم ،وبذلك يذكر الإعجاز القرآني ،وما تتميز به لغة القرآن من إعجاز بلاغي .

يساير كل جديد ويتجدد دائما ،فمعانيها مباغتة تفجر الأسرار وتكشف الجديد ،هذه اللغة في خصائصها ليست لغة للقبب المنقوشة لأن اللغة العربية تمثل الطابع الزخرفي فيكتب بها على قبب المساجد وفي القصور والجانب العمراني بشكل عام،حتى أن المدن بما فيها من جرائم وازدهار تحتضنها يقول:

المكسوة بالدم وبالإزهار

لغة لا تزحف كالديدان

ولا تتناسل كالغربان

علي قمم الأشجار

لغة تتشكل في شفتي بغداد الآن

وتولد في كفي بغداد

وعينيها الرائعتين

الشامختين

المائجتين بآلاف الأقمار[1]

اللغة العربية لغة شريفة قوتها في ذاتها ليست ضعيفة فتزحلق كالديدان في حركة بطيئة،وهي لغة قادرة على التجدد والتطور ومواكبة للتطورات المختلفة لذا فهي لا تتناسل كالغربان على قمم

[1]-محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص107.

الأشجار،هذه الصورة شكلها الحقل المعجمي"الخزف-الأقبية-الأنقاض-الأحجار-القبب المقوسة-المدن"ما نلحظه على هذه الألفاظ هو تعلقها بالجانب العمراني ذلك أن اللغة هي بناء وتجدد،فقوة اللغة مشابهة لقوة البناء وزخرفته هي جمال اللغة.

اللغة العربية لغة العرب تحتضنها مدنها،ومنها بغداد التي تعتبر من أكثر البلدان العربية اهتماما باللغة العربية وتعليمها للأجيال وتطويرها ،يولونها أهمية كبيرة حفاظا عليها حتى تنشأ أجيالا تقدس اللغة وذلك ما كشفته الحقول المعجمية التي استعان بها الشاعر"تتشكل-تولد- تكبر"فبناؤها ونموها وازدهارها كله محل اهتمام بغداد برغبة في الشموخ والرقي بها فكثر علماء اللغة والمهتمين بها .

ويقابلنا عنوان القصيدة "**هوانا**" بشيء من الغموض من،هل هوانا من الهوى،أوهو من الذل(هوانا) أي ما نحن فيه من رضوخ و خضوع يقول:

الهوى كلّ هوى دون هوانا
نحن من أشعلت الشمس يدانا
والخُطى مهما تناءت أو دنت
فهي في دورتها رجع خطانا
وإذا التاريخُ أغنى أُمَّةً
بشهيدً فأُلوف شهدانا
وإذا الثورة كانت بطلاً
يطأُ الموت ويحتلّ الزّمانا
فلنا في كُلّ جيل بطلٌ
مجدهُ يحتضن المجد أحتضانا[1]

يقدم الشاعر في هذه الأسطر نزعة قومية صارخة وشامخة ،تكشف عن حس الثورة والتمرد الذي تبناه الشاعر،فالهوى هنا هو قرين الأرض والمكان والقومية هو هوى الذات الجماعة التي توحدت حول هدف واحد،يتحدى كل ما سواها فالضمير(نحن) هنا يحدد النبرة المتعالية التي صرح بها شاعر وأراد إيضاحها،فالذات الموحدة هنا حددت هدفها وأشعلت الشمس يداها،وتضافرت الجهود حتى لو تباعدت"والخطى مهما تناءت أو تباعدت" لأن ما تقوم به الشعوب اتجاه قضاياها

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص85.

العادلة مختلف من جيل إلى جيل ومن دولة إلى أخرى الا أن هدفه واحد"وهي في دورتها رجع خطانا".

يعلن في هذه الأسطر أن الأمة العربية واحدة موحدة.وأن ما ضحت به الأمم الأخرى من أجل شعوبها ضئيل أمام ما ضحت به الأمم العربية ،فإذا كان مات شهيد واحد في تاريخ أمة، فإن ألوف الشهداء في أمتنا، التاريخ=شهيد=أمة التاريخ =ألوف الشهداء=أمتنا العربية.

فهنا تصبح المعادلة غير متكافئة ويكون للأمة العربية الفضل على غيرها، و لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يزداد، فالثورة=بطل،عند غيرها،و هي عندنا :كل جيل=بطل= ثورات

فإذا كانت له ثورة ببطل يدرس الموت ،و يدع احتلال الزمان،فإن لنا ثورات،و ذلك أن لكل جيل بطل يحتضن المجد احتضان .

هذا على العموم ما استطعنا أن نجمله في هذا الفصل من البحث ولنا وقفة مع الاغتراب السياسي في علاقته بالاغتراب الاجتماعي والنفسي في الفصل اللاحق.

الفصل الثالث:

الاغتراب الاجتماعي والنفسي

في شعر الفيتوري

تمهيد:

عانى **الفيتوري** من الاغتراب الاجتماعي الذي كان مدخلاً لاغترابه النفسي فيما بعدففضلاً عن الإحساس الشاعري المرهف الذي ميزه منذ صباه وجعله يعيش العزلة عن أقرانه،حيث اعتزل اللعب معهم ولزم مجالس والده الصوفية التى كانوا يذكرون الله فيها،كان ثمة عوامل جعلته يعتزل هي طبيعة الحياة القاسية التى عاشها والتشرد الذي طبع طفولته ونفسه،وقد لازم حياته فجعله يتوق الى الحرية والتمرد.

ومن العوامل التي ألهمته فكرة الاعتزال ما تركته في نفسه الحربين العالميتين والدمار الذي ألحقته بالبشرية الأمر الذي عمق المأساة في نفسه وحياة التشرد والنفي التي عاشها ،تلك هي بعض العوامل التي أسهمت في تشكيل اغتراب الشاعر الاجتماعي واضطرته إلى الاعتزال،وصولاً إلى اغترابه النفسي القاسي،الاغتراب الاجتماعي:"فالغريب هاهنا هو من يجتنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات وينفصل عن العامة والناس ،واعتبارا أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية"[1]

1-العوامل النفسية والاجتماعية المشكلة لشخصية الفيتوري :

أ- نشأته:

كانت نشأته في محيط ثقافي أسري متميز فوالده شيخ الطريقة الصوفية "الشيخ مفتاح رجب الشيخي الفيتوري،وكان خليفة خلفاء الطريقة الشاذلية الاسمرية*نسبة الى سيدي عبد السلام الاسمر880هـ - 981هـ شيخ هذه الطريقة،والطريقة الاسمرية "[2].

استمد جذوره من تأثره المبكر بالأدب العربي القديم والحديث في قراءاته الأدبية والشعرية، متأثرا برموز المدرسة الرومانسية"ونهل كذلك من معين الأدب العربي الحديث ،وتأثر في بداية أمره بالشعراء الرومنطقيين ...وغيرهم من شعراء المهاجر الذين وجد في شعرهم، أشياء جديدة تأتيه عبر البحار، وتوقظ مشاعره و إحساسه"[3].

ولم يكن تأثر **الفيتوري** مقتصرا على الشعراء العرب بل نجده"وقف مذهولا أمام شارل بودلير في ديوانه أزهار الشر" ...كذلك قرأ الادب الغربي الحديث والمعاصر ،فأفاد من مطالعة :بوشكين (ت1837)و مایاکوفسکي(ت1893) السوفياتيان ، ورامبو(ت1891)الفرنسي"[4].

---

[1]- محمود رجب ،الاغتراب سيرة و مصطلح، دار المعارف ،ط4، القاهرة ،1993،ص44.

[2]- محمد الفيتوري ،الديوان ،ص47.

[3]- نفس المصدر،ص48-49.

[4]- نفس المصدر ،ص50-.51.

وبذلك فقد أدركنا أن تعاطف الشاعر مع عاشقي الليل، وأصدقاء الحزن، والمأساة كان مبررا، أما الجانب الثاني فقد تمثل في تأثره بالتراث الصوفي واشتغاله بالسياسة كصحفي وخبير إعلامي "كذلك تثقف سياسيا واجتماعيا، إذ أنه في أثناء انقطاعه عن الشعر ما بين 1955و1964، عمل بالصحافة والسياسة وخاض غير تجربة اجتماعية،واستطاع أن يخرج من قوقعته الذاتية "[1].

إننا نجد **الفيتوري** المتعلق بصوفيته يسخر هذه التجربة في خدمة النص الشعري بمعنى ان **الفيتوري** قد مزج بين التجربتين الصوفية والفنية،ذلك لان التجربة الفنية تنتج وجودا يوازي الوجود المادي ويثريه بينما تكون التجربة الصوفية حالة الفناء التي ينعدم فيها الوجود المادي من بدايتها الى نهايتها،فصوفية الشاعر ليست الانجذاب الى مجموعة من الأفكار المشوشة والأحاسيس التجريدية إننا إزاء صوفية متمردة أنتجت للوجود كائنا قادرا على تلمس احتياجات الواقع برؤية أعمق وقيم أعلى.

ب– الحس المأساوي في شعر الفيتوري :

يعد الاغتراب الذاتي والاجتماعي من أهم مظاهر اغتراب الفرد عن نفسه وانسلاخه من مجتمعه،لأنه يكشف عن التناقضات النفسية داخل النفس الإنسانية لأن الاغتراب النفسي" يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية ،وما يستشعره من غربة في العالم وفتور أو جفاء في علاقته بالآخرين"[2]، وبما أن المجتمع يساهم بقسط كبير في ذلك، فهو السبب الرئيسي فيما يعانيه الفرد، لذلك يرى **إحسان عباس**"أن الفرد منهزم قبل أن تبدو إمارات هزيمته، فمن ذا الذي يستطيع أن يقول إن الفرد هو الذي سينتصر في النهاية؟"[3]

ويظهر هذا القول جلياً عند **الفيتوري** إذ أن الفرد يظهر اليأس،أكثر من ميله نحو الثورة أو التمرد،والذي لا يعترف بالفرد إنساناً له كيانه وهمومه ومشكلاته أمام المجتمع، لذا قام بتسليط الضوء على الفرد الممزق المغترب حتى عن نفسه،واعترف بصفعته وعجزه عن مقاومة هذا المجتمع والتمرد عليه، ومن ذلك يظهر لنا أن الفرد مسلوب الإرادة، وأن إرادته خاضعة لإرادة الآخرين ،وأنه لا مفّر –حتى الموت–من سلطة الآخرين على الفرد المستسلم لقوة التيارات الخارجية، فالشاعر الفيتوري"كان شعوره عميقا بالغربة والحزن ،وهما يخيمان على روحه ، ويؤرقان أيامه ولياليه."[4]،وفي ظل البحث الدائم

[1]– محمد الفيتوري ،الديوان ،ص51.

[2]– محمود رجب ، الاغتراب سيرة و مصطلح ،دار المعارف، ط4، القاهرة ،1993 ،ص35.

[3]– إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق ، ط2،، عمان، 1992، ص 153

[4]– موسى منيف،محمد الفيتوري شاعر الحس والوطنية والحب ،دار الفكر اللبناني ،ط1،بيروت ،1985،ص 58.

عن معنى الوجود يغترب الإنسان عن نفسه اغتراباً يظل يتعمق حتى تنعدم شخصيته،ويزداد إحساسه بالقلق،والعجز، واليأس، والعزلة، والكآبة، والدونية،.. إلخ.

ومن بين القضايا التي عبر بها على المستوى الإنساني البحت تبني فكرة الدفاع عن حرية الفرد،وتسليط الضوء على أسباب اغترابه وعزلته أمام أشكال السلطة المختلفة،بذلك لا يستطيع الفرد أن يتصالح مع المجتمع لأن المجتمع لا يمد له يد المصالحة،بل على العكس من ذلك فقد تزداد إمكانية انسلاخه عن مجتمعه ،وفي ذلك يقول محمد الفيتوري :"إنني إنسان يتحرك راضيا أو مكرها ،ضمن دوائر هذا الخراب الهائل الذي تعيشه أمتنا العربية "[1]،وبذلك فقد انتبه **الفيتوري** إلى الاغتراب لكنه لم يبق أسير العجز المأساوي بل قاده ذلك إلى ثورة رافضة،والذي يعيش حالة اغتراب من شتى الجوانب (اللامقدرة، وفقدان الماهية واللاانتماء، والوحدة، والقلق، والرفض، والتمرد).

وفي ذلك تجسيد لمأساة المثقف العربي،وحيرته،والفراغ النفسي والعاطفي الذي يكابده،وكآبته من كثرة القيود التي يرسف تحتها،والتي تقوده إلى الشعور بالحرمان تارة،والى التمرد البسيط تارة أخرى،وفيه تجسيد للغيظ المكبوت الذي ينطوي على الكفر،ويؤكد **الفيتوري** على أن وجود الفرد لا معنى له طالما أنه فقد القدرة على التعامل بإنسانيته في مجتمع خالٍ من الإنسانية،ويتفاقم الشعور بالدونية،ويتعمق صراع البحث عن الخلود عنده، ففي قصيدة "**ركعتان للعشق تحت شمسها**" يتبدى الاغتراب النفسي لأن الذات تعاني الانفصام والقهر يقول الشاعر:

تتعاكس المرآةُ في شفق الغروب لديك
تنحت صورة حجرية لمدينة في الليل تبني
معبداً لغرائب الأسرار والفوضى
تزخرف تحت سقف الريح
أُبَّـهةً ممـزّقةً من الألـوان
تلك الخيلُ سابحةً على رقصاتها
الصّدفيّة الملساء
تلك الجوقة الرّملية العمياء
أقنعة مفرّغة من الرؤيا
فلا تسكب دماءك في الحروف سُدىً

[1]- محمد الفيتوري ،شرق الشمس غرب القمر،ص13.

كما يتصنع الموتى من الشعراء[1]

أراد الشاعر في هذه الأبيات تجسيد رؤيا يتبناها في الحياة فحدد حضور الذات بكاف الخطاب، هذه الذات التي تنعكس على المرآة في زمن غروب الشمس، فكان الزمن الغروب بلون الشفق الأحمر،وبذلك تحاول الذات أن ترسم المكان خارجها ، فتنحت صورة حجرية لمدينة في الليل ، فلماذا لم تنحتها نهارا؟ أهو الغموض الذي يميز هذا المكان ؟،وتنحت معبدا يضم الأسرار والفوضى فالمعبد مكان يعبر عن الجانب الديني، وتزخرف أبهة من ألوان الممزقة تحت سقف الريح ،فالزخرفة لأبهة فيه تنميق ومبالغة وذلك ما يحيلنا على النفاق، وسطح الريح تعبير عن التغيير والحركة مما يعني أن الصورة لم تتشكل كاملة لان عوامل مختلفة منعتها.

ترقص الخيول على الصدفية الملساء وتتواصل حركتها المتناسقة على أنغام الجوقة الرملية العمياء، فالرقصات صارت مشابهة لصدفية ملساء والرمال عمياء ،وبذلك تكون الصفات قد شكلت صورة تغريبية ،ولعل الغموض مبعثه الاغتراب النفسي الذي يجعل الشاعر يرى الوجود عبثيا ،فالجوقة الرملية عمياء ،والأقنعة مفرغة من الرؤيا ،فينهى الذات المخاطبة أن تسكب ذاتها في الحروف دون هدف،حتى لا تشابه المتصنعين من الشعراء الموتى ،فالتصنع تكلف مناف للطبيعة يقول:

و المخاضاتُ عذاب..
ولقد تلدُ الأرحامُ َوحلاً واحتقانا
وأنا أعرفُ أن أُمَّة
هي عند الله أعلى صولجانا
وأنا أركضُ في بُستانها
خيلاءً ..وأغُنَّي المهرجانا
و أسألُوا التاريخ عنها
ينتفض كلُّ عرق عربي عُفُوانا [2]

في هذا المقطع من قصيدة **"هوانا"** يعلن الشاعر أن الإنسان في هذا الكون لم يخلق عبثا بدءا من ولادته الصعبة، ومكابدة خروجه إلى الكون تكشف هدف وجوده،هذا المخلوق رغم عظمة خلقه إلا أنه قد يتجبر ويظلم،ولذلك "قد تلد الأرحام وحلا واحتقانا" على سبيل المجاز المرسل علاقته اعتبار

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص100.
[2]- نفس المصدر،ص121.

ما يكون أي الظلم، والسوء على غيره،اليهود وظلمهم للفلسطينيين ولذلك فالشاعر موقن بأن الأمة العربية هي عند الله خيرا لأن فيها أنزلت خير الكتب القرآن الكريم، فذات الشاعر في حالة من الزهو والفرح تركض في بستان الحضارة العربية خيلاء وتغنى و كأنها في مهرجان لأن مجد هذه الأمة تليد والتاريخ سيذكر مجدها و عزها .

وفي قصيدة "**مقام في مقام** العراق" يخاطب الشاعر مدينة العراق ويجعلها المرأة الحبيبة والحرية التي يلجأ اليها عند اشتداد الهم عليه يقول الشاعر :

املئي هذه الكأسَ منكِ
فقد ظمئت كأس روحي للإنعتاقْ
ودعيني أغبْ فيكِ ، طائر شعرٍ
جناحاه من نغمٍ واحتراق
يا بلادي التي حملتني بعيداً إلى عُرسِها..
يا بلادي العراق![1]

فقد صارت مدينة العراق في هذا المقطع رمزا يدل على الحياة و الماء الذي يروي عطش الذات للنصر والتحرر من قيود العبودية ،التي جعلت الشاعر طائرا مقيدا لا يقوى على الطيران ،فأراد أن تهبه العراق مدينته جناحان من نغم واحتراق، حتى يكون رسول الشعر، فقدان الشاعر لمدينته العراق جعله يعيش حالة من الاغتراب النفسي والألم ،ومما يدل على ذلك الألفاظ "ظمئت –روحي –الانعتاق– احتراق"هذه الشكوى من الشاعر لأنه أبعد عن بلاده التي حملته بعيدا إلى عرسها وليس غير بلاده العراق،وفي قصيدة "**يأتي العاشقون اليك يا بغداد** " يقول:

يحفر في صخور الجاهليّة جدولاً للضّوء ..
ثم يغيبُ خلفَ ظلامٍ من قَتلُوا ابْنَ سَاقِيَهُ ..
وَمَنْ قَتلُوهُ
كانَ الطّفلُ ذُو الكوفيّةِ الحَمْراء
يركض عارياً
إلّا من الحجر المخضّب في يديه
أكاد .. إني لا أصّدّق..

[1]–محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص97.

عارياً إلّا من الكوفيّة الحمراء!!...

والحجر المخضّب في يديْه

وأَلْفُ نيشانٍ من اللَّهَبِ الُموصَّع

فَوقَ صَدْرٍ لم يَخُضْ حَرْباً

و أَلْفُ إذاعةٍ قصفت متاريس العدو

و أَلْفُ أغنيةٍ مسلّحةٍ من الوزن الثّقيل

وألف طاغيةٍ، يعلق سيفه قمراً

على عرشٍ ذليل ، [1]

الحزن سيطر على الشعب الفلسطيني و أرقه ،حتى صار كل شيء يحزنه و يعبث به فكانت الثورة والتمرد ضرورية على الوضع المخزي وبالتالي التغيير ، وقد تمثل رد فعله في حفر صخور الجاهلية، وذلك من أجل أن يكون له جدولا من ضوء أمل يجعله قادرا على الاستمرار و التغلب على الظلم المسلط عليه،لكنه يغلب لأن قساوة ما فعله قاتلوه تجاوز كل الحدود، فقد قتلوا ابتسامته و قتلوه.

يقدم لنا الشاعر مشهدا دراميا يجسد به هذه المأساة ،فالطفل (ذو الكوفية الحمراء) والتي أصبحت علامة على انتماءه الفلسطيني، ليس له مخرج غير الرقص عاريا، و هذا العري هو الظلم و المسخ والاستلاب الذي يعيشه ،ليس له غير حجر مخضب من دماه يحمله بين يديه ويركض، فقد صنع هذا الطفل المفارقة لأن سلاحه الوحيد وسط هذا الظلم الحجر الذي يدافع به عن أرضه و عرضه .

وما يقهر الشاعر و يعمق اغترابه النفسي أنه يرى الطفولة تستلب و تعاني الظلم،و الحكام يعلقون نياشين الذهب على صدورهم دون أن يقاتلوا و لا يدافعوا عن حقوق هؤلاء فالكثرة أمام الواحد:

"طفل مقابل= ألف نيشان علق

= ألف إذاعة

= ألف أغنية

=ألف طاغية."

والطفل وحده أعزل، هذه المعادلة غير متكافئة الأطراف واحد مقابل ألف ،طفل أعزل إلا من حجره،و ألف نيشان من ذهب لا يحرك ساكنا للنصر الفلسطيني، فالاغتراب كشف فضائح العدو وجرائمه،و الأغاني تنصرهم ،و الحكام الطغاة يعتنقون سيوفهم عزًا لهم بل هي ذلا لعروسهم يقول:

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص 135-136.

لمن إذن ؟؟؟

تلك الأساطيل التي يبنونها

في البر ، أو في البحر ، أو في الجو

للنازية السوداء

أم للطفل ؟

أم للمشي خلف جنازة الوطن القتيل [1] !

تواطأ الجميع على الظلم واجتمعوا على السوء ،الشاعر يتساءل مستنكرا هدف الحكام من بنائهم للأساطيل الحربية (في الجو،والبحر ،و البر)،و لكنها لم تكن للدفاع عن الحق،بل كانت للنازية السوداء ولخدمة اليهود و الصهاينة تحميهم و تعمق مأساة الفلسطينيين،فهي ليست للطفل إنما جهزت لتشيع جنازة الوطن الفلسطيني القتيل،فهم خونة مجرمون لم يتركوا جريمة إلا و اقترفوها.

وفي قصيدة "**الى مسعود الحكيم**" نجد الشاعر يتقمص الفتى الحالم لأنه يحمل هموم أبناء وطنه الذين يعانون القهر، هذه الأجيال التي شردت عن وطنها وسلبت حقوقها على يد الغاصب المحتل ومما يزيد الصورة سلبية وضبابية،الألفاظ التي تدل على الاغتراب الاجتماعي لهذا الفتى المقهور مع أبناء شعبه بسبب الظلم والقهر المسلط عليه ومن ذلك نجد "أضناه –أشباح –الظلام–القهر" وهي ألفاظ تدل على العذاب وسوداوية الحياة التي يعيشها الشعب الليبي بسبب ظلم الاحتلال له يقول:

كان مسكوناً بأشباحِ الظلام

وبأجيالٍ على أرصفة القهر تنام[2]

من ذلك نرى أنه ليس بالإمكان تجاوز الاغتراب نحو الخلاص رغم المحاولات،وذلك بسبب العجز المطلق وعدم القدرة على الدفاع عن النفس أمام مجتمع قاسٍ،فالمجتمع هو المسؤول عن تعاسة الفرد التي لا يعرف لها نهاية.

فكان الحزن هو العاطفة الأقوى في هذا الديوان،وهو يستقيم مع طبيعة الموضوع، فكان الديوان صورة داخلية لنفس الشاعر، استطاع أن يصور من خلاله مدى الحزن واللوعة في قلبه، ويمكن التعرف إلى ذلك عن طريق النظر إلى الألفاظ التي كانت تقطر أسى ولوعة، فمعجم الشاعر يدور في فلك الشجن والوجع، وهذا يتناسب مع الواقع المفجع الذي يحياه، وما أوجده من حزن على الوطن العربي

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص136-137.

[2]–نفس المصدر،ص 70.

لما أصابه من ويلات وكروب "وخاصة فلسطين"،وقد عد الشاعر الاستسلام والضعف من شيم الضعفاء،وأنه مستعد للدفاع عن أرضه ووطنه حتى آخر قطرة دم منه ، ولم يتجاهل هموم الوطن العربي عامة،وما يلاقي من غزو واستعمار،حتى أصبحت شغله الشاغل الذي أرهقه ، فأبدى الشاعر عاطفة قوية تنبذ الاستسلام واليأس،وأفصح عن اغترابه فهل عبرت لغته الشعرية عن حالات اليأس و الضياع و القهر الذي زعزع استقراره النفسي .

وفي قصيدة **"ذات يوم"** التي يستهلها الشاعر بصيغة الجمع "كلهم" التى تجعل الخطاب الشعري يحمل بعدا خطابيا فقد اتفق الجميع على موقف واحد يقول:

كلهم يشعلون أصابعهم في ..الفضاء

ويستدفؤن!

كُلُّهم ينحتون تماثيلهم في الضباب

ولا يسأمون!

كلهم فلماذا المجاعة ، واللّم ، والصّرخات

لماذا الحروب؟

لماذا الجنون[1]!

الجميع يشعلون أصابعهم في الفضاء ويستدفؤن ،هذا الجمع يحمل دلالة الاستنكار ،تلك الأصابع هي الأجيال التى يجعل منها الحكام العرب كبش فداء لتلبية رغباتهم،فطغى الحكام على حساب شعوبهم المسلوبة والمقهورة ليجسد الاغتراب الاجتماعي مستلبا دون حق الفرد فكلهم يريدون أن تخلد أسماؤهم،ولكنهم ينحتون تماثيلهم في الضباب،ولا يسأمون فهذا النحت الذي يكون في الضباب تأكيد من الشاعر على أن هؤلاء الحكام لن تبقى سيرهم مهما حاولوا لأنهم خونه خانوا شعوبهم،وقد كانت خيانتهم بذلك أهم أساس جعل شعوبهم في المجاعة-و القتل- صرخات الحروب وأخر مطاف قد يصل إليه هؤلاء هو الجنون.

إن مظاهر الاغتراب الاجتماعي تتجلى في هذا المقطع الشعري بصورة كبيرة،وذلك لأن الحقل المعجمي الذي اعتمده الشاعر يوحي بذلك (الجوع-الصرخات الحروب-يسأمون-يشعرون-الجنون)هذا الحقل يدل على مظاهرة الاستلاب التى يعانيها الشاعر من بيئته،و مأساته من اغتراب متواصل يقول:

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص154.

كـلـهـم ذات يــوم

تـغـيـم ..سـمـاواتـهـم

ثــم لا ..يـمـطـرون[1]

هؤلاء الحكام الذين تنبأ الشاعر بمصيرهم المحتوم،وهو أنهم لن يكونوا خيرا على شعوبهم،لأن ما اقترفوه فيه من مساوئ يدل على ذلك فكونهم سمواتهم تغيم ،إشارة من الشاعر إلى ما يفعلونه من مشاريع تنموية توهم شعوبهم بأن الخلاص من مشاكلهم سوف يكون و لكن الواقع يثبت عكس ذلك.

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص154.

2- الرؤيا والحلم في ديوان الفيتوري:

تتعدد معاني الرؤيا وهي تعني "الرؤية في اللغة: النظر بالعين المجردة"[1]،أما القصيدة الشعرية المعاصرة فهي تحمل رؤيا ؛أي تكشف عن عالم يمكن أن نصل إلى فهمه بواسطة الحدس و التخييل والحلم، فهو إدراك ذاتي محض،يتجاوز فيه المرء المعرفة المشتركة، فالمعرفة التي مصدرها العقل والمنطق والحواس،هي استغراق كلي لعالم الذات خاصة في تطوير دلالة هذا المصطلح،حتى غدا من الواجب على النقد إضافة أبعاد جديدة إلى بُعده المركزي لتتناسب والتطورات الفنية و المعرفية و الجمالية التي فرضها الشكل الجديد للشعر،"الرؤيا تجربة مع المستقبل من خلال الواقع عن طريق الذات المبدعة ؛ فهي تجربة لأنها لا يمكن أن تُبنى في فراغ . ومن علائم هذه التجربة الوعي،وكذلك النضج الذي يحدده طول تجربة المبدع وقدرته على التعامل مع مادته تعاملاًمتجدداً ومتطوراً ومن ثم مبدعاً."[2]

وما دامت الرؤيا نظرة استشرافية يتبناها الشاعر اتجاه المستقبل فإن وضوح معالمها أمر حتمي،فتجربة الفيتوري قد ساهمت في تشكيل الرؤية الشعرية وتعميقها من خلال قراءاته للأدبين العربي والغربي"

والشاعر قد يكّون الرؤيا عن طريق توظيف الإمكانات الفنية كافة من كلمة وتركيب وصورة وأسطورة ورمز وإيقاع ،بمعنى أن القصيدة تسعى إلى بناء عالم بديل يتجه مباشرة إلى الرؤيا دون الاتكاء على عناصر الرؤية المذكورة،وفي هذه الحالة تعلن الرؤيا عن نفسها."[3]

وبذا يمكن القول أن الرؤيا الذاتية قائمة علىفرد وتمثل أحلام فئة معيّنة، والرؤيا الاجتماعية ممثلة لتطلعات مرحلة وآمال مجتمّع،"وعندما يتابع المرء قراءته سوف يدرك أنها لا تعتمد على دفقة الموهبة"[4].

إن الغربة التي يعيشها الشاعر غربة وجودية، فهو يرفض الاستغراق الشامل في الماضي والحاضر، ولا يملك غدا يطمئن إليه، فيثبت عجزه الكلي والشامل عن إمكانية تحقيق وجوده الخاص المتميز. ويرى **ريتشارد شاخت** أن الاغتراب يكمن في التنافر بين الطبيعة الجوهرية للشخص ووضعه الفعلي،فالوضع الجوهري للشاعر هو الاتجاه نحو المستقبل.

---

[1]-الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين،ص83.

[2]- عبدالله خلف العسّاف،دراسات جمالية نصيّة في الشعر السّعودي الجديد(ممارسة في النقد التطبيقي)، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن،1426هـ، 2005م،ص11.

[3]- نفس المرجع ،ص12.

[4]- أحمد درويش ،في النقد التطبيقي محاورات مع نصوص شعرية ونثرية ،ص243.

وهي رؤية تستمد مكوناتها من الواقع، واتجاهات هذا الواقع و رؤاه، و تملك قدرة على النفاذ إلى أعماق الرؤية المعاصرة،باعتبار هذه الرؤية نسقا عصيا على التحديد الزماني والمكاني،إنها ممتدة من الماضي إلى الحاضر،فبنية الخطاب الشعري العربي المعاصر لا تعني الانقطاع عن التراث،فقد أثر التراث في تشكيل هذه البنية وأعطاها طابعا خاص ،لأن قضية الرؤية والموقف بالنسبة للزمان والمكان،تجعل الذات الشاعرة تمر بسلسلة التحولات،وتستقطب عناصر كونية ومكانية،كما تستقطب الزمن بأبعاده الفعلية والمجازية.

تعتبر (الرؤيةُ) في الشعر البعدَ الأول للصورة الفنية، وتعتبر (الرؤيا) البعد الثاني الذي تسعى الصورةُ إلى استشرافه وتجسيده ،ولابد من التأكيد على تلازم البعدين من حيث المبدأ،وعلى تفاعلهما ضمن الصورة الفنية، فالشاعر إما أن يرفض الواقع وإما أن يقبله،وإما أن يرفض بعضه ويقبل بعضه الآخر،وهو في كل الأحوال يبحث عن البدائل ،ولابد أن يكون وراء وجود البدائل مثيرٌ واقعي، والرؤيا تأتي عفويةً أو غير واضحة في بداية تجربة الشاعر الفنية، ثم تنتقل فيما بعد في أعماله أو في بعضها إلى رؤيا تكاد تكون مكتملة"[1].

فالرؤيا الدينية التى تبناها الشاعر **محمد الفيتوري** و وظف من خلالها الكثير من الرموز الدينية التي تختزنها الذاكرة الإنسانية محاولا البحث عن البديل أي المعادل النفسي فالشاعر متمسك بالماضي المتمثل بصورة الإنسان الحر والمناضل الشريف والثائر تعويضا عن نقص حضاري يحسه الشاعر وحلم مفقود ينشده.

فيتجلى الاغتراب الديني كجانب يعمق الاغتراب الاجتماعي وهو ما يجعل الشعوب العربية تخضع لحكام يتخفون بقناع الدين ويحكمون باسمه حتى يخضع ويخاف،هذا الغطاء الديني الذي يجعل الشعوب تشعر بالاغتراب الديني اتجاه عقيدتها التي يدعي الحكم بها حكام ظالمون، فرجال الدين في هذه الشعوب يستعملون الدين وسيلة تدعم بقاءهم في الحكم،وتدعي باسم الدين الإسلامي صلاحية بقائها في الحكم يقول :

وَقَائمةُ هي ، باسم القضيَّة
وَأَنْظمة الخطب المْنبَريَّة
وَحَاملةٌ هي ، سرَّ الرِّسَالةُ
وَشَمْسَ العدالةْ

[1]- ينظر عبد الله خلف العسّاف دراسات جمالية نصيّة في الشعر السّعودي الجديد(ممارسة في النقد التطبيقي) ،ص37.

وَقَادِرةٌ هي ، تَمْسَخُ وَحَ الجمالْ
ولا تعرف الحقَّ
أو تعرف العدل
أْو تَعرِفُ الاستقالة [1]

هؤلاء الحكام لا يعرفون العدل أو الاستقالة يريدون الخلود في مناصبهم، متجبرون يدعون حكمه بالرسالة المحمدية ظلما وافتراء ليحرموا الشعوب حقوقها، الظلم يجعل الشعوب تعيش حالة من الاغتراب الديني والرغبة في الخروج عنه لان هؤلاء الحكام يسيؤون لصورة الدين،وبذلك يجعلون الشعوب تثور في وجه الدين وتكرهه لأنه أصبح في نظرها مصدر قهرها ودمارها ،فتعيش حالة من الاغتراب الديني والرغبة في الخروج عنه لان هؤلاء الحكام يسيؤون لصورة الدين.

ولكن التعويض بالحلم يمكن أن يحدث على صعيد الخيال مثلما يفعل **الفيتوري** في عالم الشعر، فهو إلى جانب سواده ودمامته فقير بهذه النقائص والعلل أحدثت شرخاً عميقاً في عالمه الداخلي، فانعكست على حياته وشعره،فإذا هو غريب غربة موحشة قوامها الحزن والكآبة والضياع والقلق واليأس والشقاء، ومظاهر تكشف عن الحس المأساوي الذي يستبدُّ بهذا الشاعر، وفي المقابل كان **الفيتوري** حالماً بالغد والفجر والنور والأماني والصباح والغناء والميلاد وكذا العيد والحصاد كلها تعبر عن نظرته التفاؤلية بالمستقبل الواعد .

استخدامه الأسطورة دليل يتمظهر في السلبية والعجز عن إيجاد لغة مشتركة بين الذات العالم، وبين الوعي الفردي و الوعي الجمعي،وذلك نتيجة شعور الفرد بالغربة والاستلاب ، فلجوءه إلى الغموض و التعمية والأساطير هو نتيجة لشعوره بالغربة والتشيؤ.

ولأن التكوين التاريخي للإنسان العربي على مر العصور والأجيال سواء على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، أو النفسي،والفكري، هو تكوين قمعي واستلابي تتحكم فيه قوى خارجة عنه،فقد ظل هذا الإنسان طيلة هذه العصور يبحث عن أمل ،وعندما كان يخيل إليه أنه وجده في رموز الثورات الوطنية و التحررية فإنه سرعان ما فجع بهذه الرموز عندما اكتشف أنها سلبته أمانيه، ولم تقدم له شيئا، إلا مزيدا من الفقر والاستلاب والبطالة و الشعارات الزائفة التي ظلت ترددها حتى وصلت إلى مقاليد الحكم،و عندما وصلت تحولت هذه الشعارات إلى سراب،فكان اغترابه وإصابته

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ، ص21-22.

بجميع صنوف الخيبة و الإحباط ردّ فعل على ذلك،ولجأ إلى الحلم والتخيل و إلى إعادة تشكيل العالم، تشكيلا رمزيا و جماليا.

الشعر الحديث تجديد للرؤيا، وهي في عمقها تختلف عن الرؤية البصرية، فإذا كانت هذه الأخيرة تتعلق بالحس المباشر للموضوعات، فإن الرؤيا تتجاوز الإدراك المباشر المعتمد على المدركات الخمس، التي تتطلب حضور الموضوع الإدراكي،فالرؤيا تشكل موقفا جديدا اتخذه الشاعر من العالم والأشياء، إنها عبور من الظاهر إلى الباطن ، وانتقال من دلالات العبارات إلى دلالات إشاراتها ، إن الرؤية قرينة البصر، بينما الرؤيا لازمة عن البصيرة والحدس والكشف والحلم ، السؤال، اتساع المكان، الرمزية، الحسية ، التكثيف، التّنوع في المفردات والحدث،كثافة الصور الجزئية ، عناصُر أساسية كّونت قوة (الشعرية) في هذا النص .

فالرؤيا التى تبناها الشاعر تتعلق بالحرية والثورة ،وتتشابك مع المحاور الكبرى لرؤيا اجتماعية ورؤيا سياسية ،وحتى رؤيا صوفية يتبناها الشاعر، ويستخدم مفردات محددة تدل على التحول والرغبة في التغيير ، وهي تنسجم وطموح الفرد العارم في التحول ، ولعلها تشكّل أساس الوعي الذي تجّسده المجموعة ، من ذلك : (العاصفة ، المرأة، البحر ، المطر ، الريح ...الخ.

التكثيف في الدلالة والاقتصاد الشديد في اللغة واعتماد لغة الإيحاء أساساً للتعبير والتصوير، وحدة الرؤية والرؤيا والرمزية والانزياح،فالوعي الذاتي الذي لا يعترف بالآخر وعٌي مأزوم ،وعي غير متجدد بمعنى أنه سكوني،والموضوعات الأساسية التي تشغله بشكل دائم هي ذاتها لا تتغير.

3- محددات الاغتراب الاجتماعي و الموقف من المجتمع:

يتمظهر الاغتراب الاجتماعي في ديوان الفيتوري بصور مختلفة فيعبر عن ما يعانيه الإنسان عموما والإنسان في البلدان العربية المحتلة بصفة خاصة،فقد عاش الشاعر في الخمسينيات، وشاهد الأساليب الدنيئة التي تمارسها الحكومات تجاه شعوبها،واستخدام كافة الطرق الخبيثة والأيديولوجية للقضاء على الثورة، فكان أن ساد البؤس الشعوب يضاف إلى كل ذلك، موت بعض رموز الثورة في أرجاء العالم فعرف الشاعر غربة سياسية واجتماعية أدت به إلى البحث عما يجعله يحاول التصبر،فالصراع بين الفرد والمجتمع،ليس تعويضا عن السير في المجتمع، حين يأخذ المد الطاغي مجراه،وقد نقول أن **الفيتوري** وضع هذا الصراع في جو شعري، مصورا مرحلتين متعاقبتين:مرحلة الاغتراب،ومرحلة البحث عن الهوية الاجتماعية،فكيف يكون الوضع بالنسبة لشاعر كان يجد هويته أولا ثم بسبب عوامل متعددة أحس بالاغتراب من بعد،وبفقدان تلك الهوية؟

ولان الصراع بين الشاعر ومجتمعه يضم رؤى متفاوتة: فالاغتراب بالنسبة له نوع من الثورة على المجتمع، ولم يكن انعزال كلي عن المجتمع ،لان الغربة كانت خارج نطاق المجتمع ،فقد عاش **الفيتوري** منفيا عن وطنه في عدة بلدان عربية ،مصاحبا للآلام والخيبة، ورغم ذلك لم يتخل عن خدمة المجتمع والدفاع عن حقوقه، فكانت الثورة والتمرد عصب قصائده ،والثورة ليست سوى اصطدام بالتناقضات التي يعاني منها المجتمع، وليست محاولة لتحطيمه، وإنما هي محاولة لتنبيهه أو إيقاظه من سباته الذي زاد من معاناته، وصعب من مهمة الشاعر فحالة الاستلاب التي يعيشها مجتمعه جعلت الشاعر يعاني على صعيدين نفسي واجتماعي ،اغتراب نفسي لأنه عاجز عن تغيير الوضع ،واغتراب اجتماعي لأنه لا يعترف بذاته وانتماءه لبلده السودان.وحاول أن يعبر عن بذلك في نصوصه باعتبار "النص ليس جمعا لجمل ،كما أنّ الحوار ليس جمعا لإجابات ،بل هناك قواعد بناء تحكم تنظيم الخطابات"[1]

يجسد الشاعر في هذه الأسطر بعض مظاهر الاغتراب الاجتماعي ،وذلك بحديثه عن وضع بلاده وما يعانيه أبناؤه من فقر وجوع، وما انتشر فيها من مرض وتشرد بسبب ما صنعه الحكام الطغاة وينتهي باستغاثة يائسة تعكس الاغتراب واليأس في نفسيته يقول :

وفي بوخارسْت بلادي

أَزْهَـَة تكنِـزُ الفَقْر خَلفَ خَزائِـنِـها

[1]- Soplie Moiraud,une Grammaire des textes et des dialogues, colle autoformation, Hachette ,FLH,les.édition ,1990 ,p3

وَسُكونٌ جَرِيحْ
وَأَشبَاحُ مَوْتَى مِنَ الجُوعِ
تخضرُّ سيقانهم في الرمالْ
وَتيبَسُ ثُمَّ تقيحْ[1] !

ثم يلتفت إلى الذل والهوان الذي أصاب الهوية العربية ،وصار نوعا من الاغتراب النفسي لها ،هذه الذات التي فقدت عزها لأنها أهانت كينونتها ،وداست على مقومات مجدها حتى ترضّي الأخر عدوها يقول:

وَمَجْدٌ من الكبرياءِ الذليلة
وَالْكَذِبِ العربيِّ الفصيحْ
((كأنّك لَمْ تأتِ إلاَّ لِكَيْ تُشعِلَ النَّارَ
في حطب الشَّرقِ وَحْدك
في حطب الشرقِ وَحْدَكَ
تَأْتِي[2] ..

الهوية التي هي كيان أمة يستذكر مجد العرب الضائع ،ويذُكر بمعالم عزها في السابق وهو السلام والحرية التي سعت شعوبها لأجلها يقول:

وَشَمْسُكَ زَيْتُونَةٌ
وَالبَنَفْسَجُ إكليلُ غَارِك
ولا شيء في كُتبِ الغَيْبِ غَيْرُ قَرارِكْ[3]

هذه الحرية التي ذكر رموزها في الثقافة العربية:"إكليل غارك ،شمسك،زيتونة"كلها تعبر عن السلام،ينتقل بعدها للتذكير بثورة الألمان وما وقع فيها ،حين قسمت بجدار برلين ،وبعدها استردوا حقهم يقول:

((إنِّي رَأيتُ رِجَالاً
بَنَوا مِنْ حِجَارةِ تاريخِهِمْ وطناً
فَوْقَ حائِطِ بَرْلين

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ، ص22.
[2]- المصدر نفسه ،ص23.
[3]- المصدر نفسه ،ص23.

وانْحَفُروا فيه
ثم تَوَارَوْا وَرَاءَ السِّنين
لكْي لا يُنَكِّس رَايَتَهُ المَجْدُ يوماً
على قُبَبِ الميِّتِيْن
وكيلاَ تَدُوَر على الأَرضِ
نَافُورَةُ الدم والياسمين !))[1]

وما أكثر قصائده الثورية التي انتقلت من الزيف إلى الحقيقة ، ومن الجهل إلى الوعي،هذه الرحلة لن تقف عند حدود الصمت، بل ستتجاوزه إلى الكلام والفعل على المستوى السياسي والاجتماعي، ويتجلى ذلك بوضوح في شعر التمرد عند **الفيتوري** ، فالنفي الطبقي الاجتماعي الذي يعانيه الفقير المحروم تنتج عنه حالة ضياع و استلاب،وهي تجربة أخرى عاشها الشاعر الذي انتقل من بلده ليصطدم بالواقع المزيف،وقد تجسدت هذه الغربة في أشكال متعددة، فهو مقهور مسلوب الإرادة، يتعرض للظلم بأنواعه يقول:

في الرمل كان صعود قوس الفجر
_ لا
في النخل كان هبوط شمس الظهر
_ لا
في الريح كان الموت نجم المهرجان
في البدء كان النفط قنبلة
على شط الخليج
وكان شيخ النفط يغرق
في لياليه الحسان[2]

تجسد هذه الأسطر الشعرية استيلاء العدو الغاصب على خيرات الأرض ،هذا المكان بعناصر الطبيعة المشكلة له مطمع العدو، فهذه الصحاري برمالها الناعمة ،والنخيل في أصالتها تتحد بشمس الظهر ،الوضع في حالة من الاستقرار والطبيعة منسجمة مع الكون وفي تناغم ،لكن يحدث التغيير

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ،ص24.
[2]-نفس المصدر ،ص108.

ويتبدل الحال ،فيعبر عنه بأداة النفي" لا" لينقلب الحال إلى ريح تعصف بهذا الاستقرار ،هذه الريح تخلف أمواتا وسبب ذلك النفط ،هذه النعمة في قلب الأرض انقلبت على أبناء الخليج نقمة،لأن العدو يريد اغتصابها والسيطرة عليها ،فيقف الحكام عاجزين أمام هذا الوضع ،تشغلهم الملاهي والملذات ،ولا يدافعون عن حقوق شعوبهم المهضومة يقول:

في الغيب يا بغداد

كنتِ يبارقاً تمشي على إيقاعها الدنيا

وترتسم انفعالات الزمان[1]

بغداد المدينة عز العرب ومجدهم رغم ما يفعل الخونة فهي في غيبها وماضيها كانت حضارة، الحضارة العباسية في أزهى مراحلها تسير الدنيا بإيقاع متناغم وتتحكم في الدول،ولكن دوام الحال من المحال،ولقد شكلت موضوعة الموت موضوعة كبرى في موضوعة الاغتراب بكل أبعاده السياسية والاجتماعية عند الشاعر،لأن الوضع السياسي للشعوب العربية لا يعرف الاستقرار،في نزاعات وحروب دائمة يقول:

الميتون

الميتون

رقدوا على أكفانهم زمناً

وحين تجسد الوجع العظم

حولوا صوراً لآلهة محنطة العيون

الميتون

الميتون

وأنا الدم القلق الحرون

وأنا النقوش البابلية

ليس تحجبها سحابات القرون

وأنا انفجارات العذاب المحض

في زمن الفجيعة والجنون

وأنا الإرادة لا تهون

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص108.

ولا تخون[1]

فالموت يشكل موضوعا جوهريا في هذه الأسطر ،الموت كحدث هو توقف عن الفعل وهو جمود بعد حركة وفي ذلك يقول غاستون باشلار"إن معاودة عيش الزمان الغابر معناه تعلمنا الموت"[2].

هذا الموت حَوَّل هؤلاء البشر إلى جثث هامدة ،يرقدون على أكفانهم مدة من الزمن ،وبذلك تحولوا صورا لآلهة محنطة العيون،هؤلاء الميتون جعلوا الشاعر قلقا محزونا ،وصار في ذاته نقوشا بابلية تتحدى القرون في حضورها ،"قصد الشاعر المعاصر إذن مواجهة أزمته بالوعي بها وقصد من طرحها التوحد مع الإنسانية ائتناسا بوعيها ومشاعرها ،وعمدا إلى مواجهة الموت بالإبداع"[3].

فالذات" الشاعر"ينفجر عذابا لأنه يعيش في زمن الفجيعة والجنون،ولكن رغم ذلك لازال يملك الإرادة التى لا تهون ولا تخون ،كما خان الأخر يقول:

ولا تقول كما يقول الآخرون

سكان هذي الأرض موتى

الميتون هم الذين تفاخروا يوم السقوط

بأنهم يتساقطون

الميتون هم الهزيمة تحت رايات الهزيمة

والخيانة ملء أبواق الخيانة

الميتون هم الطواويس المتوجة المهانة

الميتون هم الإدانة [4]

إرادة الشاعر التي تجعله يتحدى ويثور ،هي لا تقول ولا تدعي كلامها صادق ،فالذات تنزه نفسها وتدين الأخر الذي يقول ما لا يعرف يعتبر سكان الأرض موتى اتهاما ،وللموت محددات قدمها الشاعر ،فالميتون هم متفاخرون بسقوطهم ويمثلون الهزيمة ويمشون تحت راية الهزيمة والخيانة ديدنهم وهم بوق لها ،وهم الطواويس التي توجهها وكذلك الاهانة ،وذلك أن الطاووس كطائر معروف بتفاخره الذي لا يجدي نفعا،وبذلك فالميتون يمثلون الإدانة بكل أشكالها ،فالموت الذي يتحدث عنه الشاعر

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ، ص108-109.

[2]- غاستون باشلار، ،جدلية الزمن ،ص 47 .

[3]-كامليا عبد الفتاح ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي ،ص202.

[4]-محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص110.

ليس هو الموت الحقيقي المعروف بين الناس ،بل هو موت الضمير والكرامة وموت القيم الأخلاقية وحضور الذل والخيانة والهزيمة والاهانة والجرم المشهود.

ونخلص من ذلك أن الشاعر العربي في العصر الحديث تمكن من تجاوز الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي تمنعه من التعبير عن أفكاره ورؤيته ورؤاه بعد أن وجد في الرمز الأسطوري أداة تعبيرية مناسبة تمنحه الحرية وتمكنه من التعبير ليس فقط عن ذاته ومواجهة قضاياه المصيرية ؛ بل تعداه إلى التعبير عن قضايا أمته فخرج الشعر من الذاتية إلى الموضوعية .

4-الرسم بالكلمات في شعر الفيتوري:

وإذا كان **الفيتوري**رساماً بالكلمات، فإنه يختلف عن الشعراء جميعاً باكتفائه بلونين دون سائر الألوان، هما الأسود والأبيض كأنهما ورقة هذا الشاعر وقلمه، وعلى الرغم من مأساته، فإنه يبقى شاعراً إنسانيّاً، يشيّد مع رفاقه في المحنة والمصير صرح المحبة والسلام، وبذلك يجعل من القارة السمراء موضوعاً يرى من خلاله أزمته الحادة وتداعياتها، ويعبر عما يجيش في نفسه من مأساة ومعاناة تتجلى في اغترابه بشتى أنواعه،ف"كثيرا ما يعتمد الأدباء إلى إيحاء صور مجازية توضح أفكارهم و تجذب انتباه السامعين جذبا جميلا..."[1]،وقد تناولنا في هذا العنصر الصورة الفنية ،دلالة الألوان ،المعجم الشعري في شعره .

4-1-الصورة الفنية في شعر الفيتوري :

ينبني العمل الأدبي على عدة عناصر تسهم في تشكيله ،ومن بينها الصورة الفنية و التى هي "تقاطع لمجموعة من العلاقات التعبيرية والفنية، وذلك باتحاد عناصرها الذاتية والموضوعية، وتداخلها وتكاملها، حيث تكشف عن تكثيف للتجربة الذاتية وتجسيدها لتجارب متعددة لها امتدادها التاريخي وعمقها الإنساني،فالاستعارة الاستعارة ذات أهمية كبيرة تساعد في إيصال المعنى،وهي تُعنى بنقل دلالة الألفاظ إلى غير ما وضعت له في الأصل،عن طريق تجريد المحسوسات وتشخيص المجردات في كائنات حية تحس وتتحرك، وهي كلها توضح وتفصح عن المعنى المنشود وتصل إلى أعماق السامع وتؤثر فيه، وهذا ما يفسره قول **أبو هلال العسكري** مبينا غرضها "إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه،أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسن المعرض الذي يبرز فيه"[2].

وهذا ما يذهب إليه عبد القادر فيدوح ف"الصورة الشعرية على هذا النحو هي لغة إيحائية من العالم المخبوء داخل الذات من حيث كونها تغوص في أعماق اللاشعور لتكتشف مكونات العملية الإبداعية الخفية للشعرية في بنيتها المتفاعلة مع الذات المبدعة والمتوحدة مع الكينونة الخارجية التي تدرك أبعادها بالحدس التصوري"[3].

ولذلك نجد أن معظم التعريفات تقترب من تعريف الشاعر الأمريكي **أزرا باوند** حين قال عنها أنها "تلك التي تقدم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن"[4] ،وتعدّ الصورة الشعرية في جوهرها تشكيل

---

[1]- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980، ص 135 .

[2]- أبو هلال العسكري :الصناعتين، الكتابة والشعر، حققه وضبط لغته :مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1989،ص295.

[3]- عبد القادر فيدوح ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ،دار الصفاء للنشر والتوزيع ،ط1،2010 ،1431هـ،الأردن،ص391.

[4]- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة ،مكتبة غريب، ط4، القاهرة، ، 1977م،ص63.

لغوي يعمل الخيال على بنائه من خلال معطيات متعددة،أهمها العالم المحسوس والذي يكون من خلاله عملية اختيار غير واعية فهو ليس مجرد تسجيل فوتوغرافي للأشياء،وإنما هو تعبير عن حالة نفسية معينة يحسها الشاعر إزاء موقف معيّن من مواقف الحياة، والصورة الشعرية لها أوجه عديدة تعبر عنها وتوضحها كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من الأنواع التي تجسدها لنا،فهي تجمع بين الصورة البيانية والصورة البديعية. كما أن الصورة لا تنفصل عن اللغة لأنها "انبثاق عن اللغة"[1]، ويذهب بعض الدارسين المعاصرين إلى "أن التصوير في الأدب نتيجة لتعاون كل الحواس وكل الملكات، والشاعر المصور حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية ، فالصورة منهج يفوق المنطق لبيان حقائق الأشياء"[2].

وهذه الصورة الفنية قد تكون جزئية وقد تكون كلية ،فالصورة الجزئية تقدم حالة واحدة في مشهد واحد،مكون من شعور واحد سمتها التكثيف،وتجاوز الزوائد،ولهذا فهي تبدو للوهلة الأولى غامضة، صعبة المنال، أما الصورة الكلية فتحتوي أكثر من مشهد،وأكثر من حالة، لأنها مجموعة من الصور الجزئية المندمجة، بينما تكون الصورة الكلية أكثر تفصيلا ووضوحاً ،والوضوح هنا بمعنى وضوح الحالة الشعرية وليست بمعنى المباشرة ، لأنها مكونة من مجموعة من الصور الجزئية فتداخل هذه الصور فيما بينها يؤدي إلى اكتمال الحدث ووضوح التجربة.[3]

فأول صورة نبينها هي الصورة التشبيهية التي إذا ما أسقطناها على موضوع الاغتراب لدى الشاعر نجدها كثيرة نوعا ما، وهي تأتلف في مجملها وتعكس لنا معاناته النفسية وغربته الزمانية، فنجده تارة يشبه الليل وتارة أخرى الزمان والدنيا والأصدقاء والناس، وهي كلها ألفاظ دالة على الغربة وتصلح أن تكون صورا،ولذلك ترى إرين تانبا ميكز Iréne tamba Mecz:"أن كلمات مثل: الصورة البلاغية،المجاز ،التشبيه ،الاستعارة ،الصورة الذهنية Imageهي مترادفات محيرة ،عندما نضع نصب أعيننا أن المصطلحات الأربع الأولى كامن لها في البلاغة القديمة مدلولات مختلفة ،وأما المصطلح الأخير فينتمي الى ميدان علم النفس"[4].

---

[1]- غاستون باشيلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، كتاب الأقلام(1)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص29.

[2]- محمد مصطفى أبو شوارب، جماليات النص الشعري، دار الوفاء، ط1، 2005،ص107

[3]- ينظر عبد الله خلف العسّافدراسات جمالية نصيّة في الشعر السّعودي الجديد(ممارسة في النقد التطبيقي) ،ص 32.

[4]- voir Iréne tamba Mecz ,Le sens Eiguré vers une théorie de l' enonciation Figurative ;Presses Universitaires de France ;1°édition ,1981,page19. I

"تبدأ من الصورة البسيطة كالتشبيه وتمر بالتجسيم،وتنتهي الى التشخيص ورسم الأنموذج...وهي عادة ما تخص بالألوان الساخنة على نحو ما نرى عند الفيتوري ،بل أن الأشياء قد تتحول الى ألوان"[1]

ومن نماذج الصور التشبيهية ما حاولنا تتبعه في بعض قصائد الفيتوري،حيث نجد الشاعر في"**قصيدة الرياح**" يقدم لنا صورة مجازية كبرى تعبر عن اغترابه النفسي والاجتماعي وهناك من يعتبر الصورة وسيلة لتحديد الخصائص الأسلوبية للأديب "ينبغي إذن عدم فصل دراسة التشبيهات عن دراسة الاستعارات لأنهما معا،مظهران لنفس الأداة،ألا وهي: الصورة،وإن الحضور المستمر لنفس الموضوع،تحت هذا الشكل الاستعاري أو ذاك الشكل التشبيهي ،يمكن أن يكون علامة على ثابت تسلطي ،أو علامة على اتجاه أسلوبي جدير بالعناية "[2]،حيث تتظافر الصور الشعرية لتجسد المشهد الدرامي ومأساة الشاعر ومن ذلك نجد التشبيه في قوله "وكأن يدا ضخمة نسجت أفقا في شراينها" فذكر الشاعر أركان التشبيه :المشبه يدا ضخمة ،المشبه به صانع النسيج، أداة التشبيه كأن،ولكنها لم تنسج زرابي إنما نسجت أفقا من شراينها في فضاء مترامي الأطراف، وذلك لان "اللغة المستحيلة"[3]، وهي كناية عن الصمت أمام الظلم الذي ساد وانتشر وعن عمق المأساة ،"في جدل الشمس والظلمات"[4]،فالشمس ترمز للحرية المنشودة والظلمات تعبر عن الظلم والجهل المنتشر بين الناس ،وبذلك يرسم صورة للاغتراب الاجتماعي والنفسي الذي يعانيه الشاعر وأبناء وطنه ،ونجد التشبيه" كأن أصابع من ذهب تتلّمس عبر ثقوب التضاريس إيقاعها"،حيث ذكر الشاعر المشبه به أصابع من ذهب، والمشبه الانسان الذي هو في نظر الشاعر الفرد المهزوم الذي حاول "تلمس عبر ثقوب التضاريس إيقاعها" والأداة كأن ،فالشاعر جعل من الانسان المقهور شخصا يملك يدا ضخمة و أصابع من ذهب تستطيع العزف على أوتار الوجود وكشف الحقيقة .

ويتابع عرضه لأفكاره في صور مجازية متوالية تكشف عن حالته النفسية الحزينة"والصور الشعرية ذات الدلالة النفسية تمثل منهج السرياليين وهذه الصور تقرب الحقائق المتباعدة"[5] فصورا سلبيته وعجزه تجاه هذا العالم المجزوء،والذي صار مجرة تسكنها كائنات صامتة منذ الصباح متسائلا عن هذه المعجزة التى امتلكتها يده، والعاصفة التى تسكن نهاره،فالإله قد سقط في"بوخارست"،موظفا تشابيه منها تشبيه برج إيفل الذي قد يسقط يوما،وكذلك يشبهه بطغيان نهر السين على حوائط باريس ذاكرا المشبه

[1]–عبده بدوي،الشعر في السودان ،مجلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ،الكويت،مايو،1981،ص197.

[2]–فرانسوا مورو،البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ،تر محمد الولي عائشة جرير،أفريقيا الشرق ،المغرب ،2003،ص24.

[3]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص18.

[4]– نفس المصدر،ص18.

[5]–صابر عبد الدايم ،شعراء وتجارب نحو منهج تكاملي في النقد التطبيقي،دار الوفاء ،الإسكندرية ،2001،ط1،ص121.

مدينة "بوخاريست"والمشبه به "نهر السين"والأداة الكاف بارتفاع المياه على حوائط باريس .هذا الحريق العظيم خلف رمادا كثيرا ومات بشر كثيرون مستعينا بالاستعارة "وسال دم بارد في التراب"[1] ليوضح احتقارهم لهؤلاء الموتى بأنه مجرد دم بارد سال في التراب لتكشف الكناية في آخر المقطع عن ذهاب حكم "أُوصد باب"،وسيطرة حكم أخر على النفوذ وخيرات هذا البلد "وُورب باب".

لينتقل في مقطع أخر من القصيدة ولكن بدلالة أخرى لأنها صارت عنده رمزا لكل بلد هضم حقه ودمر،فهي في هذا المقطع رمز لبلدة السودان الذي ظلم واستغلت خيراته من قبل الحكام فقد كنى عنهم بالطواغيت، فهم "أقنعة تشرك الله في خلقه"[2] ويتبع ذلك بجملة من الصفات المشينة التي ميزتها فهي لا تشيخ ولا تموت وتدعي مناصرتها للقضية الفلسطينية بكل زور وبهتان .

ويستعين بالمجاز المرسل ليعبر عن الدين الإسلامي ذاكرا الخطب المنبرية التي هي دليل على الدين الإسلامي،الذي استغله هؤلاء للبقاء في الحكم دون عدل أو حق ولا تستقيل من السلطة،كما ساهمت الاستعارة المكنية في تبين المعنى فعبر عنها بقوله أزمنة تكنز الفقر خلف خزائنها فالذي يكنز المال الانسان البخيل الغني وليس الفقير.

كما نجد الاستعارة كما يقول **جان كوهن** "خرق لقانون اللغة... ومكملة لكل الأنواع الأخرى من الصور،وإن الصور كلها... تهدف إلى استثارة العملية الاستعارية، والإستراتيجية الشعرية هدف واحد هو استبدال المعنى"[3].

ومنها الاستعارة المكنية فالذي يجرح الكائن الحي وليس السكون ،والذي يزيد الصورة وضوحا وتعبيرا عن سلبية الظالم المستبد أنه أقام علاقة مشابهة بين جثث الموتى والنبات ،فجثث الموتى هي أشباح أنهكها الجوع حاولت سيقانها أن تحيا ولكنها يبست ونتج عنها القيح والذي يقيح الجرح لا النبات، كل في نظر الشاعر هو كبرياء ذليلة فجمع بين متضادين في صورة شعرية تعبر عن استهزائه به،واحتقاره للعرب الذين أساؤا الأمجاد وخص العرب بالكذب الفصح لأنهم احترفوه وصار دينهم .وقد خدم التشبيه المعنى حيث ،قال "كأنك لا تأت الا لكي تشعل النار في حطب الشرق وحدك "المشبه الفرد المشبه به عود الثقاب والأداة كأن ووجه الشبه إشعال النار و لكن هذه النار هي نار محرقة لحطب الشرق ،ثم ينتقل الى التشبيه البليغ حيث يجعل من"الشمس العربي زيتونة" والشمس رمز العدالة والحق بنورها والزيتون رمز للسلام ،وكذلك إكليل الغار الذي هو رمز للحرية إذ لا شئ يمكنه

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص20.

[2] – نفس المصدر، ص21.

[3] – بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء –المغرب، 1986،ص109،110.

أن يغير هذا الواقع لأن كتب الغيب أقرته ،وذلك لأن ذات الشاعر تتوق للحرية "إن الصورة في كثير من الأحيان تصبح تمثيلا حقيقيا لإيقاع الذات المبدعة في القصيدة ؛وحركتها ؛وانفعالاتها؛والتمّوجات التي تنتابها في لحظة الإبداع ،فتكسب بالإضافة الى دورها البنائيّ في القصيدة دورا تعبيريّا ؛يسمح لنا أن نقرأ الشاعر المبدع من خلال نتاجه الشعريّ"[1].

ثم ينتقل بعدها ليمجد الألمان وكيف استطاعوا أن يرفعوا راية بلدهم وبذلك عبرت الاستعارة المكنية في قوله "رجالا بنوا حجارة تاريخهم وطنا المشبه الوطن و المشبه به البناء ،فجعل رجال الألمان بنائين يشدون صرخة و لكن هذه الحجارة التي يبنون بها ليست حجارة عادية بل حجارة تاريخهم المجيد الذي صنعه آباؤهم،و يذكر بحادثة بناء جدار برلين وكافحوا لأجله وكأنهم انحفروا في هذا الجدار وترسخوا في أعماقه واختفوا وراء السنن، وكأن السنين مكان يمكن أن يختبؤا وراءه على سبيل الاستعارة المكنية،وذلك حتى يبين قيمة الوطن بنسبة إليهم ويحفظوا مجده ولا تنكس راية المجد يوما،لأن دوران الأرض سينتج عنه القتل والحزن"كيلا تدور على الأرض نافورة الدم والياسمين"،فنافورة الدم والياسمين هي كناية عن الموت والانتقام وفي أخر مقطع من القصيدة يعتبر بوخاريست معادلا موضوعا لبلده السودان يقول:"وفي بوخاريست التي سكبت روحها فيك"،فشبه بوخاريست بالسائل الذي يمكن أن يسكب ،حيث سكب هذا السائل في نفس الشاعر المحب لبلده،وبذلك ازدهرت في أعماق نفسه،النفوس التي تعبر عن أصالة فصارت بوخارست كبلد رمزا لذات الشاعر المحبة سماؤها، فبوخارست تكاد تسيل احمرارا ، فأبناء هؤلاء الوطن ظهروا من الأرض خلال المجاز المرسل حيث ذكر الأيد المقوسة التي تتعانق خلف الغيوم وأرادا علاقة المحبة التي تربطهم بوطنهم وجعل من السماء أرضا حين قال:"وأجرة من تراب النجوم تظل تبعثرها الريح"،فكأن النجوم نبات غرس في الأرض والريح تبعثره في كل مكان ،وهذا ما كان خلف مدار الذات المتأزمة.

وفي قصيدة "**التراب المقدس**"يستحضر الشاعر الذات من خلال فعل الأمر "وسد الآن رأسك" الذي يدعو من خلاله الأخر الى الاستسلام للنوم معللا السبب بأن هذه الرأس متعبة وهو مجاز مرسل فالمذكور الرأس والمراد الانسان الذي يحمل الهموم ويتحمل المآسي،مقيما علاقة مشابهة بين هذه الرأس ونجمة اضطربت في مداراتها،فذكر المشبه الرأس والمشبه به النجمة والأداة"مثلما"ووجه الشبه في الاضطراب،وضمن هذا الاستقرار يتأزم الوضع بوجود طرف أخر معادي "طاغية" استعمرها في الماضي وقد كنى عنه الشاعر بقوله:" أمس قد مّر طاغية من هنا " هذا المستعمر جاء لينشر فكره

[1]-قنشوبة أحمد ،البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية منطقة شمال الصحراء أنموذجا 1850-1950،أطروحة دكتوراه،جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة ،بإشراف العربي دحو ،2007-2008،ص200.

فيها،وحتى يسيطر عليها ،وكنى عنه بقوله: "نافخا بوقه "ولكنه لم يحقق شيئا"وانتهى حيث مّر"وبذلك كانت الاستعارة المكنية شارحة للمعنى "كان سقف رصاص ثقيلا " فشبه كثرة رصاص العدو بالبيت الذي له سقف ،فذكر السقف وحذف البيت على سبيل الاستعارة المكنية ،هذا السقف الذي سقط وتهاوى فوق المدينة والناس ،فحصل الدمار والخراب ،وبذلك كان الموضوع الأساسي في هذه القصيدة هو الاغتراب النفسي والاجتماعي فالجوع ساد الارض والقهر عم بين الناس.

ويؤكد بالتشبيه البليغ المعنى في قوله:" قد مّر طاغية"معنى الطغيان والكره ف"فالتشبيه لا يمكن أن يكون صورة إلا إذا توفر فيه شرط المبالغة،وهذه المبالغة تخرجه أحيانا من الشكل المرئي،خاصة في المشبه به الذي هو عادة،شيء غير حسي،وفي الشعر العربي كثير من الأمثلة في هذا الشأن"[1]،ويسترسل الشاعر في رسم الصور بالكلمات يقول"أتى فوق دبابة "وهذا العدو الغاصب يريد الخراب والدمار "وتسلق مجدا"،"حاصر شعبا غاص في جسمه "،هذه الاستعارات المكنية ساهمت في توضيح المعنى فالذي يُتسلق المكان العالي وليس المجد ،والذي يُغاص فيه البحر وليس الجسم ،لان الشاعر أراد أن يُظهر كرهه ومدى حقد العدو على وطنه فلم يدخر جهدا في قهره والسيطرة عليه .

وهي تحمل بعدا تأويليا تبعا للإيديولوجيا التي تحكمها يقول **رولان بارث** عن العلاقة بين العالم المفترض والعالم المتخيل "تعتري الايدولوجيا النص مثل تورد يعلو وجها"[2].

يجسد الشاعر من خلال الصورة "وفي بوخارست بلادي التي سكبت روحها فيك وازدهرت في نقوش إزارك"[3]،نجد حضور للشاعر في الدلالة "سكبت روحها فيك"وهي استعارة مكنية حيث شبه المدينة بالسائل الذي يمكن أن ينسكب في مكان ما، ويتجلى الأثر الدلالي بصورة أكبر في قوله"ازدهرت"حيث تبرز دلالة التفاؤل والفرح بالمستقبل الأتي من خلال النظرة الاستشرافية ،والذي يوضح رغبة الشاعر في الحرية ويدعم موقفه وهذا ما نجده في قصيدة "**مقام في مقام العراق**" يقول:

املئي هذه الكأسَ منكِ
فقد ظمئت كأس روحي للإنعتاقْ
ودعيني أغبْ فيكِ ، طائر شعرٍ
جناحاه من نغمٍ واحتراق

[1]-خالد بوزياني ،الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين أطروحة دكتوراه ،بإشراف محمد العيد رتيمة،جامعة بن يوسف بن خدة ،الجزائر،2006-2007،ص34.

[2]-Roland Barthes ,le plaisir du texte ,Editions du seuil ,1973,p45.

[3]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص25.

يا بلادي التي حملتني بعيداً إلى عُرسِها..

يا بلادي العراق![1]

فقد عبر عنها من خلال قوله املئي وهذا ما يدل على الفراغ يعانيه الشاعر واغتراب يسكن نفسه،وذلك ما يثبته اللفظ "ظمئت "في السطر الثاني ،فهو يتوق للحرية ،لأنه يفتقر لها ،ولأن نفسه تفتقد الطمأنينة والرضا ،ويترجى وطنه طالبا منه أن يحقق له السعادة ،فبلاد الشاعر في "عرس"،وذلك يدل على الثورة التى يريدها أن تخلصها من الاستعمار ،وفي ذلك إشارة الى العراق حينما كانت حرب الخليج قائمة ،ورغبته في التخلص من العدو الظالم الذي اغتصب أرضه العراق .

وفي قصيدة "**ركعتان للعشق تحت شمسها**"يقول:

تبقى الروح والكلمات والأعياد

تبقى هَامَة الجيل

ترفع كبرياء الجيل[2] .

فقد سيطرت على الشاعر فكرة أساسية ومهمة جسدت دلالة الامتداد والاستمرارية،وهي نبرة التفاؤل وهذا ما تبرزه الاستعارة في قوله:"وتبقى موجة زرقاء تلطم صخرة الآباد"،فشبه الوطن بالبحر الذي تعلوه الأمواج الزرقاء ،فحذف المشبه به وذكر لازمة من لوازم المشبه به الموج على سبيل الاستعارة المكنية ،ولكن ما يزيد الشاعر تفاؤلا هو الكنايات المتوالية التى عبر من خلالها عن أمله في الحياة والتي منها ما يدل على الروح ،والكلمات التى تدل على الشعر،والأعياد التى تعبر عن الفرح والأيام الجميلة .

وفي قصيدة "**هوانا**" يقول:

فأنا أعرف أن الروح من

روحنا نحن ..وأن الكون كانا

وأنا أعرف أن الشمس في غيبة ..ثم تعود الدورانا[3] .

وهنا تلعب الصور البيانية دورا مهما في إبراز المعنى وترسيخ الدلالة والإيحاء Allusion وهو حسب **جنيت**" ملفوظ ينبغي فهمه التام ضرورة إدراك علاقة بينه وبين ملفوظ أخر،تحيل تغيراته إليه بالضرورة ،بحيث لا يمكن تلقيه دونها "[1].

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص97.

[2]- نفس المصدر ،ص101.

[3]- نفس المصدر ،ص119.

فقوله:"أن الروح من روحنا نحن"كناية عن الشعر ،هذا الشعر الذي يتغلغل في أعماق الكون ويثبت الوجود ،هذا الوجود الذي غيّبت فيه ذات الشاعر ،ولكنه سيعود إليه"وأنا أعرف أن الشمس في غيبة ..ثم تعود الدورانا" فقد خدم التشبيه البليغ المعنى ،فالشاعر شبه نفسه بالشمس التى غابت عن الوجود ولابدّ يوما أن تعود،"بيد أنّ التجديد والحيوية في الصور ليس متأتيا من جدّة المشبه وليس من عناصر الصورة بل من حركية التوظيف ومن السياقات الجديدة التي توظّف فيها الصورة ،فالمعاني بهذا الوصف غالبا ما تصبح،كما عبر الجاحظ مطروحة في الطريق ،وتأتي طريقة التوظيف وحيوية النظم لتعطي الجديد"[2].

وفي قصيدة "**ليس طفلا وحجارة** "نجد صورا أخرى يجسد الشاعر من خلالها بشاعة العدو الغاصب الذي دمر هذا الطفل يقول :

ليسَ طفلاً ذلك الخارج من أزمنة الموتى..
إلا لهيَّ الإشارةْ
ليس طفلاً ، وحجارةْ
ليس شمساً من نحاس ورمادْ
ليس طوقاً حول أعناق الطَّواويس..
محّلى بالسوادْ[3]

فالشاعر ينفي الطفولة عن الطفل الذي خرج من "أزمنة الموتى"فالاستعارة المكنية واضحة لأنه ليس هناك أزمنة لموتى وأزمنة للأحياء ،وإنما أراد،وهو كذلك "ليس شمسا من نحاس ورماد"،وعبارة " ليس طوقاً حول أعناق الطَّواويس" تلك إحالة مظاهر الحرية المزيفة في الواقع والعبودية التى يتباهى بها الحكام الطَّواويس،فالأسطورة القديمة تكشف حال **سيزيف** الذي حمل الصخرة زمنا ،ولكن حجارة الفيتوري لها بعد تحرري في هذه القصيدة، فالطفل الفلسطيني يريد التحرر وعدم الخضوع للعدو ،بينما سزيف حمل الصخرة وبقي مرهونا بها"[4].

ويقول في مقطع أخر من نفس القصيدة :

---

[1]- Gerard Genette, Palimpsestes,la littérature au seconde degré édition du Seuil,1982,p8.

[2]- قنشوبة أحمد ،البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية منطقة شمال الصحراء أنموذجا 1850-1950 ،ص164.

[3]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص54.

[4]-علي زغينة ،هاجس الحرية في الشعر العربي المعاصر محمد مفتاح الفيتوري دراسة موضوعاتية ،أطروحة دكتوراه ،بإشراف عبد الله العشي ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،2004-2005،ص 105.

ليس طفلاً ذلك الخارج

من قبعة الحاخام

من قوس الهزائم

ليس طفلاً وتمائم

إنَّهُ العدل الذي يكبر في صمت الجرائم

إنَّهُ التاريخ مسقوفاً بأزهار الجماجم

إنَّهُ روح فلسطين المقاوم

إنَّهُ الأرض التى لم تخن الأرض

وخانتها الطرابيش

وخانتها العمائم[1]

فنفيه للطفولة سببَهُ العدو الغاصب الذي عبر عن الشاعر بالمجاز المرسل "قبعة الحاخام "التى رمزت للعدو ،وكذلك في قوله "قوس الهزائم "استعارة مكنية حيث نسب من خلالها الخسارة وخيبة الأمل إلى القوس والذي يعني في دلالته المتداولة النصر وصار يدل على الانكسار والهزيمة.

ولكنه يعود ليبث الأمل من جديد إنَّهُ العدل الذي يكبر في صمت الجرائم" فإقامة علاقة مشابهة بين "العدل "والكائن الحي " فحذف المشبه به وذكر لازمة تدل عليه وهي يكبر،ولكن هذا الكبر هو النصر القادم الذي سيحققه هذا الطفل بحجارته التي هي سلاحه الوحيد .

وفي انزياحه في قولهإنَّهُ التاريخ مسقوفاً بأزهار الجماجم" تنوب الصورة التشبيهية فجعل من التاريخ منزلا له سقف هي أزهار الجماجم في إشارة من الشاعر إلى أن حرية فلسطين لن تكون إلا باستشهاد أبنائها من أجلها فالمقاومة والدفاع هي التي تجعل أبناء الوطن يحققون الحرية.

فغربة الشاعر النفسية جعلته ينتسب لكل من المدن: العراق،فلسطين ،وكلّ بلد في الوطن العربي ولأنها رموز لقضايا وطن مسلوب ،وفي قصيدة"ركعتان للعشق تحت شمسها" يقول:

الله يا قدسية العتبات

يا إيقاع رايات الرّشيد

وعطر أنفاس الحسين[2]

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ، ص55.

[2]- نفس المصدر،ص104.

فحضور الذات عند الشاعر رسم من خلال صورة المكان الذي يجسد الحقيقة الضائعة التى بنت المجد السابق ،وقد لعب المجاز دوره في هذا المقطع من القصيدة يقول:" يا إيقاع رايات الّرشيد"استعارة مكنية حين شبه مدينة بغداد بالآلة الموسيقية التى تعزف لحنا وتصدر إيقاعا فحذف المشبه به الآلة وذكر لازمة من لوازمه وهي الإيقاع ،كذلك قوله: "وعطر أنفاس الحسين"حيث جعل من مدينة بغداد عطرا لأنفاس الإمام الحسين وكلا الشخصيتين التى ذكرهما الشاعر هما من خلفاء المسلمين فهارون الرشيد في العصر العباسي والإمام الحسين رضي الله عنه كان يعيش الغربة بين قومه الذين تنكروا لحقه في خلافة المسلمين،فملامح المكان تظهر من خلال كلمة العتبات ،لان تلك المداخل المقدّسة كانت بمثابة أقواس نصر وأمجاد للأمة العربية .

هذا التكثيف في الصورة الفنية في شعر الفيتوري له حضور قوي ،وذلك أن الصورة عنده متعددة الجوانب ،فهي قائمة على الجانب الحسي والجانب المعنوي فهي"تشير إلى دلالات أخرى توحي بها من خلال السياق، فالشاعر لا يروي المشهد بأمانة ما حدث،وإنما ينقل الرؤيا المتخفية التي لا تقدم نفسها بسهولة"[1].

ونستنتج مما سبق أنّ الفيتوري في تعويله على الاستعارة للتعبير عن اغترابه يستجيب لطبيعة شخصيته لأنه شخص يميل إلى الاستغراق في حالاته النفسية ووصفها وتشخيصها كما ينبغي حتى تتراءئ مثلما يريد،كما التفت الشاعر إضافة إلى التشبيه والاستعارة الى الكناية والمجاز المرسل.

وليس بين الخيال والحقيقة تعارض أو تقاطع في مجال الصورة الشعرية كما يظن بعضهم ذلك"فكلاهما عنصر فعال في مجال أوسع هو عالم الأشياء والأشخاص والأحداث، وذلك يعني أن "الشاعر حين يستخدم خياله لا يهرب من الحقيقة بل يلتمس الحقيقة كذلك في الخيال"[2]، لان الخيال ارتبط مثلها بالمكان الذي "يدعونا للفعل، ولكن قبل الفعل ينشط الخيال، ينقي الأرض ويحرثها"[3].

وبهذا أصبحت الصورة الشعرية صورة تموج بالألوان والأضواء والأصوات والرؤى المختلطة المتداخلة، وكذلك تحّولت إلى صورة نفسية انفعالية ، وهذا راجع إلى تجارب الشعر الجديد.

[1]- الأخضر بن السايح،استرتيجية الخطاب في الدلالات وبناء التأويل ،،مجلة الخطاب ،منشورات مخبر تحليل الخطاب ،جامعة تيزي وزو ،العدد 8،أفريل 2011،ص106.

[2]- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، القاهرة،ص36.

[3]- جاستون باشلار، جماليات المكان ،ص49.

2-دلالة الألوان في شعر الفيتوري:

لقد تراوحت دلالات الألوان في شعر الفيتوري بين الموروث القديم الذي استوحاه من ثقافته الواسعة في الشعر والأدب، وبين ثقافته الغربية، حيث أضاف دلالات جديدة للون ،فنجد الشاعر قد أبدع في وصفه بالألوان والتي منها، الأحمر، الأبيض، الأزرق، الأسود كالمعجم اللوني، في حين قلت نسبة ورود الألوان الأخرى، فالأحمر لون الدم،والأخضر لون النباتات الحية، والأزرق لون السماء والبحر،وقد سيطرت الألوان الأساسية :الأخضر، الأحمر، الأبيض، الأزرق، الأسود ،كاللون الأحمر الذي يدل على الشهادة ونزف الدماء وكأنها رمز للتحرر من العبودية والاستعمار،"وتمثل الألوان والأشكال وسيلة للشاعر في إحداث التوترات المطلوبة التي تصاحب التجربة الشعورية، بوصفها مثيرات حسية ،يتفاوت تأثيرها من شخص لآخر وقد ترعرع الشعر في أحضان الأشكال والألوان"[1]

وقد حاولنا أن نتتبع بعض دلالات الألوان التى وظفها الفيتوري في قصائد الديوان،وركزنا على الألوان التى أكثر من استعمالها ووضعناها في جدول كالأتي :

[1]- محمد علي كندي،الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث السياب ونازك والبياتي ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1،بيروت،لبنان، 2003،ص28.

جدول يحدد تعداد الألوان في ديوان يأتي العاشقون إليك :

اللون الأبيض	اللون الأسود	باقي الألوان
أبيض ص16	الظلمات ص 18	أحمر ص16
ضياءك ص32	الرماد ص 20	البنفسج ص 23
ضوء ص43	الدجى ص28	احمرار ص25
الضوء ص46	الظلام ص 30	الرمادي ص33
أضيء ص56	ليل ص 32	الارجواني ص33
ضوءا ص75	رماد ص 42	المزرقة ص48
ضوء ص86	السوداء ص48	المصفرة ص 48
تضيء ص	الليل ص48	ذهبية ص 63
للضوء ص 135	الليل ص48	مذهبة ص 65
الأنوار ص 140	المداخن ص49	أزرق ص 69
الضوء ص 140	الغيم ص 49	ازرقاق ص 92
	سمراء ص 50	زرقاء ص 101
	رماد ص54	احمرار ص 126
	السوداء ص 54	الأصفر ص 132
	زنجي ص57	الشفقي ص 132
	الليل ص57	الحمراء ص 135
	السوداء ص59	المخضب ص 135
	الظلام ص 70	الحمراء ص 136
	دجى ص79	المخضب ص 136
	الدجى ص91	الزرقاء ص 139
	العتمات ص94	الذهبية ص 144
	الظلام ص114	
	الدجى ص121	
	السوداء ص137	
	السواد ص 144	
	المظلمة ص 156	
	العتمة ص 156	

1-دلالة اللون الأسود:

لقد أعطى دارسوا الادب للألوان دلالات كثيرة انطلاقا من النظريات الفلسفية والمذاهب الادبية التى انطلقوا منها ، فنجدهم اعتبروا اللون الأسود يدل على العبودية والسواد حيث تكرر اللون الأسود بمعانيه ،وما يدل عليه كثيرا في ديوان الفيتوري ،ومن الألفاظ التى دلت على اللون الأسود في اللغة ألفاظ كثيرة في الأعم الأغلب تجمع على أنه ضد الجمال، فهو لون التشاؤم وكل ما هو سيء ووصفوا تدرجه،" أسود وأسحم ثم جون و فاحم وحالك وحانك ثم حُلكوك و سُحكوك وَحوجوٌي ثم غِربيبٌ فاحمٌ وخُدارّي"[1].

أما فيما يتعلق بدلالات اللون الأسود فقد تعددت"ومهما يكن الأمر فلا يمكن سلخ الدلالات السيئة والتشاؤمية للون الأسود من الموروث العربي فصورة الأثافي وسوادها والغراب الأسحم فيهما دلالة الغربة والارتحال التي كانت مصدر أرق وقلق للعربي البدوي ويظهر اللون مع شيء من الخصوصية مع العبادات وما يلازمها من أضحيات وقرابين"[2].

ولذلك كانت الفوارق الاجتماعية والاقتصادية في العصر الجاهلي مرتبطة بلون الفرد وعلى أساسها يتم تصنيف مكانته"واللون إذا شابه شيء من السواد لون مشؤوم، يخشونه ويشعرهم بالخوف والمهانة والهلاك"[3]،وما زال ذلك شائعا في بعض المجتمعات رغم القوانين الإنسانية التي تطورت وتجاوزت هذه القضية،وقد ظل الصراع قائما،فكان أغلب العبيد من السود، حتى أن بعض الدراسات والبحوث كانت تخصهم بشيء من اهتماماتها،إذ شكل تواجدهم ظاهرة من ظواهر الأدب التى تستحق الوقوف عندها وتأملها،أما فيما يتعلق بالحزن والتشاؤم،فقد كان العرب يتشاءمون حتى من مجرد النطق بهذا اللون أو أحد مشتقاته، "فاللون الأسود عموما قد يكون محببا حينا ومكروها حينا آخر، فالسواد مكروه في بشرة الإنسان لعلاقته بالعبودية والتشاؤم والظلام والتطير، وكان لهذا البعد ظهور في شعر الشعراء، وكان الدفاع لدى الشعراء الأغربة عن لونهم بالكلمة والسيف على حد سواء"[4]،كما هو الحال مع عنترة بن شداد، وكان للعرب أيام وحروب" فكانت عبارة يوم أسود كناية عن التشاؤم به وتوقع الشر"[5]،فالسواد الذي طغى على قصائد **الفيتوري** في الديوان يدل على نظرة التشاؤم

---

[1]- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد :فقه اللغة، تحقيق جمال طلبة،دار الكتب العلمية، بيروت ، 1422 هـ 2001 ، ص118.

[2]- المصدر نفسه،ص119.

[3]- أبو عون، أمل عبد القادر، اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، رسالة جامعية، جامعة النجاح الوطنية، 2003 ، ص38.

[4]- أحمد عبد الله محمد حمدان ،دلالة الألوان في شعر نزار قباني ،رسالة ماجستير ،إشراف يحي جبر،جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا ،نابلس فلسطين ،2008،ص35.

[5]- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، فقه اللغة،ص120.

والاغتراب التي طغت على نفسه ،وذلك بسبب التأثر بالظروف السياسية والاجتماعية والنظريات الفلسفية والمذاهب الادبية التى تبناها انطلاقا من الإطلاع .

وبذلك غدا اللون الأسود رمز الكآبة ومجانبة الواقع والاغتراب والحزن،مهما انخدع الناظر إليه وهو يقترن غالبا بالصمت على عكس الموقف في مواطن أخرى،وقد يأتي اللون الأسود مركباّ مع غيره ،نظرا لتعدد المواقف والمناظر الطبيعية التى يستند إليها في تعبيره.

وعلاقة الغربة باللون الأسود قديمة واستمرت في التراث العربي، نجد في ما استعرضنا ما يظهر دلالة اللون الأسود وتباينها؛ وذلك يعود لعلاقات نفسية واجتماعية رسخت تلك الدلالات، من خلال صراعات طبقية وأخرى لها ارتباط تكويني مع الطبيعة والظلام والقوة، وكان لكل ذلك آثار في تشكل التصور لهذا اللون[1].

ويظهر اللون الأسود في الديوان بصورة كبيرة حيث ورد سبعة وعشرين مرة مقابلا لباقي الألوان التى وظفها الشاعر والتي أحصيناها في الديوان والتي منها:

الدجى،الظلمات ،السوداء،الليل،زنجي،العتمات ،المظلمة،الغيم ،الرماد،العتمة،وقد ذكرها الشاعر في مواضع متفرقة من الديوان ،وبذلك جاءت دلالات الأسود في الديوان قريبة من هذه المعاني فنجده في **قصيدة الرياح** يحمل معنى التشاؤم وضبابية الرؤيا أمام الشاعر لأن "انعدام الألوان يعني السواد؛ إذ نجده متعلقا في الطبيعة بكثير من الأشياء المقبضة والمنفرة فهو مرتبط بالغراب) لشدة سواده (المتعلق في أذهان العامة بالفراق والموت) نعيب الغراب، غراب البين"[2].

كما كان توظيفه للسواد من خلال مظاهر الطبيعة والتي تمثلت في الليل ويظهر ذلك في عدة قصائد والتي منها:"**التراب المقدس**"،"**مونديلا**"،"**إنها مصر**"،والليل يدل على السواد والصبح على البياض،وقد وردا في شعر الفيتوري بصورة كبيرة حيث بررا موقف الشاعر الاغترابي ف"نلاحظ أن دلالة اللون الأسود أخذت سياقات مختلفة برزت سلطته القوية على باقي الألوان وتوزعه على جميع الأشياء المحيطة بالإنسان؛ فتعلق السواد بالمكان والزمان حيث يجسده الليل الذي ينسينا ضجة الألوان وصخبها في النهار،إن ارتباط السواد بالشؤم والسلب لم يمنع من إيجابيته وفائدة حضوره؛ فقد بين القرآن الكريم منزلته وفضل الليل وقدمه على النهار"[3].

[1]- أحمد عبد الله محمد حمدان،ماجستير دلالات الألوان في شعر نزار قباني،ص38.

[2]- ينظر عمر أحمد مختار، اللغة و اللون، عالم الكتب، القاهرة، ط2 ،ص201 - 202 .

[3]- عمر أحمد مختار، اللغة و اللون ، ص208 .

ظهر الاغتراب من خلال قصائد **الفيتوري** السابقة الذكر والتي وظف فيها اللون الأسود بصورة كبيرة وهذا ما يكشف عن الحس الاغترابي الذي يعانيه الشاعر في مجتمعه ونفسيته،وهذا ما نجد له تبريرا في التاريخ القديم من خلال ما فسره الدارس **عبد علي رمضان** في قوله:"ومما حدا ببعض الأمم إلى كراهية اللون الأسود هو ارتباطه بالظلام والليل و بهما تحجب الحقيقة وتنعدم الرؤية، مما يؤدي إلى الأوهام و التهيؤات على عكس النور الذي يرمز له باللون الأبيض، هذا الصراع بين الأبيض والأسود موجود في ديانة الفرس، القائمة على الصراع بين الخير والشر"[1].

من خلال ما سبق نتبين أن دلالة اللون الأسود كانت طاغية على قصائد الديوان وقد حملت دلالة الاغتراب في بعده النفسي و الاجتماعي.

2- دلالة اللون الأبيض:

وقد اهتم العرب قديماً بتميز الأبيض بألفاظ خاصة،تحدد درجاته وصفاته،فقد رتب **الثعالبي** درجات الأبيض على النحو التالي: أبيضُ،ثم يَقْق، ثم لهْق، ثم واضحٌ ثم ناصعٌ ثم هِجانٌ،وخالص"[2]،لقد كان توظيف الشاعر للون الأبيض في المرتبة الثانية بعد الأسود،وذلك بتدريجاته التى تعبر عن الطبيعة وعن موقفه من المجتمع ،ومن القصائد التى وظف فيها الأبيض نجد القصائد "**موندليلا**"،"**يأتي العاشقون اليك يا بغداد**"،"**الى فتحي سعيد**"،وقد حملت دلالات الأمل والتفاؤل والحرية التى يتوق إليها الشاعر، فاللون الأبيض عرف عبر العصور بدلالاته الإيجابية وبكونه يرمز للسلام والحرية ،وبذلك نجده وظفه مرة واحدة وتسع مرات وظف فيها كلمة الضوء باشتقاقاتها المختلفة ومرة وظف كلمة الأنوار وكلها تدل على الانفراج والوضوح .

فالأبيض من الألوان يمتلك معنى مزدوجا،فهو لون الصفاء وعدم سفك الدماء والجمال والطهر، والمرافق في الأغلب لمراحل العبور الإنساني،حتى مرحلة الموت،فهو ستارة الموت البيضاء،كما نجد "البياض والسواد من أكثر الألوان التي يقابل بينهما الإنسان، وتبرير ذلك أن هذين اللونين يتقابلان في حقل دلالي واحد، ويستدعى كلٌّ منهما الآخر، ويراهما العربي في تقابلات كثيرة،كالنهار والليل، وبياض وجه المرأة، وسواد شعرها"[3] .

و"اختلاط اللون الأبيض بالسواد يعطي لونا جديدا وهو الرمادي ،والرمادي من الألوان المحيرة التي تنبعث منها مشاعر القلق وعدم الوضوح في آفاق النفس والدهاء والخبث،وتختلف دلالة اللون

[1]- عبد، علي رمضان :تاريخ الشرق القديم وحضارته إلى مجيء لإسكندر الأكبر ،دار نهضة الشرق، القاهرة ، 1997 ،ص150 .

[2]- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، فقه اللغة ،ص112 .

[3]- ينظر زينب العمري، اللون في الشعر العربي القديم،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988 م،ص103.

باختلاف موقعه ويكون سلبيا أو إيجابيا"[1]،وقد ورد اللون الرمادي مرة في الديوان في قصيدة التراب المقدس واصفا حال الشتاء الذي يوحي بالكآبة والحزن،

دلالة اللون الأحمر:

يعد اللون الأحمر من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة،وقد ورد اللون الأحمر خمس مرات، "فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة وهو من أطول الموجات الضوئية"[2]

وقد كان توظيف هذا اللون في مواضع مختلفة وأحيانا متناقضة" وأكثرها تضاربا فهو لون البهجة والحزن وهو لون العنف ولون المرح، والحزن ومن أكثر سمات هذا اللون ارتباطه بالدم" "حمل اللون الأحمر دلالة العنف والقتل والفتك بالأرواح؛ لأّنه اقترن بنظام فاسد ومتعفن ج سد إسرائيل واستبدادها الطائش في حق الشعب الفلسطيني[3].

ويمكننا القول أن شعرية اللون تقوم على اعتبار اللون قيمة جمالية و بعد مكاني يسهم في تشكيل البنية بتنوعها ،و هذا على الرغم من أنه لا يمكن وضع قاعدة قارة بشأن القيمة الجمالية للون بوجه عام ذلك لأن الاستجابة (لشعرية اللون)،عملية معقدة ذات طابع إشكالي،كونها ترتبط بالتراب واللغة المستعملة،والقصر وثقافية،وحتى لإيديولوجيا السائدة،هذا إضافة أن التعبير باللون قد يكون تصريحا،وقد يكون تاريخا ،و أحيانا أخرى يكون ترميزا أو انزياحا"[4].

من كل ما تقدم يتضح لنا أن استخدام اللون ودلالاته لم يكن محصورا موحدة الاستعمال في الخطاب الشعري بل تخضع تلك الدلالات لسياقات كثيرة متعددة، منها البيئية الاجتماعية والحالة النفسية التي تصاحب الإنسان العربي، فهي تتسع ما بين الحزن والفرح ، وبين الرغبة والمحبة من جهة والتشاؤم من جهة أخرى"[5].

[1] – أحمد عبد الله محمد حمدان ،دلالة الألوان في شعر نزار قباني ،ص39.

[2] – عمر أحمد مختار، اللغة واللون، ص111.

[3] – صديقة معمر ،رسالة ماجستير شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري 2007م – (المعاصر فترة1988) ، اشراف يحي الشيخ ،صالح ، 2009-2010 ،1431هـ،جامعة منتوري قسنطينة ،ص157.

[4] – محمد حافظ ،جماليات اللون في القصيدة ،مجلة فصول ص 41،م 5،ع 2،(القاهرة)1985، ص 226.

[5] –أحمد محمد عبد الله حمدان،رسالة ماجستير دلالة الألوان في شعر نزار قباني، ص57.

3-المعجم الشعري في شعر الفيتوري:

تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية و وسيلة تخاطب و تفاهم، وأداة تواصل بين الناس لنقل الأفكار ، كما أنها قالب أدبي لتضمين مختلف الفنون الأدبية و على رأسها الشعر الذي يتحقق كيانه بها ،ونرى أن الشاعر يستخدم مفردات اللغة وألفاظها،بما يوحي بدلالات ومعاني يريدها الشاعر،لأن الشعر"لغة داخل اللغة"[1].

فاللغة تتجاوز الجانب التواصلي إلى الجانب الفني الجمالي الذي يقدم جمالية اللغة ،وذلك لأن وظيفة اللغة الشعرية "تعبيرية جمالية انفعالية تستخدم للتعبير عن أحاسيس واتجاهات وإثارتها عند الآخرين"[2]،وبذلك هي لغة تكثيف وغرابة تستعين بالألفاظ لبناء الصورة الشعرية وتشكيل المعنى .

وهذا ما أكده **عبد القاهر الجرجاني** في القرن الخامس الهجري في نظرية النظم حين ذهب إلى أن موقع المفردة من السياق هو الذي يمنحها الدلالة المناسبة والمؤثرة[3]،وبذلك يكون **الجرجاني** قد ركز عل عمل العناصر في البيئة اللغوية من أجل إنتاج المعنى، وليس على العناصر ذاتها.فالشعر لغة متفردة على مستوى اللفظة أو على التركيب أو على مستوى البناء، أما معجم الشاعر الخاص بالغربة والاغتراب فقد توافر من خلاله على أربعة أمور هي: ألفاظ الغربة، وألفاظ الطبيعة، والتجسيد، وسوف أتطرق لكل حالة بأمثلة .

عندما نحاول أن نتوقف عند المعجم الشعري يعني أننا نحاول إلقاء نظرة على الخصائص العامة، للألفاظ الأساسية التي يعتمد عليها الفيتوري لتجسيد اغترابه "خاصة وأنّ مسألة الألفاظ تعد من المسائل التي تثار دائما في نقد الشعر"[4].

ونظرا لأهمية هذا العنصر فإننا سنحاول تتبعه في ديوانه لمعرفة ما إن كان موضوع الاغتراب يستأثر بلغة ،خاصة أن الشعر "صفة علوية، أي نقل مفاجئ تقوم به الألفاظ تحت تأثير خاص كما يقول الناقد هربارت ريد"[5].

---

[1]- جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ،ص129.

[2]- مصطفى سويف ،الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف القاهرة، 1969، ص281- 282.

[3]- ينظر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن) (ت 471هـ) ، دلائل الإعجاز، وقف على تصحيحه وطبعه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، 1981، ص36.

[4]- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، ط8 ، د ت، ص195-198 .

[5]-عز الدين إسماعيل،الأسس الجمالية في النقد الأدبي،عرض وتفسير ومقارنة ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثالثة، 1986،ص 345.

والمتمعن في ألفاظه يدرك غموض ألفاظه وقوة أسلوبه، فالمعجم الشعري لموضوع الاغتراب يستمد مادته اللغوية من القرآن الكريم ،الحديث الشريف والشعر العربي القديم والشعر الصوفي والشعر الغربي،"فإن معجم أي نص شعري يمثل –في المقام الأول–عالم ذلك النص ،أما الكلمات التي يتكون منها فهي التي تملأ فراغ ذلك العالم ،ومن العلاقة بين كلا الجانبين تتخلق بنية الوجود الشعري"[1]

وتوظيف معجم الاغتراب في شعر الفيتوري يدور في محاور رئيسة تتمثل في مختلف الموضوعات الفرعية التي تناولناها سابقا كالاغتراب النفسي والوجودي، والاغتراب الاجتماعي والاغتراب المكاني وغيرها.

والألفاظ مادة اللغة التي بها تصاغ الصور الشعرية وتتجسد الأمكنة التي يشعر بقربها أو عداوتها، ذلك أن الملامح اللغوية المتعلقة بوصف المكان وصفا شعريا أو تجسيده عبر الصور الفنية ،وتفاوت الألفاظ الموظفة في تشكيل المكان بين القوة والرقة"بل من كلمات لا يتحدد وجودها كنص في علاقة المبدع بها ،ولكن تتحدد أيضا في علاقة بين النص والقارئ"[2]

فنجد بعض المشاهد المكانية التي جسدها في لوحات متعددة الألوان والصور،ذلك لتلونها بالألفاظ الرقيقة التي اختارها الشاعر لإحداث الأثر التواصلي بينها وبين المكان، ففي قصيدة "**المتنبي**"يصف بغداد ويربط بينها وبين شاعرها المعروف الذي هضم حقه يقول:

وقلت بغداد

يا بغدادُ أيُّ فتى كان الفتَى

وهو في عينيك يزدهر

أنت التي اخترته للعشق

كان إذا رآكِ في لهب الأحداث

ينفجر[3]

كما كانت الألفاظ الموظفة في وصف العراق فيها من الرقة والخفة ، مما يجعل القارئ ينجذب إليها، ويستمتع بقراءتها دون تعقيد ،فالقصيدة متناسقة المقاطع، مكثفة المشاعر ، وما كان الشاعر يختار هذه الألفاظ الرقيقة إلا لعمق ما يربطه بالمكان ،ففي قصيدة "**مقام في مقام العراق**" يقول:

---

[1]– يوري لوتمان ،تحليل النص الشعري،تر:محمد فتوح أحمد،دار المعارف ،القاهرة،دط،دت،ص126.

[2]-Michael Riffatere,la production du texte ,coll ,Poétique,Edition du seuil ,Paris,1979,P89.

[3]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص80.

غائب والعيون عليك اشتياق
هائم خمرك الذكريات العتاق
كلما عانقتك مرايا الوجوه
تبعثرت فوق زجاج العناق
يا سحابا من اللحم والعظم
ينخر في حلم عاصف لا يطاق
غير هذا الزمان زمانك
فاللحظة انطلقت والشفاه انزلاق
غير تلك البلاد بلادك
لولا اليقين
ولولا شموخ العراق
العراق..
الأيادي التي غسلت جبهة الشّرق باللّم
حتى أفاق
العراق[1]

وفي بعض النماذج الشعرية عنده وجدنا الألفاظ الموظفة في تجسيد المكان والتعبير عن دلالات، صاخبة بالحركة للإيحاء بقدرة المكان على التفاعل ، وفي قصيدة "**ركعتان للعشق تحت شمسها**" يقول:

قل لطقوس عصر العتمة أنطفئ
وللجيل الذي يتوسّدُ التاريخ
كُن لهباً إلهياً ، وكن ذهبا
وللأبطال والشعراء والأشباه
قل للموت والفقراء
–ثمة في الحياة إله
قل للعقُم :تبقى الشمس خالدةً

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص88-89.

تـشُقُّ طريقها الأبـدية

فـوق سـواعد الأحيـاء والموتى

وتبقى موجة زرقاء تلطم صخرة الآباد

تبقى الرُّوح والكلمات والأعياد

تبقى هـامة في الجيل[1]

ولقد حفل معجم الشاعر **الفيتوري** بكل الألفاظ التي تدل على الاغتراب والغربة، وما يتصل بهما من أوجاع المكابرة، وآلام المعاناة مثل:الرهيب–الكئيب– الوحيد– الطريد– الشريد–الغريب– الحزين– الهاوية– القبر– العبد– الأسير– الأشباح– الشقاء– دم البائسين– الذئاب–مشلول– المهجور– الحلم – الشك– وغيرها من الألفاظ والمفردات المشابهة والبديلة، وهذا لأن الرابط بينها سياق الاغتراب والمعاناة كما يوضحه أكثر أندري مارتيني (André Martinet 1908-1999) بقوله:"خارج السياق لا تتوفر الكلمة على معنى"[2].

ولم تسقط ألفاظ الألم والمعاناة من معجم شاعرنا ،وذلك ما نجده في قصيدة **"طفل الحجارة"**حيث يقول:

ليس طفلا ذلك الخارج من أزمنة الموتى..

إلا هَمَّ الإشارة

ليس طفلاً ،وحجارة

ليس شمساً من نحاس ورماد

ليس طوقاً حول أعناق الطّواويس..

محّلّى بالسّواد

إنّه طقس حضارة

إنّه إيقاع شعب وبلاد

إنّه العصر يغطى عريه

في ظل موسيقى الحداد

ليس طفلاً ذلك الخارج

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص101.

[2]– سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1992، ص31.

من قبّ عة الحاخام

من قوس الهزائم[1]

فتكرار الشاعر للفعل الماضي الناقص "ليس"عبر عن ما يعيشه الطفل الفلسطيني من عذاب فكان، فكما أن الفعل جامد في تصرفه كذلك حالة الطفل الفلسطيني جامدة لا تعرف التغير،ويتواصل الظلم له،كذلك الرماد والسواد،العري والحداد،وكذلك في بقية المقاطع الجرائم،الجماجم،تخن،العمائم، الحكومات،المحاكم.

ليس طفلاً وتمائم

إنّه العدل الذي يكبر في صمت الجرائم

إنّه التاريخ مسقوفاً بأزهار الجماجم

إنّه روح فلسطين المقاوم

إنّه الأرض التى لم تخن الأرض

و خانتها الطرابيش..

و خانتها العمائم..

إنّه الحق الذي لم يخن الحق

وخانته الحكومات

وخانته المحاكم

ليس طفلاً يتلهى عابثاً

فى لعبة الكون المحطّم

أنت فى سنبلة النار وفى البرق الملثم

كان مقدوراً لأزهار ك وجه الأعمدة

ولأغصانك سقف الأمم المتحدة

ولأحجارك بهو الأوجه المرتعده

لا يتألم

وعلى من شهد المأساةَ

أن لا يتكلم[1]

[1] – محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص 54 56-55.

ويتجلى في نفس الفيتوري الحس الرومانسي ،وذلك من خلال الذات الحالمة التى تلجأ إلى الهروب من قسوة واقع خارجي، ويعتبر الطبيعة ملاذه من اغترابه، ولذلك فلا غرابة إذا ما امتزجت "مشاعر القربى بين الشاعر وبين الطبيعة الريفية بمشاعر الغربة وينصهر لديه الحنين والتمرد في بوتقة إبداعية واحدة"[2] فليست الطبيعة إلا صورة لحياتنا النفسية في حالاتها المختلفة.

ومن معجم ألفاظ الطبيعة نجد :الريح، والعشب، والنسيم، والبوم، والغراب، والورد، ، والزنبق، والفل، والحقول، والرياض، والربيع، والشتاء، والخريف، والصيف، والصباح، والضحى، والليل، والمساء، والسحر، ، والبحر، والنهر، ، والنجوم، والقمر، والكواكب وغيرها. وقد أعطى بول جون أنطوان ميي Paul Jules Antoine Meillet (1866-1936)وجها إحصائيا للسياق حينما أكّد أنه: "لا يتحدد معنى الكلمة إلا من خلال معدل استخداماتها"[3]

إن ألفاظ الصوت:ويهدر، والضجيج، ونشيج، وصوت، وتصرخ، وتعول، امتلأت حتى أقصاها بالتجسيد لأن الشاعر زاوج فيها بين الاستعمالات المجازية والاستعمال الحقيقي: كالمد يصعد، الريح تصرخ- الموج يعول،كما أن خروج الأفعال يهدر، وتصرخ، ويعول، من دلالاتها اللغوية إلى دلالات صوتية جاءت لتتضامن مع تكرار كلمة "عراق" في بيان انسحاق الشاعر تحت وطأة غربة قاسية، وحنين طاغ إلى الوطن.

إلى جانب ما مر من عناصر المعجم الشعري ،فقد أكثر **الفيتوري** من تبادل المحسوس والمعنوي، فيتحول المعنوي إلى محسوس قصد تجسيد تجربته الانفعالية ولبناء الصورة الشعرية، وهذا التوظيف للتجسيد يعمق اغترابه الروحي ويدفعه إلى التعبير بحس مأساوي ،فينزل المحسوس منزلة المعنوي ليكسبه حدوداً وأبعاداً مادية لغاية تكثيف والإيحاء وذلك يجعله يساوي المعنوي والمحسوس .

ألفاظ الطبيعة:

وقد انطلق الشاعر في جل معالجاته من واقع مأزوم ومهزوم سيطر على عليه وبالتالي على معجمه اللغوي فكان معجمه تعبيرا عما يعانيه، وكان استخدامه للغة سهلة والتي جاءت نتيجة لنزعته الواقعية استحقاقا لمقتضيات الواقع وانغرسا في هموم الأمة.

تتجلى في نفس الشاعر مظاهر شتى للاغتراب والطبيعة أحد ملاذات شاعرنا في المرحلة الأولى من اغترابه ،فحين يكون انطلاقه من الطبيعة فذلك لأنها صورة لحياتنا النفسية.

---

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص57-58-59-60..

[2]- محمد فتوح أحمد، واقع القصيدة العربية، دار المعارف بمصر، 1984م، ص114.

[3]-سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة ، ص31

ولقد توافر معجم الشاعر على العديد من ألفاظ الطبيعة كالفراش،والريح، والعشب،والنسيم، والعندليب، وطائر الزواق ،والبوم، والغراب، والزهر، والحقول، والربيع، والشتاء، والخريف، والصيف، والصباح، والضحى، والليل، والمساء، والسحر، والنخيل،والبحر،والنهر، والشاطئ،والنجوم، والقمر، والكواكب ،والمدارات وغيرها.

فشاعرنا يواجه العالم، ويفهمه، ويقدمه وفق رؤية خاصة مرتبطة بخياله ووجدانه وحدسه الشعري وتجاربه الخاصة ،ولا يخرج ذاك عن مذهب واقعي رومانسي، ومادام الشعور بالعزلة والغربة خاصة من خصائص الرومانسيين"والرومانسية تطرح قضية العلاقة بالأخر بكثير من الاهتمام والإلحاح،فالرومانسي الذي ينطق من الأنا يتمسك بحريته،بل بحقه في الاختلاف عن الآخرين،كما يعتبر الفرد قادرا على التميز والإبداع دون الخضوع لأحكام الجماعة،وبما أنه يرى الفن إلهاما ،إذن لا بد أن يكون الفنان متميزا متفوقا وهذا التميز يولد لديه الشعور بالانتماء الى عالم أسمى،والغربة عن العالم الذي يعيش فيه،يعزز هذا الشعور بالغربة انتماؤه الى عالم الحلم والخيال والشعور بدونية عالم الواقع ،لذلك كان تصوير الغربة من الموضوعات العزيزة على قلب الشاعر الرومانسي"[1].

وبذلك قد تعددت الحقول المعجمية التى ركز عليها وغلبت على ديوانه،و إن كان المكان الذي وظفه في الديوان يمثل شخصية متماسكة ، ومسافة مقاسة بالكلمات،فهو ليس خارجياً ،أو ثانوياً ،بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلاً بالعمل الفني .

والقصائد التي تحسن استخدامه،وتسجل جزءا من تاريخ الزمن المعاصر.والمكان في الشعر يتشكل عن طريق اللغة التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة ،فاللغة بعد فيزيقي يربط بين الألفاظ و أصولها الحسية،لكن المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها،وإنما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز الواقع ،غير أّنه يظّل على الرغم من ذلك واقعا محتملا ،إذ إن جزيئاته تكون حقيقية يعبر عنها بالخيال اللغوي ،فيختار الألفاظ المناسبة للموضوع،إذ إن رؤية الشاعر لهذا الموضوع تفرض نوعية خاصة في المعجم الشعري.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك طبيعة البيئة والمرجعية الجغرافية التي ينتمي إليه **الفيتوري** وهذه العوامل والظروف كلها تسهم في تشكيل معالم المعجم الشعري للشاعر،الذي يعيش في آفاق التجربة الشعرية،سواء أكانت سياسية،أو اجتماعية،أو تاريخية ،أو اقتصادية،مع الأخذ بأن أسلوب الشاعر يتغير في التعامل مع المفردات ، وطرق الصياغة ، وفقا للرؤية التى ينطلق منها.

[1]- خالدة سعيد ،حركية الإبداع دراسات في الادب العربي الحديث ،دار العودة ،ط2،بيروت ،1982،ص50.

ويمكن أن نرصد مجموعة من الألفاظ المشتركة التي كثر دورانها على لسان الشاعر بحيث شّكلت مادة لمعجم شعري يعبر عن البيئة التي أفرزته. ولعّل من أولى سمات هذا المعجم الشعري بروز اللون المحّلي وذلك من خلال التأثر بالبيئة الجغرافية والسياسية للمكان ،ونستطيع أن نلمس ذلك في الجانبين النفسي والجمالي للمكان.

كما أن المعجم يمتاز بالتوافق بين الموضوع والألفاظ المستخدمة فيه،فنجد في البعدين النفسي والجمالي للمكان أن المفردات تتسم بالهدوء والّرقة،بينما نلمح في البعد السياسي والاجتماعي ميلا إلى المفردات ذات النبرة القوية

وقد استقى الفيتوري بعض ألفاظه ومعانيه من القرآن الكريم مثل:تنقض غزلها قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قّوة أنكاثا تتّخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أّمة هي أربى من أّمة إنّما يبلوكم الله به وليبيننّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾[1] .

وقد تناص **الفيتوري** مع الآية الكريمة ووظفها في سياق مشابه مناسب وقد ذهب **محمد الطاهر بن عاشور** الى تفسير الآية بقوله:"وعطف على جملة ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها،واعتمد العطف على المغايرة في المعنى بين الجملتين ; لما في هذه الثانية من التمثيل،وإن كانت من جهة الموقع كالتوكيد لجملة ولا تنقضوا الأيمان،نهوا عن أن يكونوا مضرب مثل معروف في العرب بالاستهزاء ،وهو المرأة التي تنقض غزلها بعد شد فتله،فالتي نقضت غزلها امرأة اسمها **ريطة بنت سعد** التميمية من بني تميم من قريش ، وعبر عنها بطريق الموصولية ; لاشتهارها بمضمون الصلة ؛ ولأن مضمون الصلة هو الحالة المشبه بها في هذا التمثيل ؛ ولأن القرآن لم يذكر فيه بالاسم العلم إلا من اشتهر بأمر عظيم مثل جالوت وقارون.وقد ذكر من قصتها أنها كانت امرأة خرقاء مختلة العقل ، ولها جوار ، وقد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع و فلكة عظيمة على قدر ذلك ، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فتنقض ما غزلته ، وهكذا تفعل كل يوم ، فكان حالها إفساد ما كان نافعا محكما من عملها ، وإرجاعه إلى عدم الصلاح ، فنهوا عن أن يكون حالهم كحالها في نقضهم عهد الله ، وهو عهد الإيمان بالرجوع إلى الكفر ، وأعمال الجاهلية ، ووجه الشبه الرجوع إلى فساد بعد التلبس بصلاح"[2] .

[1]-سورة النحل،آية 92.

[2]- محمد الطاهر ابن عاشور ،التحرير والتنوير، دار سحنون،ج15،ص264.

وللألفاظ الدينية حظ كذلك في موضوع الاغتراب الديني فقد وظف الفيتوري نفس المعنى من ذلك قوله:المصحف الكنائس ،الحاخام ،النواقيس ، العباد ، النساك،وقد اقتبس إضافة إلى القرآن الكريم من الحديث النبوي الشريف،و إقباله على الشعر القديم و الشعر المعاصر العربي والغربي.
كما أنه لم يكتف بأخذ الألفاظ والمعاني فقط عن الشعراء بل تعدى إلى توظيف أسمائهم وألقابهم والاستشهاد بمقاطع من أشعارهم ويظهر ذلك في ذكره لفتحي سعيد والمتنبي فيما ذكرنا سابقا .

فهو يستلهم مضامين بعض القصص لتعميق رؤية معاصرة يراها في الموضوع الذي يطرحه أو القضية التي يعالجها،إذ يعزز الموقف من الرؤى والمفاهيم التي يطرحها في نصه،فقد استطاع ان يتبث وجوده من خلال إيمانه بقارته السوداء ومبادئ سار عليها ،وتوظيفه للرموز بطريقة قصصية مبدعة تحمل في طياتها رؤية وفكر شاعر عاش وعاصر الكثير من الأحداث والوقائع التي تجعله كفيلا أن يكون شاعرا يطبق ما يؤمن به.

والشاعر الحقيقي هو القادر على إعادة خلق المفردة وتحويلها إلى طاقة شعرية إيحائية كبيرة تنفتح على ثراء معنوي وتصويري لا حدود له،وقد كان تأثره كبيرا بشعراء كبار أمثال: **بودلير** و **ورد زورث** و**اليوت** إلى إيصال الشعر بلغة التخاطب أريد منه بالتحديد "المادة الغفل" في بيئة هذه اللغة على حد تعبير اليوت[1].

وهذه الإشارة التراثية يسميها الناقد محمد فتوح أحمد "الاعتراض بالموروث"[2]،وهو اعتراض لا يقطع السياق إلا ليؤكده،فالتراث يمثل"ضرباً من الرؤية الفنية يقوم فيه الحس التراثي مقام الرصد التاريخي"[3]،وما يميز القصيدة في هذا النسيج الدرامي أنها مد "الحركة والتحول والتطور"[4] .

وقد استعان الأدباء العرب بالتراث الإنساني بعامة والعربي بخاصة وتمسكوا به في أثناء وقوع الأمة تحت خطر يهدد كيانها،وقد كثرت الدراسات التي تناولت قضية التراث في الأدب العربي في فترة السبعينات، والتي تعد فترة التحديثات أمام المتغيرات التقنية والسياسية، حيث كثر استخدام الرموز التراثية بعد حرب 1967، لما أحدثه هذا التاريخ من تغير في حياة المواطن العربي،وتعود أسباب العودة إلى الموروث إلى غنى الإمكانات التي يتمتع بها التراث، وبسبب اكتسابه لوناً من القداسة في

[1]- محمد النويهي،قضية الشعر الجديد، مكتبة الخانجي، ودار الفكر، بيروت، ط2، 1971،ص22.
[2]- محمد فتوح أحمد ،واقع القصيدة العربية، دار المعارف بمصر، 1984م.،ص156.
[3]- نفس المرجع،ص 147.
[4]- نفس المرجع ،ص139.

نفوس الأمة،و وجداناتها فيضفي الأديب نوعاً من الأصالة الفنية على أدبه[1].

وبسبب من الغربة النابعة من شعور الأديب بما يسود العالم من زيف وتعقيد وتصنع تجعله قانعاً بالارتداد نحو الموروث القديم كي ينهل منه ما يريد فيتكئ على الرمز التاريخي لا ليقوله،بل ليضيء من خلاله العصر بالخوف والحروب والجوع، والمشبع بالنضال في سبيل الحرية والكرامة الإنسانية[2].

وهناك من النقاد من رأى أن الشعور بالاغتراب والتمزق ليس الحافز الوحيد الذي جعل الشعراء يستعينون بالتراث ،وإنما تأثرهم بالشعراء في الغرب،وقد حاول الناقد **عز الدين إسماعيل** أن يخفف من هذا الأثر الأجنبي في شعرنا فرأى أنَّ الإحساس بالغربة والضياع والتمزق نتجت عن فنون أخرى كما يسميها فيقول: "ولكن عبثاً نحاول ردّ هذه المعطيات إلى تأثر شاعرنا بالشاعر الغربي، وإنما هي في الحقيقة أثر لفنين أدبيين آخرين هما الفن الروائي والفن المسرحي، بخاصة الروايات والمسرحيات الوجودية التي ترجمت إلى العربية، ولدراسة (كولن ويلسون) عن "اللامنتمي" التي ترجمت إلى العربية"[3] لك نه يعود ليعترف بها فيقول: "ومع تسليمنا بتأثر شاعرنا المعاصر بهذه المحاور الوافدة فإنه لا يمكننا أن نحل الإشكال ببساطة حين نرفض هذه المحاور الجديدة في شعرنا المعاصر على أنها ليست أصيلة وليست نابعة من ظروف حياتنا الخاصة"[4] ،وقد كان تأثر **الفيتوري** بالشعر المعاصر عموما أهم رافد أثر فيه ،واستمد منه لغته ومعجمه الشعري وخدم أسلوبه الفني ككل.

[1]- ينظر علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص 18- 19.

[2]- خالد الكركي، رموز الرفض والثورة العربية في الشعر الحديث، مجلة دراسات، مج14، ع7، 1987، ص 120.

[3]- عبد العزيز ابراهيم ،شعر الحداثة ،ص194-195.

[4]- نفس المرجع،ص 194-195

5- جمالية الإيقاع في شعر الفيتوري :

عرفت القصيدة العربية تحرر من النمط الكلاسيكي بالوزن الواحد والقافية الواحدة إلى شكل جديد قد منحها إمكانات متعددة في هيكلها وأسلوبها ومضمونها،وذلك لاستيعاب مختلف التيارات الفكرية الفنية، واكتفى الشعراء بالتفعيلة الواحدة متحررين من القافية،وآمنوا بالقيم الموسيقية أنها غائبة من داخل القصيدة تتجه لإيقاع التجربة ذاتها[1] .

ينبني الشعر الحّر على السطر الشعري الذي يمثل تركيبة موسيقية ليست مرتبطة بشكل محدد بل هي خاضعة لما يرتاح له الشاعر يبنيها انطلاقا من التفعيلة،التفعيلة التي تعتبر أساس الميزان الموسيقي باعتبارها قائمة على التعدد بين الحركة والسكون اللذين هما في الأصل صوتان "وكما يقوم السطر الشعري على التفعيلة الواحدة يقوم كذلك على أكثر من تفعيلة ،حتى يصل في بعض الأحيان إلى تسع تفعيلات"[2].

ومن الإمكانات التي وفرها استخدام **التفعيلة** مثلا ، أن أصبح الإيقاع جزءا في بنية القصيدة التي تتشكّل من توترات نفسية في أنات زمنية تواكبها ، يقوم الإيقاع المتغير على حسب تلك الأناة باحتضان المناخات الانفعالية و خلق التلاحم العضوي في معيار القصيدة و هندسة بنائها اللغوي[3].

لذا فالشاعر في العصر الحديث صار في إمكانه أن يجّرب الأصوات المتباينة و يعيد خلق أصوات جديدة ، وبذلك أتاح نظام التفعيلة للشاعر إمكانات واسعة لاستخدام كل إمكانات الإيقاع الذي يقوم على التناسب والتتابع و تشكيلاته المعبرة عن الجو النفسي المطلوب والتعبير الموسيقي المناسب والملائم للموضوع ، باختيار عدد التفعيلات المناسب وربط التفعيلات ببعضها البعض وفق نظام تحدده التجربة الشعرية عبر قدرات الشاعر في الصياغة والتعبير[4] ،استطاع الشاعر أن يتحرك نفسيا وموسيقيا وفق الحركة التي تموج بها نفسه وهذا بعد تحطيمه للوحدة العروضية للبيت.

وهذا ما جعل الشعراء المجّددون يتجهون إلى الاستعانة بوحدة التفعيلة في القصيدة، ثم عدد التفعيلات في كل سطر و حرية الروي و النظر إلى القافية دون الالتزام بها،وبذلك أصبحت موسيقى الشعر تخضع للحالة النفسية للشاعر[5] .

---

[1]- ينظر رجاء عيد ، لغة الشعر ، قراءة في الشعر العربي المعاصر ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، ط 1، 2003، ص 133،134.

[2]- عز الدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر، ص85.

[3]- رجاء عيد ، لغة الشعر ، قراءة في الشعر العربي المعاصر ،ص 135 .

[4]-ينظر رمضان الصباغ ، في نقد الشعر العربي المعاصر ، ص 177.

[5]- ينظر أبو السعود سلامة أبو السعود ، الإيقاع في الشعر العربي ، دار الوفاء ، إسكندرية، 2002، ص 95.

ورغم أن السطر الشعري يقوم على التفعيلة، وإلا أن الإطار الجديد يعطي فرصة التنوع الموسيقي في الشعر و يجعله أكثر تنوعا وحرية .

ولعل الشعر المعاصر سعى إلى تشكيل موسيقى الشعر الجديد من خلال الجملة الشعرية ، وذلك تبعا للسطر الشعري القائم على بنية موسيقية خاصة تشكلها تفاعيل أقصاها تسعة ،فإن الجملة الشعرية أكثر من ذلك لأنها"بنية موسيقية أكبر من السطر،وإن ظلت محتفظة بكل خصائصه،فالجملة تشغل أكثر من سطر ،وقد تمتد أحيانا إلى خمسة أسطر أو أكثر"[1].

ولان الجملة الشعرية في أصلها مرتبطة بالدفقة الشعورية المختلجة في نفس الشاعر فإنها قد تطول وقد تقصر ،لذا لا ينبغي لنا أن نلزم الشاعر بحصرها في سطر شعري أو سطرين إ نما ذلك سيخضع لطبيعة هذه النفس ،وكان على الصورة الموسيقية أن تسايرها وتمتد بامتدادها وتنحصر بانحصارها.وهذا ما يفسره الطرح المنهجي الذي يشير إليه جان ديبوا dubois Jean عندما يقول "مع الجملة نترك إطار اللغة بوصفها أداة للتواصل. في هذا المجال تتوقف الجملة أن تكون موضوعا... وتصير وحدة فالجملة هي وحدة الخطاب"[2]،فالجملة الشعرية قد تسهل على الشاعر مسايرة نفسه ودفقته الشعورية حتى يعبر عنها أحسن تعبير إلا أنها لا تأخذ مكان السطر الشعري بأي حال من الأحوال ويمكن للشاعر أن يعتمدهما معا.

الإيقاع وقد تنوعت تعريفاته تبعا للمدارس التى تناولته وهو في :

اللغة:"من قولناوقع يوقّع بأصابعه.أي أحدث صوتا منتظما،يحدث انسجاما في السمع،ثم راحة في النفس.وليس البحث والتنظير إلا جزءا عما رسب في شعورنا منه"[3].

ويعد الإيقاع الشعري وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء فهو ليس حلية خارجية تضاف إلى الشعر،وإنما هو تعبير عما يجيش في النفس مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه لما له من سلطان عليها وتأثير فيه فالمعنى الشعري وموسيقاه يرتبطان ارتباطا حيويا وذلك"لان الشاعر يصل إلى حدود الوعي ثم يتجاوزها إلى عالم لا تستطيع الكلمات المنثورة أن تبلغه وإنما تبلغه الكلمات المنظومة. فهذا العالم الذي يتعدى حدود الوعي له معنى ولكن معناه يبلغه الشعر وحدة بكلماته ذوات الموسيقى" [4].

[1]- عز الدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر ،ص108.

[2]. -Jean Dubois e1 outs : Dictionnaires de - linguistique - ed: larousx pp. 158

[3]- محمد علوان سالمان ،الإيقاع في شعر الحداثة ،ص 13.

[4]- محمد النويهي ،قضية الشعر الجديد ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ط 2 ، 1978م،ص 20.

وبذلك كانت وجهات نظر الدارسين متعددة في الجانب الموسيقي وعرفه **محمد علوان سالمان** بأنه" تلك الظاهرة المعنوية التي تضج بالجمال والحياة،وتركّب الأصوات والألفاظ فيها بكيفية تكون حركتها معها مطابقة لحركتها"[1].

أما مفهومه عند **صلاح فضل** فينطلق فيه من المستوى الخارجي للأصوات فيقول:"أما البنية الإيقاعية فهي أول المظاهر المادية المحسوسة للنسج الشعري الصوتي، و تعلقاته الدلالية"[2].

يتضح لنا أن الأثر الذي تمارسه الموسيقى في النص الشعري يمتلك خاصية كبيرة من خصائص اللغة،وذلك بتأثيرها على الإنسان وأحاسيسه وعواطفه وما تسببه من توافق بين الموقف النفسي للشاعر وعالمه الخارجي،فتنساب الموسيقى في القصيدة فتحدث أنغاما تساعد على الكشف عن الحالة النفسية للشاعر أو تعبر عن تجربته الشعورية"وللإيقاع عناصر داخلية وخارجية فالعناصر الداخلية لها دور في إحداث الإيقاع وهي كل ما يتعلق بالنغم الداخلي المنبعث من القصيدة"[3].

وقد خضع تشكيل القصيدة الموسيقي إلى حالة الشاعر النفسية التي يصدر عنها ، فهي صورة من الإيقاع الذي يساعد المتلقي على تنسيق مشاعره و أحاسيسه المشتقة،وتكوين الإيقاع عند الشاعر ليس عملية سلبية، بل هو نتاج القدرة على السيطرة و التنظيم لوضع الكلمات في أفضل نسق أو نمط،فالسطر الشعري يكسب ضلالا وأبعادا جديدة وفقا للحالة الشعورية التي يشكلها الشاعر [4].

وموسيقى الشعر من أهم العناصر التي تشكل الصورة الفنية في التجربة الشعرية في صور مختلفة من قصائد وأبيات تتألف من جمل وكلمات،"ومن هنا كان الإيقاع الشعري خلقا واستجابة ،فهو قضية فطرية ،فالتجربة الوجدانية تصدر عن الشاعر ،وهي تحمل إيقاعها الصوتي الملائم لها ،والمتلقي يتقبل الإيقاع ولو لم يفهم معنى ما يقال"[5]،و يشكل كل منها صوتا موسيقيا خاصا يتناغم مع غيره .

الموسيقى الظاهرة:

والتي تمثلها النغمة الحاملة للغة الشعرية في انتظام ملائم مع حالة الكلمة في التركيب الشعري، وهذه النغمة هي الوزن الذي يمدّ اللغة بالكثير من الخصوصية التي يتميز بها الشعر عن غيره من الأنواع الأدبية. وتتفرع الموسيقى الشعرية إلى نوعين :

[1]- محمد علوان سالمان ،الإيقاع في شعر الحداثة ،ص26.

[2]- صلاح فضل :الأساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،د،ط ، 1998 ، ص28 .

[3]- خليل مرسي :الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهور، دمشق، ط4 ، دت، ص93 .

[4]- ينظر رمضان الصباغ ،في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية،2002،ط1، ص 172 .

[5]- محمد علوان سالمان ،الإيقاع في شعر الحداثة ،ص28.

فالأولى العناصر الداخلية و تتمثل فيما يلي :أسلوب التكرار سواء كان تكرار الحرف أو الكلمة أو العبارة أو حتى المقطع إن وجد، وطبيعة الكلمات المستعملة، وعلامات الوقف والترقيم بالإضافة إلى الأصوات و هو ما سنأتي على شرحه فيما بعد.

أما العناصر الخارجية للإيقاع فتتمثل في الوزن الذي يقول عنه **ابن رشيق القيرواني**:"الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية،وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"[1]،وثاني عنصر خارجي هو القافية بنوعيها المطلقة والمقيدة، وإذا حللنا طاقة الشاعر الإيقاعية في شعر الاغتراب وجدناها تتضمن نوعين من الموسيقى هما :

1-الموسيقى الخارجية .

2-والموسيقى الداخلية .

1-الموسيقى الخارجية (الإيقاع الخارجي):

1-الأوزان :

يشكل الوزن موسيقى الإطار الخارجي الذي يمنح القصيدة الالتحام، وذلك لأنه يمثل طاقة خارجية تنفصل عن الطاقة الداخلية للشعر مبتعدة عن مضمونها وصورها،"فالوزن والقافية ليس كل موسيقى الشعر، فالشعر ألوان من الموسيقى ونجدها من خلال الكلمات وما بينهما من تواؤم ،فهي تقوم على ترديد بعض الأصوات والألفاظ والتراكيب في حركة تتعانق مع حركة نفسه وانفعالاته فهو"الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق بين الكلمات ودلالاتها حينا أخر بين الكلمات بعضها وبعض حينا أخر"[2] فالوزن إذن أساسي في موسيقى الشعر،وجزء لا يتجزأ من الإنتاج الشعري،لان التجربة الشعرية والوزن لا يتجزءان أبدا منهما "يولدان معا في لحظة شعرية أنية فمجرد أن يتم التفريج عن أول خطوة لانبثاق القصيدة يكون الوزن قد تلبس التجربة اللغوية تلبسا لا فكاك منه"[3].

ولان الأوزان لم تأت في الشعر اعتباطا وإنما تفرضها حالات شعورية معينة ولدت مع الشعر وصحبته لتلاءم النغمة الشعورية،وتهز الوتر النفسي بانفعال شديد أو هادئ لتلاءم ما يبتغيه الشاعر"حين يريد أن يقول شعرا لا يحدد لنفسه بحرا بعينه وإنما يتحرك مع أفاعيل نفسه فيخرج الشعر في الوزن الذي يصرف له من الأوزان"[4].

---

[1]- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 ،2001،ج1،ص121.

[2]- إبراهيم عبد الرحمن محمد ،قضايا الشعر في النقد العربي، دار العودة ، بيروت ،ط 2 ،1981 م،ص 36.

[3]- عبد الكريم راضي جعفر،رماد الشعر،دراسة في البنية الموضوعية والفنية،للشعر الوجداني الحديث في العراق،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، د . ط، 1989 م،ص 332.

[4]- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي،مصر، ط3 ،1974م،ص 377.

والوزن:حسب ما تذهب **نازك الملائكة**"هو الروح التي تكهرب المادة الأدبية وتصيِّرها شعراً... فلا شعر من دونه مهما حشد الشاعر من صور وعواطف،لا بل إن الصور والعواطف لا تصبح شعرية بالمعنى الحق إلا إذا لمستها أصابع الموسيقى ونبض في عروقها الوزن"[1]، فالوزن "رغم أنه صورة مجردة يحمل دلالة شعورية عامة مبهمة، ويترك للكلمات بعد ذلك تحديد هذه الدلالة".[2]

فوطأة الاغتراب المكاني جعلت الشاعر يوظف الأوزان المختلفة ،والتي تكشف أنه يمر بتجربة عميقة مفعمة بالألم واليأس تمتزج بأدق الحالات النفسية وهو بعيد عن وطنه، فالشاعر إلى جانب غربته عن أرضه وأهله يعيش اغترابا نفسيا مؤلما بعد أن ابتعد عن أهله، تجربة يملاها الخوف والقلق فينقل هذه اللحظات المتأزمة إذ يقول **الفيتوري** :

أمـس جئت غريباً
وأمـس مضيت ..غريباً
وهـا أنْـتَ ذا حيثما ..أنـت
تـأتـي ..غـريـبـاً
وتـمـضـي ..غـريـبـاً
تُـحدَّق فـيك وجـوه ..الدُّخَانِ

فالحالة الشعورية التي تطالعنا في القصيدة تعكس واقعا مؤلما جعل الشاعر ينظر بعين الحزن والمرارة الى ما تصير الأحداث في واقعه ،فصور حالته القلقة ،بما يلاءم مختلف حالاته النفسية ويعطيه حرية اكبر للتعبير عن انفعالاته.

والاغتراب النفسي مجسد للانفعالات التي اعتملت في صدر الشاعر ،ويظهر في معاناته وقلقه وحزنه المؤثر هذا الانفعال الوجداني المفعم بالألم الشديد والحزن، جعله يفصح عن مشاعر الاغتراب والضيق في أعمق تعبير،وقد كان واضحا من خلال استعماله ،وبذلك حملت تلك المعاني والألفاظ واستكمال الصور المعبرة بكل جزئياتها وتفاصيلها،وكذلك لما يجده من انسجام مع حالته النفسية وهو يعيش التجربة الشعرية .

[1] - نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، 1983م،ص 238.

[2] - عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، القاهرة، مكتبة غريب، دار غريب للطباعة، ط4، 1977م.ص51.

2- القافية :

إن الحديث عن الأوزان يقودنا للحديث عن القافية بل إن الوزن كما يقول ابن رشيق "جالب لها بالضرورة"[1]،وهي"شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية"[2] وتأتي أهمية القافية ليس لما تشكله من قيمة جمالية للجوانب الموسيقية بل لان دورها تأكيد المعنى باعتبارها النهاية، وهي نابعة من الحاجة النفسية والضرورة المعنوية، تعتبر القافية قيمة موسيقية بوصفها "عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات...وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية"[3].

فالقافية في الشعر الحر ببساطة نهاية موسيقية للسطر الشعري ،وهي أنسب نهاية له من الناحية الإيقاعية . ومن هنا كانت صعوبة القافية في الشعر الحّر،وكانت أيضا قيمتها الفنية"[4].

فقافية الباء عكست بهذا الثقل إحساسه بالألم والانفصال وحركة الضم هنا أضافت ثقلا إضافيا إلى حرف الباء وهذا يحيل الحزن إلى ظاهرة صوتية فيها المعاناة النفسية شديدة فالباء حرف انفجاري مجهور وشديد وكأنه وجد فيه متنفسا لحزنه ،ولإحساسه بألم من شدة الحزن الذي تسرب إلى الشاعر والانسجام المنبثق من استخدم القافية التي تعبر عن الصوت الحزين الذي يطغي على كل شيء يدور حوله في وضوح جرسها الصوتي كما فيها من نبرة حزينة توحي بشكواه من فراق الأحبة وفقدانهم، ولأنها "ركن مهم في موسيقية الشعر الحر... تثير في النفس أنغاماً وأصداء. وهي فوق ذلك فاصلة قوية واضحة بين الشطر والشطر، والشعر الحر أحوج ما يكون إلى الفواصل"[5].

ونجد أن الإيقاع والقافية يجعلان من الإحساس بالفقد ظاهرة صوتية ملموسة يضاعف من ذلك الحزن والمعاناة النفسية الشديدة التى توحي بالانكسار.

إننا لا نعدم حيوية القافية التي جاء الاغتراب المكاني مجسدا فيها للانفعالات،فنجد أن القافية حملت وقعا اكبر لمجانسة حالة البعد والغربة ،وقد بنى الشاعر قافيته على حرف النون في قصيدة **"هوانا" يقول:**

---

[1]- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(390 – 456 هـ)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،حفظه ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل،ج1، ط 4 ، 1972 م ،ص 134.

[2]- نفس المصدر،ص 134 .

[3]- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م. طبعة دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت،ص273

[4]- رمضان الصباغ ،في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ،ص180.

[5] - نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، 1983م ،ص 192.

الهوى كل هوى دون هوانا

نحن من أشعلت الشمس يدانا

والخُطى مهما تناءت أو دنت

فهي في دورتها رجع خطانا

وإذا التاريخُ أغنى أُمَّةً

بشهيدً فأُلوف شهدانا

وإذا الثورة كانت بطلاً

يطأُ الموت ويحتّل الزمانا

فلنا في كُلِّ جيل بطْل

مجدهُ يحتضن المجد أحتضانا

عربٌ نحن .. وهذا دمنا

يتحدى في فلسطين الهوانا[1]

فجاءت القوافي متلائمة مع الوزن الشعري وحالة الشاعر النفسية،ولتقوي أيضا الائتلاف بين اللفظ والمعنى وتضفي على القصائد تلك النغمة الحزينة التي تبدو وكأن المعنى يتطلبها والقافية جزء هام وفي الشعر الحرلا يُبحثُ عنها في قائمة من الكلمات التي تنتهي نهاية واحدة، وإنما هي كلمة ما من بين كل كلمات اللغة يستدعيها السياقان المعنوي والموسيقي للسطر الشعري"[2]،فانسجام المعنى مع المستوى الصوتي يعزز دلالة المعنى ويمنحها أبعادا جديدة،والقافية في هذه القصيدة اشتركت في حرف النون والتي منها: **هوانا ،يدانا، دنت ،خطانا شهدانا، الزمانا ،أحتضانا، دمنا**...الخ وكلها انتهت بألف مد تعبر عن ألم الشاعر ،وفي قصيدة **الى نيلسون مانديللا** يقول:

ساكنٌ أبداً في ..طقوسك

مثل إلاه ..قديم

يُرصعه ذهب ..الشمس

يا أَبنُوس الخريف ..الجنوبي

---

[1]– محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص118-119.

[2]– عز الدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار العودة، ط3، 1981،ص67.

كيف جلال ..الشهادة
!إن لم تكُن ..أنت
تولد في..الموت
تكبر في الموت
تطلع حقل نجوم على حائط الموت
تُصبح أوسمةً من بُروقٍ
وعاصفةَ من ..غناء
وغاباً عظيماً من ..الرقص
أذهلتني في ..نضالك
تدمغ أعناق من ..دمغوك
وتسجن في العصر من ..سجنوك
وأنت سجين ..هنالك
أغرقتني في ..اكتمالك
ماندييللا
ماندييللا[1]

في هذا المقطع من القصيدة نجد أن الحركة الإيقاعية تبدأ بثلاث تفعيلات في السطر الأول وفي السطر الثاني تفعيلتين ،وفي السطر الثالث ثلاث تفاعيل وهكذا تطول التفاعيل وتقصر وفقا للحالات الشعورية التي ينقلها الشاعر ،فالحركة تتراوح بين الحركة السريعة ،والطويلة حتى يهيئ الجو النفسي،وقد كانت قوافي القصيدة:"طقوسك،قديم،الشمس،الجنوبي،الشهادة،أنت،،الموت،الموتللبُ بروقٍ، غناء،الرقص،نضالك،دمغوك،سجنوك،هنالك،اكتمالك ،ماندييللا"،فنلاحظ اختلاف الروي الذي تعدد بين الكاف الميم السين الألف،الصاد،الهمزة،القاف والتاء،وذلك لان نفسية الشاعر في مقام مدح وإعجاب بشخصية **ماندييللا** المناضل ضد التمييز.

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ، ص38،39.

2-الموسيقى الداخلية (الإيقاع الداخلي):

يعتبر الإيقاع الداخلي تلك الإحساسات الخاصة بالأصوات،والألفاظ،والتراكيب، بحيث تكون مؤثرة في النص وقادرة على خلق الدلالات الجديدة التي تنطلق من سياق خاص ،فالموسيقى الداخلية هي التناغم الذي يتم في السياق بين الكلمات و الحروف[1]،ومن الأداءات التي يلجأ إليها الشاعر لضبط إيقاعه الداخلي: التكرار بأنواعه المتعددة،كتكرار الأحرف، تكرار الكلمات أو العبارات،وحتى تكرار مقطع بكامله،وما يوصف بتكرار اللازمة،وهذا ما يلهب إحساس القارئ أو السامع بهذا الإيقاع،فالتكرار أضفى على الأداء الشعري موسيقى أكثر وضوحا ممّا يتيحه الوزن،وهو من جانبين هما: "اختيار الكلمات وترتيبها،والمواءمة بين الكلمات والمعاني التى تدل عليها"[2]،فمثلا إيقاع الأصوات المهموسة (السين والشين والصاد) في قول الشاعر في "**قصيدة الرياح**" :

تسكن صورتها الفلكية

لكن شيئا على سطحها قد تكسّر

ربّما ظل بستان صيفك

أبيض في الصيف

لكّن برق العواصف

خلف سياجك أحمر

ربّما كان طقسك ،نارا مجوسيّة

في شتاء النعاس الذي لا يفسّر

فتواتر صوت" السين والشين والصاد "خمس عشرة مرة استطاعا أن يشي بدلالة ترتمي في أحضان الوحدة والغربة، ومثل ذلك الترتيب الإيقاعي قاد إلى تحويل الانفعال إلى طاقة صوتية هامسة تمتاز بالجهد -كما يقرر علماء الأصوات- أو أنها مُجهدة للتنفس، لأننا نحتاج إلى كمية من هواء الرئتين أكبر مما تتطلبه الأصوات المجهورة[3]،ولان الشعر الذي بين أيدينا يفيض بالألم وعمق المعاناة فجاء بنغمات حزينة عبرت عن حالته النفسية التي طبعها الحزن وخنقها الألم،ولجأ الشاعر إلى وسائل عدة

[1]- ينظر محمد عبد الحميد ، في إيقاع شعرنا العربي و بيئته ، دار الوفاء ،الإسكندرية ، ط 1، 2001، ص 15 .

[2]- حسين محمد عارف ،وعلي محمد حسين:دراسات في النص الأدبي في العصر الحديث ،دار الوفاء للطباعة والنشر ،ط1998،4،ص13.

[3] -ينظر إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م. طبعة دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت،ص27.

لخلق هذا التالف والانسجام أو لخلق هذه البنية الموسيقية معتمدا التكرار بأنواعه (تكرار الحروف والألفاظ والجمل والعبارات) والجناس أما بقية صور ومظاهر الموسيقى الداخلية كالمقابلة والطباق والترصيع فإنها تكاد تختفي من مقطوعات الاغتراب في أشعاره.

1-التكرار:

ويعد التكرار من أبرز صور التناسق الجمالي في ظاهر الأشياء وذلك لما يحقق من انسجام،فتكرار الوحدات الجزئية وتناسقها يشكل بأنواعه المتعددة قيمة موسيقية مهمة في الشعر ويساهم في تأكيد المعنى والصورة،فالتكرار"إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها"[1]،وذلك عندما يرمي الشاعر إلى إيصال فكرة ما،أو أن يكون تكراره انعكاسا لأمر نفسي يدفعه على نحو غير واع إلى تسليط الضوء على نقطه حساسة"ومن المعلوم أن التكرار الصوتي صفة جوهرية من صفات الشعر لا تتاح في النثر،وهي تؤدي وظيفة جمالية تكثيفية للإيقاع،كما تتيح شد انتباه المتلقي و التبئير على وظيفة الاتصال معه"[2].

ولهذا فالتكرار أساسي على مستوى الإيقاع وعلى مستوى الدلالة ،وفي قصيدة **التراب المقدس** التكرار وظيفي لأنه متعلق بالمواقف والنظرة التي يتبناها **الفيتوري**،كما أن ظاهرة التكرار التي انتشرت لها من الدلالات المعنوية ما يجعلها تتخطى وجودها اللغوي ،فالتكرار"فضلاً عن كونه خصيصة أساسية في بنية النص الشعري [فإن له]دوراً دلالياً على مستوى الصيغة والتركيب"[3]،لأن طوله مكرراً قد لا يحتمله القارئ ،ومن هنا كان إحساسنا بطاقة 'التكرار المتراكم تأكيداً على الحدث والزمن بصوت الفعل نفسه"[4]، فالتكرار من الأساليب الشائعة في الشعر العربي والتي ارتبطت باللغة وجسدت السبب النفسي للشاعر المغترب، لان الهدف الرئيس من التكرار تقوية ناحية الإنشاء ،والتي منها العواطف كالحنين ويعتقد **ابن رشيق** أن "أكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني"[5]،كما أن ورود التكرار في القران الكريم دليل على قيمة أدائه.

---

[1]- نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط 2 ، 1965 م،ص242.

[2]- أحمد قنشوبة ،البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية منطقة شمال الصحراء أنموذجا ،ص298-299.

[3]- مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حربي وشركاه، 1987، ص147.

[4] -نفس المرجع ، ص159.

[5]- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(390 – 456 هـ)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ص73-74.

فالتكرار إذن يربط بين الأداء الفني للعمل الأدبي والحرمان النفسي للشاعر وأن النقطة الأساس في التكرار تنبثق من حالة الشاعر النفسية محاولا بها إظهار عواطفه، فيمتد ليمارس أثرا وظيفيا في تحقيق أعلى إثارة ممكنة في نفس المتلقي وروحه "لأن تكرار المقطع يستدعي وعيا خاصا من الشاعر"[1]

ومع قدرته على نقل إيحاءات المعنى الذي قصده الشاعر، فالتكرار نغمة موسيقية تحرك المتلقي نفسيا،ومن خلال هذا الربط تتحدد القيمة الفنية للنص الشعري ليكون التكرار صوتا معبرا عن المشاعر الخاصة أو صوتا معبرا عن وجدان الشاعر الذي أودعه في النص الشعري أو نتيجة للصلة أو الربط النفسي بين المتلقي والشاعر،"ويتجلى التكرار في النص الأدبي باعتباره إحدثا لمبدأ التنظيم على المستوى الموقعي، نعني التنظيم عن طريق التكافؤ."[2]

غير أن وظيفة التكرار لا تقف عند هذا الحد،ذلك لأنها تخدم النظام الداخلي للنص وتشارك فيه، "و هذه قضية هامة بحيث يستطيع الشاعر بتكرار بعض الكلمات أن يعيد صياغة بعض الصور من جهة كما يستطيع أن يكثف الدلالة الإيحائية للنص من جهة أخرى"[3].

وقد كان توظيف **الفيتوري** لأسلوب التكرار في شعر الاغتراب عن طريق :

1-تكرار الحروف 2- تكرار الألفاظ 3- تكرار الجمل له أنواع

وقد تنوعت أنماطا التكرار التي وظفها ،**الفيتوري** في ديوانه ،و لعل دراستنا لهذه الظاهرة ستقتصر على تتبع الظاهرة في بعض قصائد الديوان .

1- تكرار الحروف :

إن الحروف العربية معروفة في عددها وترتيبها ،ولها دلالاتها الخاصة حين تتألف في عبارات وتراكيب مشكلة تدفقا موسيقيا ،وبذلك تكون لها القدرة على تقوية الدلالة وتدفعها إلى الأمام فـ"تردد بعض الحروف يكسب الشطر لونا من الموسيقى تستريح إليه الأذان وتقبل عليه ،ومثل هذا مثل الموسيقى حيث يتردد فيها أنغام يعينها في مواضع خاصة من اللحن فيزيدها هذا التردد جمالا وحسنا فليس تكرار الحروف قبيحا إلا حين يبالغ فيه وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيرا،فالمهارة هنا في حسن توزيع الحرف حين يتكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته"[4]،ولا شك أن هذا يتناسب مع حالة الشاعر الانفعالية فربما ترتبط هذه الأصوات بدلالات

[1]- مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث،ص164.

[2]- يوري لوتمان ،تحليل النص الشعري ،ص63.

[3]- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة . تر . كمال بشر، دار غريب للنشر.،ط12. القاهرة،(دت) ،ص 55 .

[4]- إبراهيم أنيس ،موسيقى الشعر ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط 3 ، 1965 م،ص41.

النص الشعري ارتباطا يتلون بتلون العاطفة من ألم وحزن،" فهو ظاهرة لغوية من حيث اعتماده في صوره البسيطة والمركبة على العلاقات التركيبية بين الكلمات والجمل، وهو يعد وسيلة بلاغية ذات قيم أسلوبية ، والمراد بالتكرار هو إعادة ذكر كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع أخر أو مواضع متعددة "[1].

فالجانب الصوتي في الشعر عمل على إزالة الغموض عن حالة الشاعر الشعورية ويكشف عن انفعالاته ،وفي هذا المستوى تنبثق الأصوات لتحكي لنا عن دلالاتها من خلال نسجها الصوتي الذي توجد فيه ،و **الفيتوري** يفصح بالأصوات عن دلالاته، ومثل هذا نجده في تكرار صوت –الهاء– في قصيدة هوانا.

فالأصوات التي تكررت هي(الهاء) إذ تكررت ثمانية عشر مرة،والواو ستة وثلاثين مرة، والألف التى كررها مئة وخمسة وعشرين مرة ،ولقد كرر **الفيتوري** هذه الأصوات داخل نسيجه الشعري بما يتلاءم وما يصبو إليه من تعبير يجسد به حالته النفسية المضطربة ،وهي أصوات مدّ و همس تكشف عن ألمه وتوافق حالة الاغتراب النفسي التى يحسها ،وفي قصيدة "**يأتي العاشقون إليك يا بغداد**"تتكرر القاف حيث وردت سبعة وسبعين مرة، فالقاف يؤدي وظيفة صوتية دالة على حالة اضطراب الشاعرة فهذه الأصوات حول الانفصال الكامن في نفسه إلى طاقة صوتية هامة تمتاز بالجهر وفضلا عن هذا،فحرف القاف الحلقي قد ساعد على تصاعد الجرس الموسيقي في القصيدة، وجلجلة الإيقاع الداخلي فيها للتعبير عن تشنج **الفيتوري** ،وإن تكرار هذه الأصوات أسهم في إظهار المعنى والصوت في وقت واحد فتكراره يشعرنا بحالة القلق والاضطراب التي يعيشها الشاعر،ويعتبر"أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها."[2]

فالقاف صوت مجهور وتكراره مرات داخل نسيجه الشعري بما يتلاءم وما يصبوا إليه من تعبير يجسد به حالته النفسية بإزاء ما يريد، فضلا عن هذا حول الانفعال الكامن في نفسه إلى طاقة صوتية، فنطقت معبرة عن مأساة الفراق وألام القهر،فتكراره أسهم في إظهار المعنى والصوت في وقت واحد،ولعل **الفيتوري** كان مدركا أن صوت القاف يحدث جرسا صوتيا وإيحائيا واضحا لذا عمد إلى تكراره.

وقد عمد الشاعر إلى تكوين تجمعات صوتية متماثلة أو متجانسة،كتكرار حرفي –النون والسين – ليخلق جوا موسيقيا مؤثرا وهذا ما برز في قوله:

[1]– رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، ط1،الإسكندرية ، 2002، ص211 .

[2]– نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر،ص243.

((إنِّـي رَأيـتُ .. رِجـالاً
بَـنَوا مِنْ حِجَارة تارِيخِهِمْ وطناً
فَـوْقَ حائِـط بَـرْلين
وأنْـحَفُروا فيـه
ثـم تَـوَارَوْا وَرَاء..السِّنين
لكْيُ تَـعكس رَايَـتَهُ الَمجْدُ يوماً
علـى قُـبَـب الميـتِّيْن
وكـيلاَ تَـدُوَر على الأَرْضِ
نَـافِوَرَةُ الـدم والياسمين!))[1]

السين وهو يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان،فينحصر الصوت مولدا صفير السين العالي مع كونه صوتا مهموسا رخوا بمقابل صوت (النون) الذي نراه يتردد في المقطوعة،أيضا وهو من الأصوات الذلقية الذي استطاع أن يترك آثرا واضحا في تصعيد التوقيع الموسيقي إلى درجة تبلغ الإثارة،الأمر الذي يفضي إلى خلق ظلال نغمية متشابكة،فقد أسهم هذا الصوت في خلق محور صوتي يثير في المتلقي الإحساس بالألم والحزن المنبعث من ألم الشاعر وحزنه، فالنون والسين جاءا يحكيان حالة الشاعر غير المستقرة،فهذان الصوتان بما يمتازان بهما من صفات،عملا على خلق شحنات انفعالية تراكمت على امتداد المقطوعة كما وجد الشاعر متسعا له في المد "الألف"الذي كان بمثابة صرخة عالية للتنفيس عن هذا الشعور الحزين والألم ،فالأصوات حركت الدلالة ودفعته إلى الأمام فالتضييق والتشدد الذي التزمه في تكراره "الألف"وهو انعكاس للضيق والحزن الذي يعانيه الشاعر، وكل هذه التكرارات بمثابة نغمة تصور المشهد بكامله وتعبر عن جو القصيدة،وعلى اعتبار أن"الموضوع "يتحدد بحسب تكراره وثباته عبر متغيرات النص ،فإن النقد الموضوعاتي يخضع لهذا القانون،قانون التوفيق بالمطابقة"[2].

فنلاحظ في هذه المقطوعة تكرار حرف الألف تسعة عشر مرة، بتكراره مرة فما فوق في كل بيت مما أدى إلى تجاوب الأحرف المكررة داخل الأسطر ممثلة في حرف الراء إحدى عشر مرة و النون اثني عشر مرة فشكلت بناءا هندسيا منظما هيمن على موسيقى هذا المقطع نتبين أن النون والراء والألف

[1]-محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص 24.

[2]- دانييل برجيز وآخرون ،تر رضوان ظاظا،مراجعة:المنصف الشنوفي ،مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ،مجلة عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،صدرت السلسلة في يناير 1978، بإشراف أحمد مشاري العدواني ،ص106.

وقد تكررت في:رأيت-رجالا-بنوا-برلين-انحفروا-تواروا-السنين —نافورة-الميتيين-الأرض.

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الياء مكررة في قوله:إني —رأيت-تاريخهم،كما نلاحظ في السطر تكرارها أربعة عشر مرة ،فهي تنسجم انسجاما كبيرا مع غربته عن أهله وأصدقائه فتزيد بذلك المعنى تركيزا وتأكيدا.

كذاك تكراره للحروف بمعانيها المختلفة ففي قصيدة"**إنها مصر**"تكررت"إنه" ثمانية مرات،وذلك لغاية التوكيد،وخدمة الجانب الإيقاعي وعليها جاءت في صدارة الأسطر الشعرية،وفي قصيدة **يأتي العاشقون إليك يا بغداد** تكرار حرف الشرط "لولا" ثلاث مرات لتدل على الشرط والتأكيد. تكراره لحرف الاستفهام"هل"عشر مرات ليفيد دلالة الثورة والغضب.

كما نلاحظ كثرة الحروف المهموسة في سياقات عدة ومواضع متعددة من الديوان،ومن هذه الحروف المهموسة"أ،ت،س،ش،ق،ك،ه،ط،ح،خ" و المهموسات تصلح للتعبير عن ما لا يرى بالعين المجردة، وقد يكون التكرار تكرارا لحرف واحد للتعبير عن المشاركة والأخذ بأسباب الحياة والتي افتقدها الشاعر في لحظات من حياته،والتي تمر به وهي تنفجر شوقا وعاطفة.

2- تكرار اللفظ:

إن تكرار اللفظ يساعد الشاعر على نقل جو التجربة الشعرية التي مر بها إلى المتلقي، لأن للتكرار وظيفة نفسية تأثيرية و يمكن للشاعر من خلاله أن يبلور موقفه وحالته التي يعيشها،وفضلا عن هذا فله أهميته في إحداث تنغيم موسيقي،وقد يفقد قيمته الفنية إذا كان وروده من دون ضرورة تستدعيه،إذا لا بد من وجود دافع شعوري أو موضوعي لتكراره، أما تكرار الفعل فاخترنا نموذجا من قول **الفيتوري** :تكراره للفعل"كان"في كل قصيدة تقريبا ، وفي قصيدة **ليس طفلا وحجارة** تكراره للناسخ"ليس"أربع مرات ،حيث تكرر الناسخ عشر مرات حتى يؤكد انتماء الفلسطيني الذي هضم حقه في نظر أعدائه.

تكراره للناسخ "كان" في مقاطع كثيرة من الديوان حيث كررها ستة عشر مرة في قصيدة **وقال مسعود الحكيم**،و ذلك لتدل على الماضي و التأكيد على انقضاء الحدث و زواله.تكراره للفظة الصاعد ثلاث مرات لتأكيد على اجتماعهم على هدف واحد.

وقد ارتبط التكرار بالجو العام وهو جو بكائي وإلحاح الشاعر على تكرار الفعل الناقص "ليس" عشر مرات له أبعاد نفسية عميقة عكست صدى صوت الحسرة والألم المتأججين في أعماقه، فيكشف عن حزنه من خلال تكثيف التكرار بما يوافق متطلبات الحاجة النفسية للشاعر،فالموقف

الحزين ينمو به نحو التكرار مما خلق لفظة لازمة له، لا يستطيع تركها تشعرنا بالنواح والبكاء،فالحالة النفسية الداخلية هي التي صبغت القصيدة بهذا الإيقاع الداخلي ليأتي التكرار طاغيا على تفكير ارتبط بهذه الألفاظ، إذ أن المتلقي يتفاعل مع الشاعر فيوقعه في وضع نفسي وشعوري مشابه لوضع الشاعر بحيث ينجح في تحقيق أعلى إثارة ممكنة في نفس المتلقي وروحه.

ومن التكرار اللفظي في **قصيدة الرياح** تكرار الفعل"كان" مرتين،والاسم "باب" تكرر مرتين،وتكراره المدينة **بوخاريست**،تكرار الفعل "تعرف" ثلاث مرات بنفس الدلالة لغاية التأكيد على معنى محدد هو الجهل و الظلم،و إنكار للحقوق.

وفي قصيدة **التراب المقدس** تكرار لفظه "متعبة" مرتين لغاية إظهار العجز كمظهر اغترابي دال على معاناة الشاعر،وفي قصيدة **يأتي العاشقون إليك يا بغداد** تكراره للفظة "فاحلمي" مرتين،على سبيل الأمر وهذا التكرار كان لغاية تأكيد المعنى وتوضيحه.

كذلك التكرار الاشتقاقي الذي "يتم بين الكلمات المشتقة من نفس الجذر اللغوي والتي لا تختلف إلا في بنيتها الصرفية بالقياس الى بعضها كما"[1] : نجد في قصيدة **المتنبي**"زمانك،زمانهم"،"مماليكا- الملوك- ملوكها،"خائن-خان"،"فتى-الفتى" ،"أختي-أخا"،وفي قصيدة **إلى فتحي سعيد** تكرار لفظة "صوت- صوتك-يبقى—تبقين" تكرار الأفعال "تعامت" تكررت ثلاث مرات"،وفي قصيدة **مقام في مقام العراق** "الزمان-زمانك" تكرار أسماء المدن **العراق** أربع مرات،تكرار كلمة "وطن" مرتين للدلالة على الهوية التي ضاعت منه.

والتكرار في قصيدة "**هوانا**"للكلمات"الهوى-هوى-هونا"-وفي قصيدة **بقدر ما تسع السماء** "سقوط يتساقطون"،والفعل "يخن،خانته" وكذلك "سجنوك،سجينا المسجون، تسجن"في قصيدة **ليس طفلا وحجارة**،والتكرار في قصيدة "**ركعتان للعشق تحت شمسها**"لفعل الأمر "قل" ثلاث مرات،وللفعل المضارع "تبقى" خمس مرات لتأكيد حقيقة الانتماء،"قل" أفادت الإخبار والتحدي و"تبقى" أفادت الثبات والصمود،تكرار للفظة "كلهم" أربعة مرات في قصيدة "**ذات يوم** " لغاية التكرار،وفي قصيدة **المماليك** "الموغل- إيغالك" ثلاث مرات للدلالة على الاستلاب.

والتكرار لكلمة "الآن" الدالة على الزمن تكررت ثلاث مرات،"الوصل—الوصول"،الحديقة، الزيتون مرتين،تكرار الفعل الماضي"مرت"ثلاث مرات ، تكرار العدد(ألف) أربع مرات،تكرار لفظة "عاريا" في القصيدة مرتين،مرة بمعناها الحقيقي ومرة بمعنى مجازي هو الهوية و الانتماء ،تكرار كلمة المجوس مرتين.

[1]- حسن الغرفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق ،2001،المغرب ،ص92.

وفي قصيدة "**إنها مصر**" تكرار لفظة "السماوات"مرتين،"الليل" مرتين،"الشمس" مرتين "الضباب" مرتين،وهذا التكرار ضروري لأنه يحقق الانسجام ويرسم المشهد السردي بدقة.

وذلك لأن استعمال مفردات معينة عند شاعر معين يكشف عن حالة نفسية معينة ،ولهذا وجدنا أن **الفيتوري** معجمه الشعري الذي كان حصيلة تكوينه الثقافي، وقدرته الخاصة في اختيار المفردات التي تعبر عن معاناته واغترابه.

3- تكرار الجمل:

إن الوظيفة النغمية لتكرار الجمل تؤدي إلى تركيز ذهن المتلقي على معنى معين وهذا يحدث عندما يكون الشاعر قد صب في جمله الشعرية عاطفته الحزينة،فيصبح التكرار وسيلة الشاعر لتفريغ انفعالاته وتوتره،إن تكرار جملة" لم يتركوا لك ما تقول"في قصيدة "**يأتي العاشقون إليك يا بغداد**" تسعة مرات ارتبط بحركة الانفعال الداخلي وشدته،وهذا التكرار انبثق عن موقف نفسي متأزم سببه البعد والاستلاب والعجز من الظلم السائد،لذلك جاء يحمل شحنات انفعالية تكاد تحكي لنا معاناته، فهذا الإيقاع الداخلي ينشر أجواء من رفض الظلم والصمت القاتل،فهذا الوقع الموسيقي تعبير ذاتي عن رغبة الشاعر،لأنه يعيش تجربة وتتفاعل معه لتخلق جوا من التوافق النفسي بينه وبين عالمه الخارجي برنة إيقاع ونغمة موسيقية متكررة.

وهذا التكرار لون من الإشباع لانفعالات الشاعر،لان تكرار المعنى التفصيلي ارتبط بالحزن والعجز الإنساني،فالصمت وعدم القدرة والعجز عن الكلام يحدد علاقة انفصال الذات عن العالم الخارجي في، وليس عجزا سلبيا بالمعنى الحرفي لأنه عبر عن رفض الشاعر للاستكانة والرضوخ من خلال تكراره "للنفي الجازم لم +الفعل المضارع"مؤكدا حالة الحزن لذاته و أراد إثبات وجوده غير الموجود فالتكرار هنا إنما هو رنة لفظية قوية كررها الشاعر ليدلل بها الكلام ويبالغ في جرسه .

عند تتبعنا لهذا التكرار في الجمل الشعرية نجد ألم الشاعر وحزنه العميق اللذان يصدران من معاناة حقيقية،فاستطاع التكرار أن يخلق معادلا للانفعال المتولد في أعماق نفسه،فقد حاول أن يثبت وجوده بتكراره جملة "ابق مكانك" ثلاث مرات في قصيدة **إلى نيلسون مانديلا**،وبتكراره لجملة"وسد ألان رأسك"في قصيدة **التراب المقدس**،فيصر على تغليب اعتزازه بذات **مانديلا** وإثباتها لذا تمسك بتكرار اسمه **مانديلا** "لا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشوق والاستغراب"[1]، وكأنه يخرج

[1]- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(390 – 456 هـ)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ص74.

مع كل نفس من أنفاسه كما أن تكرار هذا الاسم على مستوى المقطوعة يخلق حالة انسجام إيقاعي متواتر يجعل الأذن تستسيغه ،ويجاهد لبقائه في العالم الواقعي لأنه استطاع أن يتجاوز اغترابه .

وقد لمسنا عدم تعمد الشاعر إلى اصطناع التكرار،وإنما جاء بصورة عفوية،وأحيانا متعمدة استحوذت على الإحساس الشاعري لتترجم صدى نفس الشاعر و لعاطفته التي تؤكد جانبا ذا أهمية في ذات الشاعر مما يستحق هذا التكرار، ولا شك أن الاهتداء لظاهرة التكرار إنما هو محصّلة إحصاء ف" المجموعة اللغوية التي تتردّد مفرداتها بكثرة لابدّ وأن يكون لموضوعها أهمية متميزة بالمقابلة مع الموضوعات الأخرى ..والعكس صحيح، إذ إن اهتمام الشاعر بموضوع ما لابدّ أن يدفعه إلى الدوران في حومة المفردات التي تعبّر عنه"[1].

ومن أنواع التكرار التى وجدناها التكرار النمطي يعد هذا النوع من التكرار من بين التقنيات التى لجأ إليها الشعراء في العصر الحديث و التكرار النمطي "هو الذي تكرر فيه اللفظة أو العبارة دون تتغير في معناها أو مبناها"[2].و من الأمثلة على هذا النوع من التكرار نجد قوله:

ربما لم تزل

ربما ظل

ربما كان

ربما كنت[3]

التكرار لعبارة"ربما+الفعل الماضي الناقص"الذي خدم الموسيقي الداخلية من خلال تقديم القالب.

التكرار نمطي (به تكرار للكلمة بمعناها و مبناها و هو تكرار لغاية تشكيل الخطاب الشعري من ناحية التراكيب النحوية في (كان)آية)و من ناحية القافية في (الباب).

التكرار في "**قصيدة الرياح**" الأولى كان لغاية التقرير ،و في التكرار الثاني "بوخاريست بلادي أنا" لغاية تحديد الانتماء ، أما في عبارة (بوخاريست بلادي)فكان لغاية الحديث عن الوضع المشابه بين الواقع في السودان من ظلم و قهر و يشير الى الحريق المهول الذي شب في مدينة بوخاريست .

وعبارة "في بوخاريست "التى تكررت مرتين فقد حملت دلالة الثورة والتغيير الذي كان في هذه المدينة،و الذي سيكون في بلاده السودان .

---

[1]- حسن عبد الكريم،الموضوعية البنيوية دراسة في شعرالسيّاب المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ،1403هـ، 1983،ص33.

[2]- حسن الغرقي،حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ، ص49.

[3]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك، ص16.

و من العبارات التى تكررت كثيرا في قصيدة **التراب المقدس** نجد عبارة (وسد الآن رأسك) فقد تكررت ستة مرات بنفس الدلالة و هي دعوة الشاعر الى التمسك بالأرض التراب و عدم التفريط فيها لأنها تمثل القداسة،كذلك تكراره لعبارة "ثمة من" لغاية الربط بين المعاني وحصرها وتحديد المقصود بالخطاب ،تكراره لظرف المكان قبل المقترن بكاف الخطاب "قبلك" ثلاث مرات حتى يدل على العودة الى الماضي و الاعتبار مما سبق .

عبارة "قد مر طاغية من هنا" تكررت مرتين في المقطع الشعري لتدل على الإقرار بما اقترفه العدو الغاصب ،تكراره لعبارة الاغتراب والمعاناة في قصيدة التراب المقدس"أمس جئت غريبا،و أمس مضيت غريبا-تأتي وتمضي غريبا "،تكراره لعبارة"كأنك لم تك يوما هناك"مرتين و هذا ما يزيد القصيدة ترابطا و ذلك أن المعنى يزداد تأكدا بتكراره مرات في القصيدة ،فإصرار الشاعر على معنى معين و هو الشك يجعله يكرر العبارة متلاحقة ،في المقطع الشعري لأن تكرار العبارة "يرد في صورة عبارة تحكم تماسك القصيدة و وحدة بنائها،وحينما يتخلل نسيج القصيدة يبدو أكثر التحاما من وروده في موقع البداية"[1].

ومن أنواع التكرار التى اعتادها الشاعر التكرار النمطي ونجده في قوله:"لا ترتجف عيناك" والتي تكررت ثلاث مرات ،لتزداد العبارة وضوحا وتأكيدا على معنى الشدة والقوة،وقد للنهي دلالة النصح والتحذير لأن المخاطب ملزم بالقوة حتى يدافع عن الارض و العرض"وهذا النوع من التكرار الذي يجنح بالكلمة أو بالتركيب إلى احتلال صدارة الأبيات،ويعتبر في رأى،ج-مولي J- MOLINO و ج تامين،J...TAMIME عاملا من عوامل الربط النظمي ،إذا غالبا ما يصاحب التوازي"[2] "إذا أن توظيف الشاعر لهذا النوع من التكرار خدم القصيدة في جانبها الإيقاعي،وذلك أن التوازي هنا هو من قبيل التوازي الصرفي النحوي الذي يهدف الى خلق توازن بين المواقع النظمية"[3].

هذا الى جانب تكرار عبارة(لم تأت، لم تذهب) في قصيدة "**إنها مصر**" وقد وظفها الشاعر بمعاني مختلفة في القصيدة .

ففي قوله" لم تأت من الماضي،ولم تذهب بعيدا" كان المخاطب فيها الذات الطفل الذي يسعى الى تغيير الوضع المزري ،فهذا الطفل كذات انفصل عن ماضية ،ولم يحقق ما كان يريد،و هذا ما أجاب عنه المقطع الثاني "و لكنك لم تأت ،و لم تذهب" لأن الحدث انتفي بعجز الطفل لينتهي بتأكيده

[1]- حسن العرقي،حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر،ص85.

[2]- J.Molino.j.Tamine(lntroduction a l analyse lingustique poésie) Paris,58 ,1982,p187.

[3]- حسن العرقي،حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر،ص50.

على المعنى بقتله"إنك لم تذهب،و لم تأت"، وقد كان تكرارنا لهذه العبارة في هذا النوع لأن تكرارها إما بالحذف ،أو الزيادة يجعل لها إيحاءات جديدة .

وتكراره لعبارة "إنها مصر" أربع مرات في القصيدة في نهاية المقطع فيه تأكيد على قيمة مصر،"و هذا النوع من التكرار يسمى،تكرار النهاية لأن الكلمة المكررة تقع في نهاية الأسطر الشعرية بشكل متتابع أو غير متتابع"[1].

ومن أنواع التكرار كذالك تكرار عبارة "ليس طفلا" في قصيدة **ليس طفلا وحجارة**، حيث تكررت ثمانية مرت،بمعدل مرتين في كل مقطع،و هذا النوع من التكرار يسمى التكرار بالتكرار البداية أو "التكرار الاستهلالي،حيث يتكرر فيه اللفظة العبارة في بداية الأسطر الشعرية بشكل متتبع أو غير متتابع"[2].

و نجد تكرار التدويم الذي نجده في إصراره على تحديد معنى الحرية عند **مانديلا** في قوله:

مانديلا

إن حريتي هي ميراث أرضي

مانديلا

إن حريتي هي حريتي مانديلا

إن حريتي هي بدئي و خاتمتي.[3]

فمعنى الحرية ازداد وضوحا عندما استعان "إن" لتوكيده، والفعل "يتقي"و الضمير المنفصل هي ،هذا التعريف للحرية مقترنا بتكرار اسم مانديلا وضح المعنى وأكده،وفي ذلك يقول الناقد الفرنسي المعروف **رولان بارث**"Roland Barthes "وقبل كل شيء فإن الموضوع يتصف" بالعودوية "وهذا يعني أنه يتكّرر على امتداد العمل الأدبي"[4]

وهذا النوع من التكرار وظيفي لأنه يربط بين المعنى و المبنى،فقد خدم التأكيد على مستوى المعنى والبنية الإيقاعية على مستوى المبني ،و هو ما يسمى بتكرار التدويم و يكون "حينما تتكرر العبارة في

[1]- حسن العرقي،حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر،ص89.

[2]- نفس المرجع،ص90.

[3]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك،ص41.

[4]- حسن، عبد الكريم، الموضوعية البنيوية دراسة في شعرالسيّاب المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت، لبنان، ط1،1403هـ،1983 ،ص34.

شكل حلقات ممتدة تديم الحركة والنمو،عبر مقاطع القصيدة،فتتحرك عناصر الحدث بموجات حلزونية تلعب دورا كبيرا في البناء النمو و الدلالي"[1].

كذلك نجد تكرار الترجيع في قصيدة الى **نيلسون مانديللا** في نهاية المقطع لعبارة"ابق مكانك"،حيث تكررت العبارة 3 مرات،و تكرار الترجيع و"هو عبارة عن ترجيع لصدى الحركة التى يصفها الشاعر أو تأكيد لتلاشي نغمات"[2].

حيث يهدف من خلال هذا التكرار الى إحكام الجانب الإيقاعي في القصيدة،ومن التكرار كذلك،تكرار عبارة "لمن أتيت" إما بالحذف أو الزيادة في قصيدة **وقال مسعود الحكيم** ثلاث مرات لتدل على اللوم والعتاب،تكرره لعبارة "كان يا مكان" الدالة على الحكي ليحقق الطابع السردي للقصيدة،تكرار لعبارة "يمر غيرك"مرتين في القصيدة تأكيدًا على تحديد المخاطب في قصيدة **المتنبي** وتكراره لعبارة "كل ما كان"في قصيدة **مقام في مقام العراق**.

وتكراره عبارة "بقدر ما تسع السماء" في قصيدة **بقدر ما تسع السماء** ،يضاف في نهاية القصيدة تكرار العبارة مرتين ليدل على الشأن و الرفعة.

وفي قصيدة **هوانا** تكرار العبارة "وأنا أعرف" ثلاث مرات ليقرب حقيقة انتصار الشعوب العربية في قضاياها العادلة يوما ما ، ومن ذلك أنه كرر لفظة"عرب" مرتين في هذا المقطع الشعري .

وفي قصيدة **يأتي العاشقون إليك يا بغداد** تكررت العبارات في بداية كل مقطع "لم يتركوا لك ما تقول"،ست مرات،هذا التكرار إما بالزيادة أو الحذف خدم دلالة العجز و الاغتراب،حيث أصبحت الذات مستلبة لم تجد ما تقول للأخر،وعبارة"تكاد تجهل ما تريد" تكررت ثلاث مرات متوالية تحت غصون الصنوبر .

وعبارة "يأتي الشعر و الشعراء "مرتين ،تكرار عبارة "هذا المساء "في بداية المقطع مرة وتكرار نفس العبارة مرتين ،و مرة في أخر القصيدة،وتكرار عبارة "أنا لم أزل" مرتين.

وفي قصيدة **الرجل المتحدّر تحت الصنوبر** تكرار عبارة "لم يكن وحده آية الله" مرتين بمعاني مختلفة،في المرة الأولى كان لغاية تحديد الاسم و في المرة الثانية كان لغاية ذكر التفاف الشعب حول آية الله الخميني خلال الثورة الإيرانية ،تكراره لعبارة أيتها المدن الأثرية مرتين ،وهذا النوع من التكرار هو تكرار نمطي،لأن الشاعر حافظ على المعنى و المبنى و حافظ على الصدارة مكررا في بداية الأبيات

[1]- حسن العرقي،حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر،ص87.

[2]- نفس المرجع،ص88.

الشعرية،وفي قصيدة **رؤيا** تكرار عبارة "خارجا من دمائك" مرتين مع تغير في مبناها،وفي قصيدة **وقال مسعود الحكيم** تكررت عبارة "استبقيت أيامّي عليك" مرتين، وتكرار النداء لمدينة "يا بغداد" ثلاث مرات لغاية السرد وتوضيح الرؤيا وإظهار قيمة المكان،وفي قصيدة **إنها مصر** تكرار لعبارة "المثقلة التعبى" مرتين وتوحي بالاغتراب والاستلاب.

والشاعر الذي عاني من الاغتراب قد أخذ منه هذا الجانب اهتماما فجاء التكرار عنده في أساليبه المختلفة، تأكيدا للمعاني التي بدا له أكثر أهمية من غيرها أو المواقف التي أراد أن يكون محور القصيدة،وفضلا عن هذا فإنه يوقع أثرا في النفس وبما يطبع من موسيقى تعطي تساوي من حيث الموسيقى الشعرية المنسجمة مما يقوي النغم في الكلام.

وهكذا فإنّ التكرار في أسلوب **الفيتوري** ينطوي على أهمية إيحائية بالغة إذ يأتي به لتأكيد المعنى والإلحاح عليه ،وملاحظتي من خلال تتبعي لموضوع الاغتراب عند الشاعر ميزة أخرى من ميزات معجمه الشعري وهو استعماله الواسع لأدوات الاستفهام وذلك للإفصاح عن غربته وحالته الشعورية ؛المتأزمة والتواقة للحرية.

الجناس :

يعتبر من الأشكال الصوتية التي اعتمدتها الشاعر لتعزيز الجانب الإيقاعي في شعره،إذ يعد صورة من صور التكرار الغزيرة مع وجود اختلاف في المعنى،والشاعر في التجنيس يستغل القوة التعبيرية في جرس الألفاظ على توليد المعنى الذي تهيئه اللغة في اشتقاقاتها ،و الجناس هو"أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي في كتاب الأجناس"[1].

فالاتفاق يكون بين اللفظين المتشابهين تقريبا بالشكل الخارجي لكن تظل الدلالة الداخلية مختلفة بين اللفظين،وقد اعتمدها الشاعر لتعزيز الجانب الإيقاعي في شعره لأنه يؤدي أثرا كبيرا في توسيع فضاءات الإيقاع الداخلي.

وهو أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه وهي"نوع الحروف،وعددها وهيئتهـا وترتيبها مع اختلاف المعنى.وهو قسمان:تام و ناقص"[2]،ويقسم الجناس إلى قسمين هما :التجانس التام وهو أن لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ والتجنيس الناقص هو أن يختلف في الهيئة دون الصورة.وقيمة الجناس تكمن في

[1]- أبو الهلال العسكري، الصناعتين ، ص.353

[2]- عيسى علي العاكوب : المفصل في علوم البلاغة العربية . (د. ط) . مديرية المطبوعات الجامعية (2000)،سوريا ص 631 .

تناسب التوقيعات الموسيقية في النص الشعري ،إذ تميل النفس إلى هذا التوافق والانسجام الحاصل في ائتلاف تلك الألفاظ يكمن بالحروف وتشابهها وعددها وهيئتها وترتيبها.

فالجناس الحاصل بين" تسكن/تكسر" خلق توازنا صوتيا وتماثلا على المستوى التركيبي واختلافا واضحا على المستوى الدلالي،إذ أن البنية العميقة كانت تتصل بالبنية السطحية فيه،والمتعلقة بالصوت الذي زاد من إيقاعية الجناس وارتفاعه فيه،فطبعت الكلمتين بإيقاع متقارب زاد من سرعة التردد الصوتي الذي يستشعره القارئ بانتباهه إلى التقارب في المسافة بين اللفظين.

ونجد الجناس الناقص بين كلمتي "الظلام/الكلام"في قصيدة التراب المقدس حيث عمد فيه **الفيتوري** إلى تعزيز إيقاعه من خلال التماثل الصوتي أولا وموقع هذه الألفاظ قربا وبعدا عن بعضهما، فالشاعر قد استغل الترتيب الموسيقي عن علاقات التآلف والتخالف بين عنصري الجناس دالا ومدلولا ليلفت انتباه المتلقي ويقنعه بعمق الفكرة المطروحة في نسيج القصيدة والمتمثلة في مجابهة الظلم.

ويتبلور في إطار الجناس نوعا من انسجام الكلمات المتعددة والمتنوعة القائمة على ذبذبات صوتية متشابهة لتخلق جوا موسيقيا وتالفا صوتيا "إزارك ، انتظارك ، مدارك "في **قصيدة التراب المقدس** و" قادم ،قاوم " في قصيدة **ليس طفلا وحجارة** ،"عقيم ،مقيم"في قصيدة **وقال مسعود الحكيم،** "العناق،العتاق"في قصيدة **مقام في مقام العراق** التى تعلقت بشعر الاغتراب المكاني، " السّباق،السّياق"،الوثاق،الوفاق" ،"الحرون،القرون،تخون،تهون في قصيدة **بقدر ما تسع السماء.**

فقد أدت علاقة الجناس الناقص إلى أن تكّون الكلمات"عنك ،هناك ،هنالك"في **قصيدة التراب المقدس** و"الهزائم ،الجرائم ،العمائم" في قصيدة **ليس طفلا وحجارة** ،وهي أشبه بالنبضات المنتظمة،والتي هيأت أرضية موسيقية لاتضاح الأصوات وارتفاعها فيها، وهذه الألفاظ تتناسب تناسبا ناقصا من الناحية الصوتية لاشتراكها في الأصوات،ما عدا صوتين"اللام ،العين" وهذا يعطي الكلمات إيقاعا متقاربا يزيد منه سرعة التردد الصوتي الذي يستشعره القارئ بانتباهه إلى التقارب في المسافة بين الألفاظ المتجانسة.

ومن خلال استقرائنا نجد أن الجناس التام يكاد يختفي من شعر الاغتراب في شعره ومثاله قليل في الديوان "وقد تداخلت البراقع في البراقع"[1] فالبراقع الأولى هي ما تضعه النساء لغطاء الوجه،والبراقع الثانية ما يتخذ كغطاء لشيء أو مكان،وكذلك نجد في قصيدة **وقال مسعود الحكيم**"لم يكن ثمّة إلاّ

[1]- محمد الفيتوري ،الديوان ،ص 66.

السّر والسّر"[1] فالسر الأولى الأمر الذي يخفى ،والسر الثانية حقيقة الدفاع عن الوطن، إذ لاحظنا ميل الشاعر إلى استعمال الجناس الناقص وما يحققه من فرص تساعد على تحقيق الإيقاع .

ومن هنا نخلص إلى القول بأن الإيقاع الداخلي يؤدي دورا مهما في البنية الموسيقية،وهو قدرة التعبير عن الجانب الانفعالي وهي أساس العمل الشعري،وبما أننا لم ندرس جميع مظاهر الإيقاع الداخلي لشعر الاغتراب عند الشاعر،إلا أن اختيارنا قد وقع على بعض المظاهر التي تعبر عن موضوع الاغتراب لدى الشاعر،وتخدمه بصفة كبرى كالتكرار والجناس.

فتكون شكواه مخذولة مستكينة في "**قصيدة الرياح** "يقول:

وفي بوخارسْت ..بلادي
أَزْمنَةٌ تكنزُ الفَقْر خلفَ جَزائرِها
وَسُكون'' جَرِيحْ
وَأَشباحُ مَوْتَى مِن.. الجُوع
تخضرُّ سيقانهم في ..الرمالْ
وتَبْسُمُ ثُمَّ ..تقيحْ[2]!

ولذلك فقد عبر عن حالة الشاعر الاغترابية، فهو يصخب ويجأر حين يثقل عليه الألم،وتفيض الغربة، فيرى نفسه مستجيراً ،معلناً التمرد والغضب، وتتضاءل حين يلتف الشاعر على نفسه الحزينة،

وخلاصة القول أنّ الفيتوري كان يحاول دائما تفجير طاقته في مجال اللغة من أجل التعبير وذلك بتوظيف ألفاظ جيدة وقوية وصور عميقة وإيقاع متوازن، وهدفه من ذلك هو نقل تجربته الحياتية وفق رؤيا حداثية والإفصاح عن شعوره وحالته النفسية، فجاءت معانيه بذلك عميقة وصوره ثرية وموسيقاه موحية،وبذلك تعددت الظواهر الإيقاعية في القصيدة وتنوعت.

وفي آخر هذا الفصل فإن ما يمكن أن نستخلصه أن الصورة الشعرية والموسيقى داخلية وخارجية خدمت معنى الاغتراب بأنواعه والذي عاناه الشاعر في حياته.

[1]- محمد الفيتوري ،يأتي العاشقون إليك ،ص69.

[2]- محمد الفيتوري ،الديوان ،ص22

الخـــاتمـــــة

خاتمة:

لقد عرف الشاعر محمد الفيتوري أنواعاً من الاغتراب بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة، فقد كُتب عليه أن يواجه تحدياً سياسياً فرضته المؤسسة السياسية القائمة، وهكذا كُتب عليه أن يعيش الاغتراب الاجتماعي الذي كان مدخلاً لاغترابه اللاحق.

ولاشك في أن العزلة من طبائع الذات الإنسانية لاسيما الذات الشاعرة، على أن هذه العزلة نسبية، ولكنها قابلة للنمو والتضخم في الظروف التي تشكل قيداً على حرية الفنان، وحاجزاً أمام انطلاق فكره وإبداعه ،كتلك التي نشأ في ظلها الشاعر. ولهذا اندفع نحو العمل السياسي، لكي يتجاوز عزلته النسبية، ولكن إخفاقه، أسلمه إلى الاغتراب السياسي، والمكاني،والوجودي وصولاً إلى الاغتراب الروحي الذي يعني الاغتراب المركب،ولكي لا يتحول الاغتراب إلى جحيم لا يطاق، فقد سعى الشاعر إلى تجاوزه، أو التخفيف من آثاره على الأقل، من خلال منهج تعويضي تمثل في العودة إلى الطفولة، واستعادة الماضي، وبناء المدن الحلمية والسعي الى تمجيد الثورات وتعظيم الأبطال.

ولذلك نجد الديوان ثري بدلالات اغترابية عميقة ومتنوعة ولكنني توقفت سريعاً عند أبرزها، ولم أستطع أن أَفي الديوان حقه من عمق التناول، والعزاء أنه عميق التجربة الإنسانية وثري الإسقاطات الفنية ،ومن بين الملاحظات الهامة التي تسجل مايلي:

1- أن الشاعر يوظف بوعي تام كل ما يخدم تجربته الشعرية الاغترابية، وذلك باختياره النماذج المغتربة التي تجسد رؤيته الاغترابية وتساندها مثل "مانديليلا"،"المتنبي"،...إلخ، وإيحاءات هذه الشخصيات الاغترابية واضحة، وقفنا عند بعضها.

2- لغة الشاعر تنحرف بالتركيب المألوف العادي لخلق لغة جديدة مبتكرة تخرج عن النسق المعتاد للغة المستهلكة وتصدم التوقع الذهني للقارئ، وقد نجح الشاعر كثيراً في خلق لغته الخاصة وتفرده، ورغم كثرة الانزياحات عن الثوابت اللغوية فإنها لم تُحِل الخطاب الشعري إلى طلاسم غير مفهومة كما هو الحال مع كثير من الشعراء المحدثين المعاصرين.

3- الشاعر يقتنص الصورة من حوله ومن ذاكرته ومن الأحداث ومن الإرث الإنساني ويلملم أجزاء صوره المتناثرةويشكلها وفقاً لرؤيته الفنية، فيولد بذلك صوراً جزئية في بعض الأحيان وقد تمتد في أغلب الأحيان لتستقطب النص كله، وكما مال إلى الانحراف بالتركيب اللغوي، مال أيضاً إلى الانحراف بالصورة عن انعكاساتها الواقعية، فأجاد تخليق الصورة السريالية التي لا تماثل لها في الواقع،

وإنما هي صور فنية ابتكرها الشاعر ووفّق في توظيفها لنقل ما يموج به عالمه الداخلي وصراعه النفسي والفكري في عوالم اغترابه الممتزجة المركبة.

4- الشاعر يكتب نصه بثراء إيقاعي واضح متمثل في الموسيقى الداخلية، والإيقاع الخارجي الذي بلورته القافية غير المطاردة (لا يعتمدها الشاعر ولا يلح عليها وإنما تأتي عفوية)، والتكرار والتجنيس (التماثل الصوتي لانتقاء الحروف) مما ولّد الموسيقى وأثرى الإيقاع، كما أن الإيقاع الموسيقي قد فرض نفسه على الشاعر ولم يستطع أن يفلت منه في بعض القصائد.

5- رغم نغمة الحزن والألم التي ولدها الوعي والإحساس المفرط إلا أن الشاعر قادر على قهر اغترابه، فهو يلوذ بالحلم والأمل تارة، وبالإبداع والإيمان تارة أُخرى؛ ليخفف من حدة الصراع والرفض وثنائية التذبذب المولدة لهما، ساعيا إلى تنقية أبواب الإدراك وتحرير الحواس من سجنها بفتح النوافذ الخمسة كما يقول بلليك، ومؤكداً على المقولة الشائعة بأن الاغتراب ليس مرضاً كما أنه ليس نفحة علوية (نعمة)، ولكنه شئنا أم أبينا سمة جوهرية للوجود الإنساني الأصيل.

بعد الانتهاء من ظاهرة الاغتراب في شعر الفيتوري في ديوانه "**يأتي العاشقون إليك**" يمكن إيجاز أهم النتائج التي تم التوصل إليها بما يأتي:

- عدم الاتفاق على تحديد مفهوم موحد لمصطلح الاغتراب إذ كان التباين في تحديده من باحث لأخر، مثلما اختلفت بواعثه التي تولده والنتائج التي تترتب عليه والسبل التي تمكن الإنسان من تجاوزه بسبب اختلاف المنطلقات الفكرية والفلسفية لأولئك الباحثين والمنظرين الذين اشتغلوا بهذا المصطلح .

- وجود تشابه بين المعنى اللغوي للغربة والاغتراب جعل الكثير من الدارسين والباحثين لا يميزون بينهما، في حين نجد البعض الأخر ميز بينهما عندما حدد الغربة بالابتعاد والنزوح عن الأوطان ،ولكنه وسع في دلالة الاغتراب وشمل بذلك المفاهيم الفلسفية والاجتماعية ولم قتصر على الابتعاد عن الأوطان.

- أسهمت الظروف السياسية والاقتصادية في توليد الحس الاغترابي عن البنية الاجتماعية نتيجة للفراغ الكبير والتزعزع الذي أصاب الكيان الاجتماعي بسبب الثورات والنزاعات بين أبناء المجتمع ،إذ أحس الشاعر بالاغتراب عن المجتمع بعد تبدل الأوضاع والعلاقات السابقة .

-وقد تكشف الشعور الاغترابي عند الشاعر من خلال الاغتراب الكامن في اللاشعور بعد مصابه، وانحلال الروابط التي تربطه بمجتمعه ولمواقفه المتعددة ،والتي تحكمها بواعث ذاتية واجتماعية وفكرية .

- لقد كان للاضطرابات التي سادت المجتمع وتكتلات الأحزاب السياسية، دور في تغرب الشاعر عن البنية السياسية ونتيجة لإحساسه بالقهر وعجزه عن التأثير في الأحداث السياسية والخضوع لسلطة استبدادية في نظره ولد في نفسه حالات الإحباط و اليأس .

-مركزية هاجس الاغتراب في ديوان الشاعر الفيتوري يأتي العاشقون إليك ،والحس المأساوي في الشعر السوداني المعاصر .

- رغم الأبعد الاغترابية المتعددة التي تبدت لنا من خلال بعض القصائد إلا أن نزعة التفاؤل كانت ملازمة للشاعر في خاتمة قصائده فيبشر بغد أفضل.

-ولقد كان للمؤثرات الاقتصادية والفوارق الطبقية دور كبير في تغرب الشاعر عن البنية الاجتماعية والحياة عموما، فتولدت هذه الحالة لأسباب ذاتية واجتماعية،ومن الأسباب الذاتية إحساسه بالفروق الاجتماعية والطبقية،فإلى جانب الأغنياء،نجد الفقراء المعدمين الذين ازدرتهم الحياة على بؤسهم وعوزهم فضلا عن نظرتهم المتشائمة التي نتجت عن هذا الإحساس، لأسباب اجتماعية تمثلت في سخرية الأخر من فقره وسوء حالته.

-وقد تمظهر إحساس الشاعر بالاغتراب من الموت في حالة التأمل والحزن والقلق عنده في سطوة الموت فجاء شعره معبرا عن رؤية فلسفية ووجودية ،و تفاقمت شدة هذا الاغتراب نتيجة فقد الزعماء والمناضلين في عصره والذين كانوا يشكلون الأمل بالنسبة للشعوب المقهورة ، فوعى بحتمية الموت .

-جاءت صوره الشعرية موحية تجلى فيها التوتر الذي يعانيه وما يعاني من اضطراب وقلق،وتنوعت الصورة الشعرية عنده، فتارة ترد بيانية وتارة أخرى حسية تجتمع في حواسه الخمسة، وتارة ترد ذهنية ،فهو ينقل صوره من عالم المحسوسات المادية إلى عالم الإيحاء الذهني وبالعكس ،وعلى الرغم من كل هذا جاءت صوره فيها شيء من التعقيد والغموض لأنها صور جزئية مكثفة ،وصور كلية رامزة ودالة .

- إبراز الشاعر الفيتوري لشعوره الاغترابي من خلال الصياغة اللغوية باستخدام الأساليب النحوية والبلاغية وتوظيف الألفاظ المعبرة والموحية بدقة واستخدامها على وفق مقتضى الحال ومتطلباته.

– قدرة الشاعر الفنية على توظيف الأداء الموسيقي الداخلي للتعبير عن انفعالاته النفسية والعاطفية فتباين استعماله للتفاعيل والأوزان الشعرية تبعا لحالاته الشعورية.

–استخدم الشاعر التكرار أداة للتنبيه وللتوكيد فضلا عن الجانب الإيقاعي فكان ذا وقع كبير على أذن السامع أو القارئ، فجاءت الإيقاعات الموسيقى الداخلية صدى للعاطفة التي عبر عنها الشاعر ،فقد توافقت الأصوات الداخلية في جرس ألفاظها.

– تشكل شعر الاغتراب عند الفيتوري من عناصر فنية كالمعجم الشعري ،إذ استمد فيه مادته اللغوية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هذا ما يعكس لنا ثقافته الدينية وكذلك استند على تجربته الصوفية وإطلاعه على الآداب العالمية.

–إضافة إلى المعجم الشعري نجد عنصر الصور الفنية التي أولاها العناية خاصة ، ونوع فيه كالتشبيه والاستعارة والكناية كما أنّ للصورة البديعية أهمية ودورا كبيرا في التعبير عن غربته فهي تعد عنصرا بنائيا هاما في القصيدة فإضافة إلى تقوية المعنى تقوم بإثراء الشعر إيقاعيا، وتظهر في الطباق والمقابلة إضافة إلى الجناس الذي ساهم في صنع الموسيقى الشعرية والتي هي من أهم العناصر التي ارتكز عليها شعره، وقد امتازت موسيقاه بالتنوع والثراء كالتكرار.

–وهناك خاصية إيقاعية تظهر في شعر الاغتراب عنده ألا وهي التكرار الذي يشمل بعض الحروف في القصيدة الواحدة، أو تكرار حرف واحد في أبيات عديدة، أو تكرار كلمات وجمل فهذه التكرارات ساهمت في بناء الإيقاع الداخلي.

ولعلي في أخر بحثي المتواضع ، أكون قد أسهمت في تجلية وتبيين –قدر المستطاع– هذا الجانب الخفي لدى الشاعر محمد الفيتوري ،وبعد هذا الاستعراض السريع لأهم النتائج والتي مثلت الاهتمام بظاهرة الاغتراب في شعره،وأبانت عن أمور تهم الباحثين والدارسين ،وهي مسيرة انتهت بتوفيق من الله وفضله، فإن وفقت فهي منة من الله يمن على عباده وذلك ما أصبو إليه، وإن جاءت بعض مباحثه تحمل القصور فلا ادعي الكمال لان الكمال لله سبحانه وتعالى وكل ما استطيع قوله أنني لم ادخر وسعا ،ولم ابخل بجهد في سبيل إخراج هذا البحث المتواضع على أفضل صورة مبتغية وجهه تعالى في الكشف عن ظاهرة الاغتراب في شعر الفيتوري.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه أجمعين.

الخـــاتمـــــة

خاتمة:

لقد عرف الشاعر محمد الفيتوري أنواعاً من الاغتراب بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة، فقد كُتب عليه أن يواجه تحدياً سياسياً فرضته المؤسسة السياسية القائمة، وهكذا كُتب عليه أن يعيش الاغتراب الاجتماعي الذي كان مدخلاً لاغترابه اللاحق.

ولاشك في أن العزلة من طبائع الذات الإنسانية لاسيما الذات الشاعرة، على أن هذه العزلة نسبية، ولكنها قابلة للنمو والتضخم في الظروف التي تشكل قيداً على حرية الفنان، وحاجزاً أمام انطلاق فكره وإبداعه ،كتلك التي نشأ في ظلها الشاعر. ولهذا اندفع نحو العمل السياسي، لكي يتجاوز عزلته النسبية، ولكن إخفاقه، أسلمه إلى الاغتراب السياسي، والمكاني،والوجودي وصولاً إلى الاغتراب الروحي الذي يعني الاغتراب المركب،ولكي لا يتحول الاغتراب إلى جحيم لا يطاق، فقد سعى الشاعر إلى تجاوزه، أو التخفيف من آثاره على الأقل، من خلال منهج تعويضي تمثل في العودة إلى الطفولة، واستعادة الماضي، وبناء المدن الحلمية والسعي الى تمجيد الثورات وتعظيم الأبطال.

ولذلك نجد الديوان ثري بدلالات اغترابية عميقة ومتنوعة ولكنني توقفت سريعاً عند أبرزها، ولم أستطع أن أَفي الديوان حقه من عمق التناول، والعزاء أنه عميق التجربة الإنسانية وثري الإسقاطات الفنية ،ومن بين الملاحظات الهامة التي تسجل مايلي:

1- أن الشاعر يوظف بوعي تام كل ما يخدم تجربته الشعرية الاغترابية، وذلك باختياره النماذج المغتربة التي تجسد رؤيته الاغترابية وتساندها مثل "مانديليلا"،"المتنبي"،...إلخ، وإيحاءات هذه الشخصيات الاغترابية واضحة، وقفنا عند بعضها.

2- لغة الشاعر تنحرف بالتركيب المألوف العادي لخلق لغة جديدة مبتكرة تخرج عن النسق المعتاد للغة المستهلكة وتصدم التوقع الذهني للقارئ، وقد نجح الشاعر كثيراً في خلق لغته الخاصة وتفرده، ورغم كثرة الانزياحات عن الثوابت اللغوية فإنها لم تُحِل الخطاب الشعري إلى طلاسم غير مفهومة كما هو الحال مع كثير من الشعراء المحدثين المعاصرين.

3- الشاعر يقتنص الصورة من حوله ومن ذاكرته ومن الأحداث ومن الإرث الإنساني ويلملم أجزاء صوره المتناثرةويشكلها وفقاً لرؤيته الفنية، فيولد بذلك صوراً جزئية في بعض الأحيان وقد تمتد في أغلب الأحيان لتستقطب النص كله، وكما مال إلى الانحراف بالتركيب اللغوي، مال أيضاً إلى الانحراف بالصورة عن انعكاساتها الواقعية، فأجاد تخليق الصورة السريالية التي لا تماثل لها في الواقع،

وإنما هي صور فنية ابتكرها الشاعر ووفّق في توظيفها لنقل ما يموج به عالمه الداخلي وصراعه النفسي والفكري في عوالم اغترابه الممتزجة المركبة.

4- الشاعر يكتب نصه بثراء إيقاعي واضح متمثل في الموسيقى الداخلية، والإيقاع الخارجي الذي بلورته القافية غير المطاردة (لا يعتمدها الشاعر ولا يلح عليها وإنما تأتي عفوية)، والتكرار والتجنيس (التماثل الصوتي لانتقاء الحروف) مما ولّد الموسيقى وأثرى الإيقاع، كما أن الإيقاع الموسيقي قد فرض نفسه على الشاعر ولم يستطع أن يفلت منه في بعض القصائد.

5- رغم نغمة الحزن والألم التي ولدها الوعي والإحساس المفرط إلا أن الشاعر قادر على قهر اغترابه، فهو يلوذ بالحلم والأمل تارة، وبالإبداع والإيمان تارة أُخرى؛ ليخفف من حدة الصراع والرفض وثنائية التذبذب المولدة لهما، ساعيا إلى تنقية أبواب الإدراك وتحرير الحواس من سجنها بفتح النوافذ الخمسة كما يقول بلليك، ومؤكداً على المقولة الشائعة بأن الاغتراب ليس مرضاً كما أنه ليس نفحة علوية (نعمة)، ولكنه شئنا أم أبينا سمة جوهرية للوجود الإنساني الأصيل.

بعد الانتهاء من ظاهرة الاغتراب في شعر الفيتوري في ديوانه "**يأتي العاشقون إليك**" يمكن إيجاز أهم النتائج التي تم التوصل إليها بما يأتي:

- عدم الاتفاق على تحديد مفهوم موحد لمصطلح الاغتراب إذ كان التباين في تحديده من باحث لأخر، مثلما اختلفت بواعثه التي تولده والنتائج التي تترتب عليه والسبل التي تمكن الإنسان من تجاوزه بسبب اختلاف المنطلقات الفكرية والفلسفية لأولئك الباحثين والمنظرين الذين اشتغلوا بهذا المصطلح .

- وجود تشابه بين المعنى اللغوي للغربة والاغتراب جعل الكثير من الدارسين والباحثين لا يميزون بينهما، في حين نجد البعض الأخر ميز بينهما عندما حدد الغربة بالابتعاد والنزوح عن الأوطان ،ولكنه وسع في دلالة الاغتراب وشمل بذلك المفاهيم الفلسفية والاجتماعية ولم قتصر على الابتعاد عن الأوطان.

- أسهمت الظروف السياسية والاقتصادية في توليد الحس الاغترابي عن البنية الاجتماعية نتيجة للفراغ الكبير والتزعزع الذي أصاب الكيان الاجتماعي بسبب الثورات والنزاعات بين أبناء المجتمع ،إذ أحس الشاعر بالاغتراب عن المجتمع بعد تبدل الأوضاع والعلاقات السابقة .

-وقد تكشف الشعور الاغترابي عند الشاعر من خلال الاغتراب الكامن في اللاشعور بعد مصابه، وانحلال الروابط التي تربطه بمجتمعه ولمواقفه المتعددة ،والتي تحكمها بواعث ذاتية واجتماعية وفكرية .

- لقد كان للاضطرابات التي سادت المجتمع وتكتلات الأحزاب السياسية، دور في تغرب الشاعر عن البنية السياسية ونتيجة لإحساسه بالقهر وعجزه عن التأثير في الأحداث السياسية والخضوع لسلطة استبدادية في نظره ولد في نفسه حالات الإحباط و اليأس .

-مركزية هاجس الاغتراب في ديوان الشاعر الفيتوري يأتي العاشقون إليك ،والحس المأساوي في الشعر السوداني المعاصر .

- رغم الأبعد الاغترابية المتعددة التي تبدت لنا من خلال بعض القصائد إلا أن نزعة التفاؤل كانت ملازمة للشاعر في خاتمة قصائده فيبشر بغد أفضل.

-ولقد كان للمؤثرات الاقتصادية والفوارق الطبقية دور كبير في تغرب الشاعر عن البنية الاجتماعية والحياة عموما، فتولدت هذه الحالة لأسباب ذاتية واجتماعية،ومن الأسباب الذاتية إحساسه بالفروق الاجتماعية والطبقية،فإلى جانب الأغنياء،نجد الفقراء المعدمين الذين ازدرتهم الحياة على بؤسهم وعوزهم فضلا عن نظرتهم المتشائمة التي نتجت عن هذا الإحساس، لأسباب اجتماعية تمثلت في سخرية الأخر من فقره وسوء حالته.

-وقد تمظهر إحساس الشاعر بالاغتراب من الموت في حالة التأمل والحزن والقلق عنده في سطوة الموت فجاء شعره معبرا عن رؤية فلسفية ووجودية ،و تفاقمت شدة هذا الاغتراب نتيجة فقد الزعماء والمناضلين في عصره والذين كانوا يشكلون الأمل بالنسبة للشعوب المقهورة ، فوعى بحتمية الموت .

-جاءت صوره الشعرية موحية تجلى فيها التوتر الذي يعانيه وما يعاني من اضطراب وقلق،وتنوعت الصورة الشعرية عنده، فتارة ترد بيانية وتارة أخرى حسية تجتمع في حواسه الخمسة، وتارة ترد ذهنية ،فهو ينقل صوره من عالم المحسوسات المادية إلى عالم الإيحاء الذهني وبالعكس ،وعلى الرغم من كل هذا جاءت صوره فيها شيء من التعقيد والغموض لأنها صور جزئية مكثفة ،وصور كلية رامزة ودالة .

- إبراز الشاعر الفيتوري لشعوره الاغترابي من خلال الصياغة اللغوية باستخدام الأساليب النحوية والبلاغية وتوظيف الألفاظ المعبرة والموحية بدقة واستخدامها على وفق مقتضى الحال ومتطلباته.

– قدرة الشاعر الفنية على توظيف الأداء الموسيقي الداخلي للتعبير عن انفعالاته النفسية والعاطفية فتباين استعماله للتفاعيل والأوزان الشعرية تبعا لحالاته الشعورية.

–استخدم الشاعر التكرار أداة للتنبيه وللتوكيد فضلا عن الجانب الإيقاعي فكان ذا وقع كبير على أذن السامع أو القارئ، فجاءت الإيقاعات الموسيقى الداخلية صدى للعاطفة التي عبر عنها الشاعر ،فقد توافقت الأصوات الداخلية في جرس ألفاظها.

– تشكل شعر الاغتراب عند الفيتوري من عناصر فنية كالمعجم الشعري ،إذ استمد فيه مادته اللغوية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هذا ما يعكس لنا ثقافته الدينية وكذلك استند على تجربته الصوفية وإطلاعه على الآداب العالمية.

–إضافة إلى المعجم الشعري نجد عنصر الصور الفنية التي أولاها العناية خاصة ، ونوع فيه كالتشبيه والاستعارة والكناية كما أنّ للصورة البديعية أهمية ودورا كبيرا في التعبير عن غربته فهي تعد عنصرا بنائيا هاما في القصيدة فإضافة إلى تقوية المعنى تقوم بإثراء الشعر إيقاعيا، وتظهر في الطباق والمقابلة إضافة إلى الجناس الذي ساهم في صنع الموسيقى الشعرية والتي هي من أهم العناصر التي ارتكز عليها شعره، وقد امتازت موسيقاه بالتنوع والثراء كالتكرار.

–وهناك خاصية إيقاعية تظهر في شعر الاغتراب عنده ألا وهي التكرار الذي يشمل بعض الحروف في القصيدة الواحدة، أو تكرار حرف واحد في أبيات عديدة، أو تكرار كلمات وجمل فهذه التكرارات ساهمت في بناء الإيقاع الداخلي.

ولعلي في أخر بحثي المتواضع ، أكون قد أسهمت في تجلية وتبيين –قدر المستطاع– هذا الجانب الخفي لدى الشاعر محمد الفيتوري ،وبعد هذا الاستعراض السريع لأهم النتائج والتي مثلت الاهتمام بظاهرة الاغتراب في شعره،وأبانت عن أمور تهم الباحثين والدارسين ،وهي مسيرة انتهت بتوفيق من الله وفضله، فإن وفقت فهي منة من الله يمن على عباده وذلك ما أصبو إليه، وإن جاءت بعض مباحثه تحمل القصور فلا ادعي الكمال لان الكمال لله سبحانه وتعالى وكل ما استطيع قوله أنني لم ادخر وسعا ،ولم ابخل بجهد في سبيل إخراج هذا البحث المتواضع على أفضل صورة مبتغية وجهه تعالى في الكشف عن ظاهرة الاغتراب في شعر الفيتوري.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم رواية ورش.

المصادر:

- الفيتوري محمد ،يأتي العاشقون إليك،دار الشروق،القاهرة ،ط1، 1992، 1413.
- الفيتوري محمد ،الديوان ،دار العودة ،مج2، بيروت ،1979.
- الفيتوري محمد ،شرق الشمس غرب القمر،دار الشروق ،ط 1 ،1413،1992،القاهرة.
- ابن عاشور محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، دار سحنون ، ج15.
- ابن عربي محي الدين ، الفتوحات المكية ، ج 2، دار الكتاب العربية ، د ت ، القاهرة.
-ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غ ر ب) ، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع.
- ابن منظور ، لسان العرب ، دار الكتب العلمية ،منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط 1، مج6 .
- ابن منظور، مادة "قنع"، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب،ج12 ،دار صادر2003.
- الألباني محمد ناصر الدين:سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،مكتبة المعارف،مج 4،1995.
- التوحيدي أبو حيان ، الإشارات الإلهية ،تحقيق : د. وداد القاضي ،دار الثقافة ، د. ط ، بيروت،1973 .
-ألتونجي محمد،المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية ،ط 2،ج 2، بيروت،1999م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد :فقه اللغة، تحقيق جمال طلبة،دار الكتب العلمية، بيروت 1422 هـ2001 .
-الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن) (ت 471هـ) ، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، 1981.
- الجوزية ابن القيم ،مدارج السالكين،دار الكاتب العربي،بيروت،دت،ج3 ،1972.
- الزبيدي السيد محمد المرتضى،تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مادة (غ ر ب) مصر،1306هـ،مج1.

- العسكري أبو هلال :الصناعتين، الكتابة والشعر، حققه وضبط لغته :مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1989.
- الطبراني الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد ،المعجم الكبير،تح وإخ حمدي عبد المجيد.
- الفراهيدي الخليل بن أحمد ، معجم العين، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي ،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت ،لبنان ،د.ت .
- الفيروز أبادي مجد الدين ،المعجم المحيط ،إعداد وتقديم :محمود عبد المركشيلي،مادة غرب ،دار إحياء التراث العربي،ط1،الجزء الأول ،بيروت ، 1997.
- القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق (390 – 456 هـ)،
-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حفظه ،محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل،ج1، ط 4 ، 1972 م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 ،2001،ج1.

المراجع:

-أبو السعود سلامة أبو السعود ، الإيقاع في الشعر العربي ، دار الوفاء ، إسكندرية، 2002.
-أبو شوارب محمد مصطفى ، جماليات النص الشعري، دار الوفاء، ط1، 2005.
- أبو عياش عبد الإله ، أزمة المدينة العربية، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.
- إبراهيم أنيس ،موسيقى الشعر ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط 3 ، 1965 م
- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، ط4، 1972م.
- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980.
-إبراهيم عبد الرحمن محمد ،قضايا الشعر في النقد العربي، دار العودة ،بيروت ،ط 2 ،1981 م.
- الجماعي صلاح الدين احمد ،الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي،دار زهران ،ط1،عمان ،الأردن ،2010.
- السعدني مصطفى ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالاسكندرية، جلال حربي وشركاه، 1987.
- السيوفي مصطفى ، تاريخ الأدب العربي الحديث ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة ، مصر ، ط 1،2008.

- الصباغ رمضان، في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط1،الإسكندرية ، 2002 .

-الشطي عبد الفتاح،شعر محمد الفيتوري المحتوى والفن ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،2010،د ط .

- المّساوي عبد السلام في كتابِه "البنيات الدالة في شعر أمل دنقل"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1994.

- الملائكة نازك ،قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م.

-قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط 2، 1965 م.

- النويهي محمد ،قضية الشعر الجديد ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ط 2 ، 1978م.

-قضية الشعر الجديد، مكتبة الخانجي، ودار الفكر، بيروت، ط2، 1971.

- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق ، ط2، عمان، 1992.

-اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،ط 1، 1978، الكويت.

- أدونيس، مقدّمة للشعر العربي، بيروت، دار العودة، ط1، 1971.

- العاكوب عيسى علي ،المفصل في علوم البلاغة العربية . (د. ط) . مديرية المطبوعات الجامعية، سوريا (2000).

- العسّاف عبد الله خلف ،دراسات جمالية نصيّة في الشعر السّعودي الجديد(ممارسة في النقد التطبيقي)، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن،1426هـ،2005م.

- العمري زينب ، اللون في الشعر العربي القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى،1988 م.

- الغذامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جده، 1985.

- الغرقي حسن ،حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر،إفريقيا الشرق، المغرب ،2001.

- امرؤ القيس،الديوان،ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي،دار الكتب العلمية،ط5، بيروت لبنان، 2004 ، 1435هـ.

- إسكندر نبيل رمزي،الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ،1989.

- بدوي عبده ،الغربة و الاغتراب و الشعر ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة 1998م.
- بركات حليم ،الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع،مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت.
- بسيسو عبد الرحمن ، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999.
- الدين ثائر زين ،أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر دراسة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1999،مكتبة الأسد.
- زكريا ابراهيم ،مشكلة الانسان، دار مصر للطباعة مكتبة مصر القاهرة ،دط،دت.
- رجب محمود ،الاغتراب سيرة المصطلح ،دار المعارف ،2003.
- الاغتراب سيرة و مصطلح، دار المعارف ،ط4، القاهرة ،1993.
- رمزي نبيل ، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.
- درويش أحمد ، في النقد التطبيقي محاورات مع نصوص شعرية ونثرية ، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،القاهرة ،2010.
- دعدور أشرف علي ، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، دار نهضة الشرق،ط1 ،جامعة القاهرة ،يناير 2002.
- سعيد خالدة ، حركية الإبداع دراسات في الادب العربي الحديث ، دار العودة ، ط2 ،بيروت ،1982.
- سلامي سميرة ،الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري،دار الينابيع ،ط1،دمشق ،2000.
- سويف مصطفى ،الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف القاهرة، 1969.
- محيي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياتي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1986.
- ضيف شوقي ،دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف ، مكتبة الدراسات الأدبية ،ط8، د ت.
- طراد مجيد ديوان عنترة ،شرح الخطيب التبريزي ،قدمه ،دار الكتاب العربي ،ط1،بيروت ،1412هـ،1992.

- فاغور حسن علي ، شرحه لديوان زهير بن أبي سلمى، ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1، 1408هـ، 1988م.
- فتوح محمد أحمد، واقع القصيدة العربية، دار المعارف بمصر، 1984م.
- فضل صلاح الدين ،نبرات الخطاب الشعري،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1998.
- فضل صلاح :الأساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،د،ط ، 1998 .
- فيدوح عبد القادر ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ،دار الصفاء للنشر والتوزيع ،ط1،الأردن 1431،2010هـ.
- عارف حسين محمد ،وعلي محمد حسين:دراسات في النص الأدبي في العصر الحديث ، دار الوفاء للطباعة والنشر ،ط4، 1998.
- عباس محمد يوسف ، الاغتراب والإبداع الفني ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع ،د ط،القاهرة ،2004.
- عبد، علي رمضان :تاريخ الشرق القديم وحضارته إلى مجيء لإسكندر الأكبر ،دار نهضة الشرق، القاهرة ،1997 .
- عبد الدايم صابر ،شعراء وتجارب نحو منهج تكاملي في النقد التطبيقي،دار الوفاء ،الإسكندرية ط1،2001.
- عبد الجليل فدوى ، فلسطين قلب العروبة ، المطبعة الجابرية للنشر ، الكويت،1998 .
- عبد الفتاح كاماليا ،إشكاليات الوجود الإنساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي،دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية،2008.
- عبد الكريم حسن ،الموضوعية البنيوية دراسة في شعرالسيّاب المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ،1403هـ،1983
- عبد الكريم راضي محمد جعفر،الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد دراسة،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،1999.
- رماد الشعر،دراسة في البنية الموضوعية والفنية،للشعر الوجداني الحديث في العراق،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، د . ط، 1989 م.
- عبد الحميد محمد ، في إيقاع شعرنا العربي و بيئته،دار الوفاء ،الإسكندرية،ط 1،2001.
- عبد العزيز ابراهيم ،-شعر الحداثة ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،ط د،دمشق ،2005.

- عبد المختار محمد خضر ،الاغتراب والتطرف نحو العنف دراسة تحليلية ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998.
- عبيدات زهير ، صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، رج، جامعة اليرموك – إربد، 1987.
- عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية ، دار العودة و دار الثقافة،بيروت،ط2 ،1972، وط3، 1981، وطبعة دار العودة ،ط2،بيروت ،1983م.وطبعة دار الفكر العربي. القاهرة ط3/ 1987م .
- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي،مصر، ط3 ،1974م ، وطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثالثة، 1986.
- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي، دار العودة ،دار الثقافة ، بيروت.وطبعة دار غريب للطباعة، القاهرة،، ط4، 1977م.
- عقاق قادة ،دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر،دراسة في إشكالية التلّقي الجمالي للمكان، منشورات اتحاد الكتاب العرب،د ط، دمشق ،2001.
- عيد رجاء ،لغة الشعر،قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، ط 1 ،2003.
- كبير خالد علال،قضية التحكيم في موقعة صفين بين الحقائق والأباطيل سنة 37هـ،دار البلاغ ،الجزائر ،ط1، 2002.
- كندي محمد علي ،الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث السياب ونازك والبياتي ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1،بيروت،لبنان، 2003.
- مختار عمر أحمد ، اللغة واللون،عالم الكتب، ط2 ،القاهرة.
- مرسي خليل :الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهور، دمشق، ط4 ، دت.
- مرّوة حسين ، تُراثنا كيفَ نعرفه، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربيّة، 1985.
- مغنية أحمد جواد ،الغربة في شعر محمود درويش 1972 -1982-الفارابي لبنان بيروت ،2004 ،ط1.
- منيف موسى ،محمد الفيتوري شاعر الحس والوطنية والحب ،دار الفكر اللبناني ،ط1،بيروت ،1985
- نجيب صالح ،محمد الفيتوري والمرايا الدائرة ،الدار العربية للموسوعات،ط1، 1984.

مجلات:

- أبي الحسن اليونيني ،جزء في الإسراء والمعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق علي بن محمد الشهراني،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، ع44،ذو القعدة 1439هـ.

- الأخضر بن السايح،استرتيجية الخطاب في الدلالات وبناء التأويل ،،مجلة الخطاب ،منشورات مخبر تحليل الخطاب ،جامعة تيزي وزو ،العدد 8،أفريل 2011.

- حبيب الشاروني ؛ الاغتراب في الذات : (الكويت ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ،العدد الأول ، 1979) .

- حسين جمعة ،الاغتراب في حياة المعري وأدبه ،مجلة جامعة دمشق،المجلد27،العدد الأول – الثاني،2011.

-حليم بركات ،غربة المثقف العربي، مجلة المستقبل العربي، ع2. تموز، 1978.

- خالد الكركي،رموز الرفض والثورة العربية في الشعر الحديث،مجلة دراسات،مج14، ع7، 1987.

- دانييل برجيز وآخرون ،تر رضوان ظاظا ،مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ،سلسلة عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،صدرت السلسلة في يناير 1978، بإشراف أحمد مشاري العدواني.

-عبده بدوي،الشعر في السودان،سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،مايو،1981.++++++++++++++++++++++++++++++

- عمر الدقاق،المؤثرات التراثية في حركة الحداثة الشعرية ،الموقف الأدبي ، ع 194/193.

- قيس النووي ،الاغتراب اصطلاحا و مفهوم وواقعا ،مجلة عالم الفكر ،10،أفريل –ماي- يونيو،1985.

- محمد حافظ ،جماليات اللون في القصيدة ،مجلة فصول ص 41،م 5، ع 2،(القاهرة)1985.

رسائل جامعية

- أبكر سميرة حسن ،ظاهرة الاغتراب لدى طالبات كليات البنات بالمملكة العربية السعودية ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية للبنات جدة، 1989م.

- أبو عون أمل عبد القادر، اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية،2003 فلسطين.

- أحمد عبد الله محمد حمدان ،دلالة الألوان في شعر نزار قباني ،رسالة ماجستير ،إشراف يحي جبر وخليل عودة ،جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا ،نابلس فلسطين ،2008.
- أحمد قنشوبة ،البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية منطقة شمال الصحراء أنموذجا 1850-1950،أطروحة دكتوراه،جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة ،بإشراف العربي دحو ،2007-2008.
- خالد بوزياني ،الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين أطروحة دكتوراه، بإشراف محمد العيد رتيمة ،جامعة بن يوسف بن خدة،الجزائر،2006-2007.
- عبد المنعم عفاف محمد،بعض المتغيرات النفسية المرتبطة بالشعور بالاغتراب،أطروحة دكتوراه،جامعة الإسكندرية ،كلية الآداب، 1988.
- علي زغينة ،هاجس الحرية في الشعر العربي المعاصر محمد مفتاح الفيتوري دراسة موضوعاتية،أطروحة دكتوراه ،بإشراف عبد الله العشي ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،2004-2005.
- صديقة معمر ، شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري 2007م - (المعاصر فترة1988) ،رسالة ماجستير ، إشراف يحي الشيخ ،صالح ، 2009-2010 ،1431هـ،جامعة منتوري قسنطينة.
يونسي كريمة ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة ،رسالة ماجستير،جامعة مولود معمري تيزي وزو ،2011-2012.

مراجع مترجمة:

- سي . موريس ،المعجم الفلسفي المختصر رؤية ماركسية ،ترجمة: توفيق سلوم ، دار التقدم، موسكو، د.ط، 1982م .
-ريتشارد شاخت ، الاغتراب ،تر:كمال يوسف حسين ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1،بيروت ،لبنان،1980.
- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، كتاب الأقلام(1)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980.
- غاستون باشلار، ،جدلية الزمن، ترجمة :خليل أحمد،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.
-فرانسوا مورو،البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ،تر محمد الولي عائشة جرير،أفريقيا الشرق، المغرب ،2003.

- جان كوهين ،بنية اللغة الشعرية، ، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء –المغرب، 1986.
- يوري لوتمان ،تحليل النص الشعري،تر:محمد فتوح أحمد،دار المعارف ،القاهرة،دط،دت.
-سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1992.
- ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة ،تر :كمال بشر،دار غريب للنشر، ط12، القاهرة ،(دت) .

مراجع أجنبية:

-Albert léonard : La crise du concept de littérature en France au XX$^{ème.}$ siècle José corti, 1974.

-Catherine Kerbart Orecchini ,L'énonciation de la subjectivité dans le language ,Armand Colin,Paris,1980.

-Charaudeau.P et Maingueneau.D, Dictionnaire d'analyse du discours, Seuil, Paris, 1éd, 2002.

-Dominigue Maingueneau ,Peragramatique pour le discoure littéraire,Paris,1990.

-Iréne tamba Mecz ,Le sens Eiguré vers une théorie de l' enonciation Figurative ;Presses Universitaires de France ;1°édition ,1981.

-Jean Dubois e1 outs,Dictionnaires de linguistique - ed: - larousx.

-J.Molino.j.Tamine(lntroduction a l analyse lingustique poésie Paris,58 ,1982.

-Gerard Genette,Palimpsestes,la littérature au seconde degré édition du Seuil,1982.

-Maingueneau.D, Pragmatique pour le discours littéraire, NATHAN, Paris, 2éd, 2001.

-Maingueneau.D, Les termes clés de l'anayse du discours, Seuil, Paris, 1996.

-Michael Riffatere,la production du texte ,coll ,Poétique,Edition du seuil ,Paris,1979

-Roland Barthes ,le plaisir du texte ,Editions du seuil ,1973.

-Soplie Moiraud, une Grammaire des textes et des dialogues, colle autoformation,Hachette ,FLH,les.édition ,1990 .

مواقع إلكترونية:

- لطفي حداد، خواطر في الأدب العربي المهجري المعاصر،
http://syrianstory.com/comment31-4.htm

http://www.albayan.ae/paths/books/1132802363833-2005-11-28-1.988359

ar.wikipedia.org/wiki- ويكبيديا

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%86_%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A7

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%AA%D8%AD%D9%8A_%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF. ويكبيديا

ملخص الرسالة :

عالجت هذه الدراسة الموسومة **بظاهرة الإغتراب في شعر محمد الفيتوري ديوان"يأتي العاشقون إليك" نموذجا** ظاهرة الاغتراب والتي تجسدت في شعره،وكانت الإشكالية التي انطلقنا منها:

هل كانت ظاهرة الاغتراب في شعر الفيتوري نتيجة لظروف وعوامل محلية عايشها الشاعر أم كان نتيجة لتأثره بالإنتاج الشعري قبله ومن الشعراء الذين عاصرهم ؟ ما هي أنواع الاغتراب التي تجلت في قصائده ؟كيف جسدت الصورة الشعرية ظاهرة الاغتراب في ديوان الفيتوري؟ ما سمات الاغتراب التي وظفها الفيتوري وكيف عبرت عن انتمائه لبعض المذاهب الأدبية التي طغى عليها الجانب الفلسفي ؟ وقد حاولنا تتبعها من خلال خطة تشكلت من ثلاثة فصول ومدخل نظري تناول تعريفا بالظاهرة وذكر لمجالاتها وأنواعها.

الفصل الأول: الاغتراب المكاني والوجودي في شعر الفيتوري:تمهيد، محددات الاغتراب من خلال العنوان، محددات الاغتراب المكاني، ثم محددات الاغتراب الوجودي.

الفصل الثاني: الاغتراب السياسي في شعر الفيتوري: تمهيد،محددات الاغتراب السياسي، القناع والرمز المدينة في شعر الإغتراب السياسي، ومن المدن التي اخترناها فلسطين، بغداد.

الفصل الثالث : الاغتراب الاجتماعي والنفسي في شعر الفيتوري، العوامل النفسية والاجتماعية المشكلة لشخصية الفيتوري والحس المأساوي ،محددات الاغتراب الاجتماعي، الرسم بالكلمات وتناولنا فيه :الصورة الفنية ،دلالة الألوان،المعجم الشعري، ثم جمالية الإيقاع.

وقد تم تبني المنهج الوصفي التحليلي لظاهرة الاغتراب في بحثنا هذا التي تعددت موضوعاتها وارتبطت بالفكر الوجودي من جهة وبالتحليل النفسي من جهة أخرى، الذي يقوم على تتبع الظاهرة ومراحلها،ويقوم على التفسير والوصف وتحديد الظروف والعلاقات فبعد تقصينا لظاهرة الاغتراب وتحديد المفهوم لغة واصطلاحا ضبطناه، وهذا ما حاولنا التزامه في هذه الدراسة لأن الموضوع الرئيسي على المستوى الشكلي هو الذي تتردد ألفاظه في الديوان وتحدد أنواع الظاهرة وأشكالها.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الاغتراب عند الشاعر الفيتوري، ومن أسباب اختيار الموضوع الرغبة في الكشف عن شاعر متميز مثل محمد الفيتوري والذي هضم حقه فلم يشتهر كمعاصريه من رواد الشعر الحر . كما أن هدف القراءة هو الوصول إلى قراءة وصفية تحليلية تحمل بعدا تأويليا يستند إلى معايير تطبيقية للوصول إلى الدلالات في ديوان الفيتوري، ومحاولة المقاربة الفنية للتجربة

الشعرية المعاصرة في السودان ومعرفة الإطار الذي يسيطر على بؤرة الموضوعات فيها، بالتعرف على البصمة التي تركها الشاعر في ديوانه.

ويمكن أن نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها في مايلي:

– وجود تشابه بين المعنى اللغوي للغربة والاغتراب جعل الكثير من الدارسين والباحثين لا يميزون بينهما، في حين نجد البعض ميز بينهما عندما حدد الغربة بالابتعاد والنزوح عن الأوطان.

– أسهمت الظروف السياسية والاقتصادية في توليد الحس الاغترابي من البنية الاجتماعية نتيجة للفراغ الكبير والتزعزع الذي أصاب الكيان الاجتماعي بسبب الثورات والنزاعات بين أبناء المجتمع.

– لقد كان للاضطرابات التي سادت المجتمع وتكتلات الأحزاب السياسية، دور في تغرب الشاعر عن البنية السياسية، ما ولد في نفسه حالات الإحباط و اليأس .

–مركزية هاجس الاغتراب في ديوان الشاعر الفيتوري"يأتي العاشقون إليك"،والحس المأساوي في الشعر الفيتوري المعاصر .

– رغم تعدد الأبعد الاغترابية في بعض القصائد إلا أن نزعة التفاؤل لم تفارقه في خاتمة الديوان.

– تظهر خاصية إيقاعية في شعره ألا وهي التكرار الذي يشمل بعض الحروف، الألفاظ والجمل، وقد كان البحث رغبة منا تسليط الضوء على الشاعر وتبين موهبته ومساهماته في الساحة الأدبية العربية .

RESUMEM :

Cette étude qualifiée de **phénomène de** l'aliénation dans le recueil de poésie Mohamed EL FITOURI ayant pour titre «**Les amoureux viennent vers toi** » est une modèle sur le phénomène de l'aliénation qu'il a concrétise dans sa poésie. Nous avons soulevé les problématiques suivantes :

-Est-ce-que le phénomène de l'aliénation dans la poésie El- Fitouri est la conséquence de circonstances et de causes locale vécues par le poète ou a-t-il été influencé par la production poétique de ces prédécesseurs et par celle des poètes contemporains ?
-Quel est le type d'aliénation qui apparait dans ses poèmes ?
-Comment la vision poétique a-t-elle concrétion le phénomène de l'aliénation dans le recueil des poèmes El- Fitouri ?
-Quelles ont été les particularités de l'aliénation décrites par El- Fitouri et comment ont-elles exprimé son adhésion à certaines pensées littéraires dominées par le caractère philosophique ?

Nous avons tenté de suivre ce phénomène à travers un plan constitué de trois chapitres et d'une introduction théorique portant sur la définition du phénomène, ses domaines et ses types.

Chapitre premier : l'aliénation géographique et existentielle dans la poésie El-Fitouri :Introduction ,les limites de l'aliénation à travers le titre, les limites de l'aliénation géographique puis les limites de l'aliénation existentielle.

Chapitre deux : l'aliénation politique dans la poésie d'E- Fitouri : Introduction, limites l'aliénation les politique, le masque et le sylbole de la ville dans la poésie l'aliénation politique et parmi les pays choisi, la Palestine et Baghdad.

Chapitre trois : l'aliénation sociale dans la poésie d'El- Fitouri les raisons psychologique et sociales qui composent la personnalité d'E- Fitouri, la sensation dramatique, limites l'aliénation sociale ,le dessin par les mots ou nous avons abordé :les images artistiques, les expression des couleurs, le dictionnaire politique puis la beauté du rythme.

La méthode descriptive d'analyse phénomène de l'aliénation a été retenue dans notre travail de recherche dont les thèmes sont variés par leur lien avec la pensée existentielle d'une part et de d'analyse psychologique d'autre part basée sur le suivi du phénomène de l'aliénation et ses étapes, il s'appui sur l'interprétation, la description, la détermination des circonstances et des relations.

Apre avoir relaté le phénomène de l'aliénation et fixe la notion linguistique et terminologique, nous l'avons cerné ce qui a été principal souci dans ce travail de recherche car l'objet essentiel sur le plan formel réside dans la répétition de ses termes dans le recueil de poème et la détermination des types du phénomène et ses formes.
Ce travail de recherche a pour objectif l'étude du phénomène de l'aliénation chez le poète El Fitouri, la raison du choix de cette étude est animée par le désir de faire connaitre un poète particulier en personne de Mohamed EL-Fitouri qui n' a pas fait valoir son droit ni sa réputation à l' instar de ses contemporains dans le domaine de la poésie libre.

Le but est également d'arriver a faire une lecture descriptive et d'analyse ayant une poète interprétative sur la base de critères pratiques afin d'aboutir aux indication dans le poème d'El- Fitouri et tenter de faire une comparaison technique sur l'expérience poétique contemporaine au Soudan et s'informer du cadre qui domine le vivier de ses thèmes et percevoir l'emprunte laissée par le poète dans son recueil.
Les principales conséquences à laquelle nous avons abouti se présentent comme suit :
-L'existence d'une similitude entre le sens linguistique de l'exile et de l'aliénation .a fait que beaucoup de chercheurs ne font pas la différence entre ces deux notions alors que certains ont fait la distinction en considérant l'exile comme l'éloignement du pays .
-Les condition politiques et économiques ont contribuées à développer le sens de l'aliénation dans la structure sociale devant le grand vide et les perturbation dans les fondement sociaux causées par les guerres et les conflits entre les membres de la société.
- Les perturbation qu'à connu la société et fractionnement des parties politiques ont joué un rôle dans l'aliénation du poète loin de l'environnement politique faisant naitre dans son esprit une sensation de déchéance et de désespoir.
-La prédominance de l'obsession de l'aliénation dans le recueil du poète El Fitouri a entrainé «**Les amoureux viennent vers toi** » et le sentiment dramatique dans se poème contemporaine .
-Malgré la multiplicité des portées de l'aliénation dans certains poèmes la fibre de l'espoir ne l'espoir ne l'a pas quitté à la fin du recueil .
-La particularité rythmique apparait dans sa poésie caractérisée par la répétition de certaines lettres, la beauté des expressions et des phrases.

Ce travil de recherche vise à ressusciter les œuvres et le don de ce poète et sa contribution dans le monde littéraire arabe.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

-مقدمة.....أ

تعريف ظاهرة الاغتراب لغة.....1

ظاهرة الاغتراب اصطلاحا.....3

الاغتراب عند هيجل.....4

الاغتراب عند كارل ماركس.....5

الاغتراب عند سيجموند فرويد.....5

أشكال الاغتراب و مظاهره.....6

أنواع الاغتراب.....7

الاغتراب السياسي.....7

الاغتراب النفسي 8

الاغتراب الاجتماعي.....9

الاغتراب الديني.....11

الاغتراب الفلسفي.....12

الاغتراب في الدين الإسلامي.....12

الاغتراب عند العرب.....13

ظاهرة الاغتراب في الشعر الحديث.....15

جدول لإحصاء قصائد الديوان.....18

الفصل الأول الاغتراب المكاني والوجودي في شعر الفيتوري.....21

تمهيد.....21

1-محددات الاغتراب من خلال العنوان.....21

2- محددات الاغتراب المكاني عند الفيتوري.....22

أ-التشرد عن الوطن والمنفي.....22

ب-ضياع الهوية.....31

3-محددات الاغتراب الوجودي..... 35

3-1- ذات الشاعر والوجود.....36

3-2-ذات الشاعر والأخر.....50
3-3-ذات الشاعر والموضوع.....61
الفصل الثاني السياسي في شعر الفيتوري.....67
تمهيد.....67
1-محددات الاغتراب السياسي.....67
1-1-العجز السياسي.....67
1-2-التمييز العنصري.....79
1-3-العنف والتمرد والثورة والحرية: 82
2-1القناع والرمز في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري.....89
2-2-شخصية المتنبي كقناع في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري.....91
3-المدينة في شعر الاغتراب السياسي.....96
3-1- مدينة فلسطين في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري.....98
3-2- مدينة بغداد في شعر الاغتراب السياسي عند الفيتوري.....109
3-3-المدينة الرؤيا التاريخية في شعر الفيتوري.....113
الفصل الثالث الاغتراب الاجتماعي و النفسي في شعر الفيتوري.....122
تمهيد.....122
1-العوامل النفسية والاجتماعية المشكلة لشخصية الفيتوري.....122
1-2 نشأته.....122
1-2- الحس المأساوي في شعر الفيتوري 123
2-رؤيا و الحلم في شعر الفيتوري.....131
3-محددات الاغتراب الاجتماعي والموقف من المجتمع.....135
4- الرسم بالكلمات في شعر الفيتوري.....141
4-1-الصورة الفنية في شعر الفيتوري.....141
4-2-دلالة الألوان في شعر الفيتوري.....151
جدول يحدد تعداد الألوان في ديوان يأتي العاشقون إليك.....152
1-دلالة اللون الأسود.....153

2-دلالة اللون الأبيض.....155
3-دلالة اللون الأحمر.....156
4-3-المعجم الشعري في شعر الفيتوري.....157
5- جمالية الإيقاع في شعر الفيتوري 167
5-1- الإيقاع الخارجي 170
1-الاوزان.....170
2-القافية.....172
5-2-الإيقاع الداخلي 175
1-التكرار.....176
1-تكرار الحروف 177
2-تكرار اللفظ.....180
3-تكرار الجمل.....182
-الجناس..... 187
خاتمة..... 190
المصادر والمراجع.....194
الملخص باللغة العربية 204
الملخص باللغة الاجنبية.....206
فهرس الموضوعات.....208